مذكرة البلاغة في الاستعارة والمجاز المرسل والكناية

تم تحميل هذا الملف من موقع المناهج العمانية	
موقع فايلاتي ⇦ المناهج العمانية ⇦ الصف الحادي عشر ⇦ لغة عربية ⇦ الفصل الثاني ⇦ مذكرات وبنوك ⇦ الملف	
تاريخ إضافة الملف على موقع المناهج: 2026-06-11 07:49:28	
المزيد من مادة لغة عربية:	ملفات ا كتب للمعلم ا كتب للطالب ا اختبارات الكترونية ا اختبارات ا حلول ا عروض بوربوينت ا أوراق عمل منهج انجليزي ا ملخصات وتقارير ا مذكرات وبنوك ا الامتحان النهائي ا للمدرس
	إعداد: إبراهيم عبد العال

التواصل الاجتماعي بحسب الصف الحادي عشر					
صفحة المناهج العمانية على فيسبوك					

المزيد من الملفات بحسب الصف الحادي عشر والمادة لغة عربية في الفصل الثاني	
1	تجميع اختبارات نهائية
2	نموذج اختبار قصير ثاني 2
3	الامتحان القصير الثاني في
4	اختبار حول قصيدة حلم البعث
5	نموذج اختبار مدرسة خديجة بنت خويلد

تم تحميل هذا الملف من موقع المناهج العمانية

مذكرة البلاغة في الاستعارة والمجاز المرسل والكناية

موقع فايلاتي ⇦ المناهج العمانية ⇦ الصف الحادي عشر ⇦ لغة عربية ⇦ الفصل الثاني ⇦ مذكرات وبنوك ⇦ الملف

تاريخ إضافة الملف على موقع المناهج: 2025-02-12 13:01:29

المزيد من مادة لغة عربية:	ملفات ا كتب للمعلم ا كتب للطالب ا اختبارات الكترونية ا اختبارات ا حلول ا عروض بوربوينت ا أوراق عمل منهج انجليزي ا ملخصات وتقارير ا مذكرات وبنوك ا الامتحان النهائي ا للمدرس

التواصل الاجتماعي بحسب الصف الحادي عشر

صفحة المناهج العمانية على فيسبوك					
المواد على تلغرام	التربية الاسلامية	اللغة العربية	اللغة الانجليزية	الرياضيات	

المزيد من الملفات بحسب الصف الحادي عشر والمادة لغة عربية في الفصل الثاني

1	أسئلة اختبارية في فرع البلاغة من سلسلة حصاد المعرفة
2	أسئلة النقد الشائعة التي قد ترد في الاختبارات
3	أسئلة النحو من سلسلة العارج
4	ملخص خامس لدرس خصائص الأدب المهجري
5	ملخص رابع لدرس خصائص الأدب المهجري

بلاغة الحادي عشر

الفصل الدراسي الثاني

الاستعارة والمجاز المرسل والكناية

إبراهيم عبدالعال - ٩٩٧٥٥٣٠١

الحقيقة والمجاز

المجاز اللغوى

الأمثلة :

(١) قال ابْنُ العَمِيد [١] :

قامَتْ تُظَلِّلُنى مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ نَفْسى
قامَتْ تُظَلِّلُنى ومِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنى مِنَ الشَّمْسِ

(٢) وقال البحترى يَصِف مبارزة الفَتْح بن خاقان لأَسد :

فَلَمْ أَرَ ضِرْغامَيْنِ أَصْدَقَ مِنْكُما عِراكاً إِذَا ٱلْهَيَّابَةُ النَّكْسُ كَذَّبَا [٢]
هِزَبْرٌ مَشَى يَبْغِى هِزَبْراً وأَغْلَبٌ مِنَ ٱلْقَوْمِ يَغْشَى بِاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبَا [٣]

(٣) وقال المتنبى وقد سقط مطرٌ على سيف الدولة :

لِعَيْنَىَّ كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ تَحَيُّرُ مِنْهُ فِى أَمْرٍ عُجابِ [٤]
حِمَالَةُ ذَا ٱلْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابِ [٥]

(٤) وقال البحترىّ :

إِذَا الْعَيْنُ رَاحَتْ وَهْىَ عَيْنٌ عَلَى الْجَوَى فَلَيْسَ بِسِرٍّ مَا تُسِرُّ ٱلْأَضَالِعُ

---

(١) هو الوزير أبو الفضل محمد بن العميد نبغ فى الأدب وعلوم الفلسفة والنجوم ، وقد برز فى الكتابة على أهل زمانه حتى قيل : « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد » توفى سنة ٣٦٠ هـ . (٢) الضرغام : الأسد ، الهيابة : الجبان ، والنكس : الضعيف .
(٣) الهزبر : الأسد ، والأغلب : الأسد أيضاً ، والباسل : الشجاع .
(٤) تحير : أصلها تتحير حذف منها إحدى التاءين . (٥) حمالة السيف : ما يحمل به .

البحث :

انظر إلى الشطر الأخير فى البيتين الأولين ، تجد أن كلمة « الشمس » استعملت فى معنيين : أحدهما المعنى الحقيقى للشمس التى تعرفها ، وهى التى تظهر فى المشرق صبحاً وتختفى عند الغروب مساء ، والثانى إنسان وضاءُ الوجه يشبه الشمس فى التلألؤ ، وهذا المعنى غير حقيقى ، وإذا تأملتَ رأيتَ أنَّ هناك صِلَةً وعلاقة بين المعنى الأصلىّ للشمس والمعنى العارض الذى اسْتُعْمِلَتْ فيه . وهذه العلاقة هى المشابهة ، لأن الشخص الوضيء الوجه يُشْبِه الشمس فى الإشراق ، ولا يمكن أن يلتبس عليك الأمر فتَفْهَم من « شمس تظللنى » المعنى الحقيقى للشمس ، لأن الشمس الحقيقية لا تُظَلِّل ، فكلمة تظللنى إذًا تمنع من إرادة المعنى الحقيقى ، ولهذا تسمى قرينة دالة على أن المعنى المقصود هو المعنى الجديد العارض .

وإذا تأملت البيت الثانى للبحترىّ رأيت أن كلمة « هِزَبْراً » الثانية يراد بها الأسد الحقيقى ، وأن كلمة « هزبر » الأولى يراد بها الممدوح الشجاع . وهذا معنى غير حقيقى ، ورأيت أن العلاقة بين المعنى الحقيقى للأسد والمعنى العارض هى المشابهة فى الشجاعة ، وأن القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقى للأسد هى أن الحال المفهومة من سياق الكلام تدل على أن المقصود المعنى العارض ، ومثل ذلك يقال فى « أغْلبٌ من القَوْم » و « باسِل الوَجْه أغْلبا » فإن الثانية تدل على المعنى الأصلى للأسد ، والأولى تدل على المعنى العارض وهو الرجل الشجاع ، والعلاقة المشابهة ، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلى هنا لفظية وهى « من القوم » .

تستطيع بعد هذا البيان أن تدرك فى البيت الثانى للمتنبى أن كلمة « حسام » الثانية استعملت فى غير معناها الحقيقى لعلاقة المشابهة فى تَحَمُّل الأخطار . والقرينة تُفهم من المقام فهى حالية ، ومثل ذلك كلمة « سحاب » الأخيرة فإنها استعملت لتدل على سيف الدولة لعلاقة المشابهة بينه

وبين السحاب فى الكرم . والقرينة حاليَّة أيضاً .

أما بيت البحترى فمعناه أنَّ عين الإنسان إذا أصبحت بسبب بكائها جاسوساً على ما فى النفس من وجْدٍ وحُزْن . فإن ما تَنْطَوِى عليه النفس منهما لا يكون سرًّا مكتوماً ، فأنت ترى أن كلمة « العين » الأولى استعملت فى معناها الحقيقى وأن كلمة « عين » الثانية استعملت فى الجاسوس وهو غير معناها الأصلى ، ولكن لأن العين جزء من الجاسوس وبها يَعْمل ، أطلقها وأراد الكل شأن العرب فى إطلاق الجزء وإرادة الكلّ ، وأنت ترى أن العلاقة بين العين والجاسوس ليست المشابهة وإنما هى الجزئية والقرينة « على الجوى » فهى لفظيَّة .

ويتَّضح من كل ما ذكرنا أن الكلمات : شمس ، وهِزَبْر ، وأغلب ، وحُسام ، وسحاب ، وعَيْن . استعملت فى غير معناها الحقيقى لعلاقة وارتباط بين المعنى الحقيقى والمعنى العارض وتسمى كل كلمة من هذه مجازاً لغويًّا .

القاعدة :

(١٢) المَجَاز اللُّغَوِىُّ هُوَ اللفظُ المُسْتَعْمَلُ فى غير ما وُضِعَ لَه لِعَلاقةٍ مع قَرِينَةٍ مانِعةٍ مِنْ إرادَةِ المَعْنَى الحقيقىّ. والعَلاقةُ بَيْنَ ٱلْمَعْنَى الحقيقىّ والمعنى الْمجَازِىّ قدْ تكونُ المُشَابَهةَ ، وقد تكونُ غيرَها ، والقَرِينَةُ قد تكونُ لفظيةً وقد تكونُ حَالِيَّةً .

نَمُوذَجٌ

(١) قال أبو الطيب حين مرض بالحمَّى بمصر :

فإن أمْرض فَما مرضَ اصْطِبارى ... وَإن أُحْمَمْ فَما حُمَّ اعْتِزامى

(٢) وقال حينما أنذر السحابُ بالمطر وكان مع ممدوحه :

تعَرَّض لِى السَّحابُ وقد قَفَلْنَا ... فقُلْتُ إلَيْكَ إن معِى السَّحَابا[1]

(٣) وقال آخر :

بِلادى وإنْ جارتْ علىَّ عَزِيزةٌ ... وقومى وإنْ ضَنُّوا علىَّ كِرامُ

الإجابة

المجاز	السبب	العلاقة	توضيح العلاقة	القرينة
(١) مرض	لأن الاصطبار لا يمرض	المشابهة	شبه قلة الصبر بالمرض لما لكل منهما من الدلالة على الضعف	لفظية وهى اصطبارى
(ب) حم	لأن الاعتزام لا يحم	»	شبه انحلال العزم بالإصابة بالحمى لما لكل منهما من التأثير السيئ	» » اعتزامى
(٢) السحاب الأخيرة	لأن السحاب لا يكون رفيقاً	»	شبه الممدوح بالسحاب لما لكليهما من الأثر النافع	» » معى
(٣) بلادى	لأن البلاد لا تجور	غير المشابهة	ذكر البلاد وأراد أهلها فالعلاقة المحلية	» » جارت

تمرينات

(١)

الكلمات التى تحتها خط استُعْمِلَتْ مرَّةً استعمالًا حقيقيًّا ، ومرَّة استعمالًا مجازيًّا ؛ بيِّن المجازىَّ منها مع ذكر العلاقة والقرينة لفظيةً أو حاليَّةً :

(١) قال المتنبى فى المديح :

فيوْمًا بخيْلٍ تَطرُد الرومَ عنْهُمُ ... وَيَوْمًا بجُود نطرُدُ الفَقْر والْجَدْبا

(٢) وقال :

فَلا زالَت الشَّمسُ التى فى سمائه ... مُطالعةَ الشمْسِ التى فى لثامه[2]

(١) قفلنا : رجعنا ، وإليك : اكفف .

(٢) المطالعة هنا المشاركة فى الطلوع — أى لا زال باقياً بقاء الشمس فكلما طلعت فى السماء كان وجهه طالعاً بإزائها .

(٣) وقال :

عيبٌ عليكَ تُرَى بسيفٍ فى الوَغَى ما يفعل الصَّمْصامُ بالصَّمْصام [1]

(٤) وقال :

إذا اعْتَلَّ سيفُ الدولة اعتلَّت الأرض [2].

(٥) وقال أبو تمام فى الرِّثاء :

وما مات حتى مات مضْربُ سَيفه من الضرب واعتلَّتْ عليه القنا السُّمْر [3]

(٦) كان خالد بن الوَليد [4] إذا سار سار النصر تحت لِوائهِ .

(٧) بنَيْتَ بيوتاً عاليات وقَبْلَها بنَيْتَ فَخَارًا لا تُسامَى شواهِقُهْ

(٢)

(١) أمِنَ الحقيقةِ أم مِنَ المجاز كلمة « الشمسين » فى قول المتنبى يَرْثى أخت سيف الدولة ؟ :

فَلَيْتَ طالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غائِبَةٌ ولَيْتَ غائبة الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبِ [5]

(٢) أحقيقةٌ أمْ مجازٌ كلمة « بدرًا » فى قول الشاعر ؟ :

وَقدْ نَظَرتْ بدْر الدُّجَى ورأيْتُهَا فكان كِلانا ناظِرًا وَحْدَه بَدْرَا

(٣) أحقيقةٌ أمْ مجازٌ كلمة « ليالى » فى قول المتنبى ؟ :

نَشَرَتْ ثلاث ذَوائِبٍ مِن شَعْرِها فى لَيلةٍ فَأَرَتْ لَيالى أربعا [6]

(٤) أحقيقة أمْ مجازٌ كلمة « القمرين » فى قول المتنبى ؟ :

واسْتقْبلَتْ قَمرَ السماء بوجْهِها فَأَرَتْنِى القَمرَيْنِ فى وقتٍ معاً

(١) الوغى : الحرب ، والصمصام : السيف ؛ يريد أنك كالسيف فى المضاء فلا حاجة بك إلى السيف . (٢) اعتل : مرض . (٣) مضرب السيف : حده ، والقنا : الرماح ، والسمر : الرماح أيضاً ، أى لم يمت فى ساحة الحرب حتى تثلم سيفه وضعفت الرماح عن المقاومة .

(٤) صحابى جليل وقائد كبير من قواد جنود المسلمين ، قاتل المرتدين فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ، ثم فتح الحيرة وجانباً عظيما من العراق ، وكان موفقاً فى غزواته وحروبه ، قال أبو بكر : عجزت النساء أن يلدن مثل خالد ، وقد توفى سنة ٢١ هـ .

(٥) يقصد بطالعة الشمسين الشمس الحقيقية ، وبغائبة الشمسين أخت سيف الدولة .

(٦) الذوائب : جمع ذؤابة وهى الخصلة من الشعر .

(٣)

(١) استعمل الأسماء الآتية استعمالاً حقيقيًّا مرّة ومجازيًّا أخرى لعلاقة المشابهة :

البَرق ـ الرِّيح ـ المطر ـ الدُّرَر ـ الثعلب ـ النسر ـ النجوم ـ الحَنْظَل .

(ب) استعمل الأفعال الآتية استعمالاً حقيقيًّا مرّة ومجازيًّا أخرى لعلاقة المشابهة :

غرِقَ ـ قتَلَ ـ مزَّقَ ـ شرِب ـ دَفن ـ أراق ـ رمى ـ سقَطَ .

(٤)

ضع مفعولًا به فى المكان الخالى يكون مستعملًا استعمالًا مجازيًّا ، ثم اشرح العلاقة والقرينة :

أحيا طلعت حرب ... نَثر الخطيب ... زَرع المحْسن ...

قَوَّم المعلم ... قتَلَ الكسلان ... حاربتْ أوربا ...

(٥)

ضع فى جملةٍ كلمة « أُذُن » لتدل على الرجل الذى يميل لسماع الوشايات ، وفى جملةٍ أخرى كلمة « يمين » لتدل على القوة ، ثم بيِّن العلاقة .

(٦)

كون أربع جمل تشتمل كل منها على مجاز لغوىٍّ علاقتُه المشابهة .

(٧)

اشرح بيْتَى البحترى فى المديح ثم بيِّن ما تضمنته كلمة « شمسين » من الحقيقة والمجاز :

طَلعْت لهمْ وقتَ الشرُوق فعاينُوا سنا الشَّمس من أُفقٍ ووجْهَكَ من أُفق [1]

فما عاينوا شَمْسيْنِ قَبْلَهُما الْتَقَى ضِياؤُهما وفْقاً مِن الغَرْبِ والشرْقِ [2]

(١) السنا : النور ، والأفق : الناحية . (٢) وفقا : أى متفقين فى الميعاد .

(١) الاستعارة التصريحية والمَكنيَّة

الأمثلة :

(١) قال تعالى : «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ».

(٢) وقال المتنبي وقد قابله مَمْدُوحُه وعانقَه :

فَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَحْرُ نَحوَهُ ... وَلَا رَجُلًا قَامَتْ تُعَانِقُهُ الْأُسْدُ

(٣) وقال فى مدح سيف الدولة :

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلْوًا سِوَى ظَفَرٍ ... تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللِّمَمُ [1]

* * *

(١) وقال الحجّاجُ فى إحْدَى خُطَبه :

إِنِّى لَأَرَى رُءُوساً قَدْ أَيْنَعَتْ وَحَانَ قِطَافُهَا وَإِنِّى لَصَاحِبُهَا [2].

(٢) وقال المتنبي :

وَلَمَّا قَلَّتِ الْإِبِلُ امْتَطَيْنَا ... إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْخُطُوبَا [3]

(٣) وقال :

الْمَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ وَالْكَرَمُ ... وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الْأَلَمُ

(١) بيض الهند : السيوف ، واللمم جمع لمة : وهى الشعر المجاور شحمة الأذن ، والمراد بها هنا الرءوس . يقول : لا ترى الانتصار لذيذاً إلا بعد معركة تتلاقى فيها السيوف بالرءوس .

(٢) أينعت من أينع الثمر إذا أدرك ونضج ، وحان قطافها : آن وقت قطعها ، يريد أنه بصير بحال القوم من الشقاق والخلاف فى بيعة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فهو يحذرهم عاقبة ذلك .

(٣) امتطينا : ركبنا ، والخطوب : الأمور الشديدة ، يقول : لما عزت الإبل عليه لفقره حملته الخطوب على قصد هذا الممدوح فكانت له بمنزلة مطية يركبها .

البحث :

فى كل مثال من الأمثلة السابقة مجاز لُغوىٌّ : أى كلمة استُعْملت فى غير معناها الحقيقى فالمثال الأول من الأمثلة الثلاثة الأولى يشتمل على كلمتى الظلمات والنور ولا يُقْصد بالأولى إلَّا الضلال ، ولا يراد بالثانية إلَّا الهدى والإيمان ، والعلاقة المشابهة والقرينة حالية ؛ وبيت المتنبي يحتوى على مجازين هما «البحرُ» الذى يراد به الرجل الكريم لعلاقة المشابهة ، والقرينة «مشى» و «الأُسْد» التى يراد بها الشجعان لعلاقة المشابهة ، والقرينة «تعانقه» ؛ والبيت الثالث يحتوى على مجاز هو «تصافحت» الذى يراد منه تلاقت ، لعلاقة المشابهة والقرينة «بيض الهند واللمم» .

وإذا تأملت كل مجاز سبق رأيت أنه تضمَّن تشبيهاً حُذِف منه لفظ المشبَّه واستعير بدله لَفْظ المشبَّه به ليقوم مقامه بادعاء أنَّ المشبه به هو عين المشبَّه ، وهذا أبعد مدى فى البلاغة ، وأدخَل فى المبالغة ، ويسمَّى هذا المجاز استعارة ، ولما كان المشبَّه به مصرَّحاً به فى هذا المجاز سمِّى **استعارة تصريحية**

نرْجع إذًا إلى الأمثلة الثلاثة الأخيرة ، ويكفى أن نوضح لك مثالًا منها لتَقيس عليه ما بعده ، وهو قول الحجاج فى التهديد : «إنِّى لأرى رءُوساً قد أَيْنَعت» فإن الذى يفهَم منه أن يشبه الرءوس بالثمرات ، فأصل الكلام إنى لأرى رءُوساً كالثمرات قد أينعت ، ثم حذف المشبَّه به فصار إنى لأرى رءُوساً قد أينعت ، على تخيُّل أن الرءوس قد تمثلت فى صورة ثمار ، ورُمز للمشبه به المحذوف بشىء من لوازمه وهو أينعت ، ولما كان المشبه به فى هذه الاستعارةُ محْتجباً سميت **استعارة مكنية** ، ومثل ذلك يقال فى «امتطينا الخطوبا» وفى كلمة «المجد» فى البيت الاخير .

القاعدة :

(١٣) الاسْتِعارَةُ مِنَ المجاز اللُّغَوِىِّ ، وهىَ تَشْبيهٌ حُذِفَ أَحَد طَرَفَيْهِ ، فَعلَاقتها المشابهةُ دائماً ، وهىَ قِسْمان :

(ا) تَصْريحيّة ، وهىَ ما صُرِّحَ فيها بلَفظِ المشبَّه بِهِ .

(ب) مَكنِيَّة ، وهىَ ما حُذِفَ فيها المَشَبَّهُ بِهِ ورُمِزَ لهُ بشىء مِنْ لوازمِه .

نَمُوذَجٌ

(١) قال المتنبي يَصِفُ دخول رسول الرّوم على سيف الدولة :

وأقْبل يمشى فى البساطِ فَما درى ... إلى البحْرِ يسْعى أم إلى البدْرِ يرْتَقى

(٢) وصف أعرابى أخاً له فقال :

كان أخِي يَقْرى العينَ جَمالًا والأُذنَ بياناً[1].

(٣) وقال تعالى على لسان زكريا :

رَبِّ إنِّى وهن العظْمُ مِنِى واشْتَعل الرَّأس شَيْباً .

(٤) وقال أعرابى فى المدح :

فُلانٌ يَرمى بِطَرْفِهِ حَيْثُ أشَارَ الكَرم[2].

الإجابة

(١) ا ـ شُبِّه سيفُ الدولة بالبحر بجامع[3] العطاء ثم استُعير اللفظُ الدال على المشبّه به وهو البحر للمشبه وهو سيف الدولة ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة « فأقبل يمشى فى البساط » .

ب ـ شُبِّه سيف الدولة بالبدر بجامع الرِّفعة ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البدر للمشبه وهو سيف الدولة ، على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة « فأقبل يمشى فى البساط » .

(١) القرى : إكرام الضيف وإطعامه . (٢) الطرف : البصر .
(٣) الجامع فى الاستعارة هو ما يعبر عنه فى التشبيه بوجه الشبه .

(٢) شبَّه إمتاع العين بالجمال وإمتاع الأُذن بالبيان بقرى الضيف ، ثم اشتُقَّ من القِرى يَقْرِى بمعنى يُمْتِع على سبيل الاستعارة التصريحية ، والقرينة جمالًا وبياناً .

(٣) شُبِّه الرأس بالوقود ثم حذف المشبه به ، ورُمِزَ إليه بشىء من لوازمه وهو « اشتعل » على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس .

(٤) شُبِّه الكرم بإنسان ثم حُذِفَ ورُمِزَ إليه بشىء من لوازمه وهو « أشار » على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الإشارة للكرم .

تمرينات

(١)

أجر الاستعارةَ التصريحية التى تحتها خط فيما يأتى :

(١) كلُّ زَنْجيَّة كأَن سَوَاد الـ ... ـلَيْل أهْدَى لَهَا سَوادَ الإهَاب[1]

(٢) وقال فى وصف مزيِّن :

إذا لمع البرْقُ فى كَفِّه ... أفاض على الوجهِ ماء النعيم[2]

لَه راحةٌ سيْرُها راحةٌ ... تَمرُّ على الوجْهِ مرَّ النَّسيم[3]

(٣) وقال ابن المعتز :

جُمِعَ الْحقُّ لَنا فى إمام ... قَتَل البُخْلَ وَأَحْيا السَّماحا

(٢)

أجر الاستعارة المكنية التى تحتها خط فيما يأتى :

(١) مدح أعرابى رجلًا فقال :

تَطَلَّعتْ عيونُ الفضل لكَ ، وأصغتْ آذانُ المجدِ إليك .

(١) الإهاب : الجلد ، يقول : إن القار الذى طليت به السفن لشدة سواده كأنه جزء من الليل أهداه الليل إليها . (٢) ماء النعيم : رونقه ونضارته (٣) الراحة الأولى : باطن الكف ، والراحة الثانية : ضد التعب ، يصف اليد باللطف والخفة .

(٢) ومدح آخر قوماً بالشجاعة فقال : أقسمتْ سيوفُهمْ ألا تُضيع حقًّا لهم .

(٣) وقال السريُّ الرَّفاء :

مَوَاطِنُ لمْ يَسْحَبْ بِها الغَيُّ ذيْلَهُ وكم لِلعَوالي بَيْنَهَا مِن مَساحِبِ[1]

(٣)

عيِّن التصريحية والمكنية من الاستعارات التي تحتها خط مع بيان السبب :

(١) قال دِعبِل الخزاعيّ[2] :

لا تَعجَبي يا سَلمُ من رَجُلٍ ضحِكَ المَشيبُ برَأْسِه فبَكى[3]

(٢) ذمَّ أعرابي قومًا فقال : أولئك قومٌ يصومون عن المعروف ، ويُفْطرون على الفحشاء .

(٣) وذمَّ آخر رجلًا فقال : إنه سمين المال مهزول المعروف .

(٤) وقال البحتري يرثي المتوكل[4] وقد قُتِل غِيلة :

فما قاتلَت عنهُ المَنايا جُنودُهُ ولا دافعتْ أمْلاكُه وذَخائرُه[5]

(٥) وإذا العِنايةُ لاحظَتْك عيونُها نَمْ فالمخاوِف كلُّهُنَّ أمانُ

(٦) وقال أبو العتاهية يهنِّئُ المهدي[6] بالخلافة :

أتتْه الخِلافةُ منقادة إليْهِ تُجرِّرُ أذْيالها

(١) العوالي : جمع عالية وهي الرماح ، يقول : إن هذه الأماكن طاهرة من أدران الغواية وإنها منازل شجعان طالما جرت فيها الرماح . (٢) كان شاعراً هجاء ؛ ولد بالكوفة وأقام ببغداد ، وشعره جيد ؛ وقد أولع بالهجو والحط من أقدار الناس فهجا الخلفاء ومن دونهم ، وتوفي سنة ٢٤٦ . (٣) يا سلم : يا سلمى . (٤) هو المتوكل العباسي ، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ ، وكان جواداً محباً للعمران ، ونقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق ، وقتل غيلة سنة ٢٤٧ هـ . (٥) يقول : إن جيشه لم ينفعه حين هجم عليه الأعداء في قصره فلم يقاتل دونه ، وإن أملاكه وأمواله لم تغن عنه شيئاً .

(٦) هو من خلفاء الدولة العباسية في العراق ، أقام في الخلافة عشرة سنين محمود العهد والسيرة محبباً إلى الرعية وكان جواداً ، توفي سنة ١٦٩ هـ .

(٤)

ضع الأسماء الآتية في جمل بحيث يكُون كلٌّ منها استعارةً تصريحية مرة ومكنيةً أخرى :

الشمس - البلبل - البحر - الأزهار - البرق

(٥)

حوِّل الاستعارات الآتية إلى تشبيهات :

(١) قال أبو تمام في وصف سحابة :

دِيمَةٌ سمْحَةُ القِيادِ سَكوبُ مُسْتَغِيثٌ بِها الثرى المكْروبُ[1]

(٢) وقال السَّرِيّ في وصف الثلج وقد سقطَ على الجبال :

ألَمَّ بِرَبعِها صُبْحًا فألْفى مُلِمَّ الشيبِ في لمم الجِبال[2]

(٣) وقال في وصف قلم :

وأهيف إنْ زعْزعتْه البَنا نُ أمْطر في الطِّرس ليْلًا أحمّ[3]

(٦)

حوِّل التشبيهات الآتية إلى استعارات :

(١) إنَّ الرسول لنورٌ يُسْتضاءُ به .

(٢) أنا غُصْنٌ من غصونِ سَرْحتِك ، وفَرعٌ من فروع دوْحَتِك[4]

(١) الديمة : السحابة الممطرة . وسمحة القياد أي أن الريح تقودها وهي لينة لا تمانع ، وسكوب : كثيرة سكب المطر وصبه ، والثرى : التراب . (٢) ألم : نزل . والضمير يعود على الثلج ، وربعها : منزلها والمقصود بمكانها ، والضمير يعود إلى البقعة ، واللمم جمع لمة وهي شعر الرأس . (٣) الهيف في الأصل : رقة الخصر ، وزعزعته : هزته ، والبنان : الأصابع أو أطرافها ، الطرس : القرطاس ، والأحم : الأسود . (٤) السرحة : الشجرة العظيمة وكذلك الدوحة .

(٣) أنا السَّيفُ إلا أنَّ لِلسَّيفِ نبْوَةً ومِثْلِيَ لا تَنْبُو عليْكَ مضاربُهْ[1]

(٤) «ثمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كالحِجارةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوةً».

(٥) وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُداةُ بِهِ كأنَّه عَلَمٌ فى رأسِه نارُ[2]

(٦) أنا غَرْسُ يديك .

(٧) أَسَدٌ علىَّ وفى الحُرُوبِ نَعامةٌ ربداءُ تَجْفِلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ[3]

(٧)

اشرح قول ابن سِنان الخفاجِيّ[4] فى وصف حمامة ، ثم بيِّن ما فيه من البيان :

وهاتِفَةٍ فى البان تُمْلِى غَرامَها علينا وتَتْلُو مِنْ صبابَتِها صُحْفَا[5]

ولوْ صَدَقَتْ فِيما تقُولُ من الأسى لما لَبِسَتْ طَوْقاً وما خَضَبَتْ كَفَّا[6]

(١) نبوة السيف : عدم قطعه ، يقول : أنا سيف لا ينبو عند مقاتلتك وإن نبا السيف الحقيقى .

(٢) العلم : الجبل ، وكان العرب يوقدون ناراً بأعلى الجبال لهداية السارين .

(٣) ربداء : أى ذات لون مغبر ، تجفل : أى تسرع فى الهرب .

(٤) شاعر ، أديب كان يرى رأى الشيعة ، وقد ولى قلعة من قلاع حلب من قبل الملك محمود بن صالح فشق عصا الطاعة بها ؛ فاحتال عليه الملك حتى سمه فمات سنة ٤٦٦ هـ .

(٥) هتفت الحمامة : مدت صوتها ، والبان : ضرب من الشجر ، وفى قوله (تتلو من صبابتها صحفا) حسن وإبداع .

(٦) الأسى : الحزن .

(٢) تَقْسِيمُ الاستعارة إلى أَصْلِيَّة وتَبَعِيَّة

الأمثلة :

(١) قال المتنبى يَصِف قَلَماً .

يَمُجُّ ظَلاَماً فى نهارٍ لِسَانُهُ وَيفهَمُ عَمَّنْ قال مالَيْسَ يَسْمَع

(٢) وقال يخاطب سيف الدولة :

أُحِبك ياشمْسَ الزَّمان وبَدْرَهُ وإنْ لَامنى فيكَ السُّهاوَالفَرَاقِدُ[1]

(٣) وقال المعرِّى فى الرِّثَاء :

فَتًى عَشِقَتْهُ البَابلِيَّةُ حِقْبَةً فلم يَشْفِهَامِنْهُ برَشْفٍ ولَا لَثْم[2]

* * *

(٤) قال تعالى :

« وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ».

(٥) وقال المتنبى فى وصف الأسد :

وَرْدٌ إذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شارباً وَرَدَ الْفُرَاتَ زَئِيرُهُ والنِّيلَا[3]

البحث :

فى الأبيات الثلاثة الأولى استعارات مكنية وتصريحية ، ففى البيت الأول شُبِّه القلم (وهو مَرْجع الضمير فى لسانه) بإنسان ثم حذف المشبه به ورُمز إليه بشىء من لوازمه وهو اللسان ، فالاستعارة مكنية ، وشُبِّه المداد

(١) السها : نجم خفى يمتحن الناس به أبصارهم ، والفراقد جمع فرقد : وهو نجم قريب من القطب ، وفى السماء فرقدان ليس غير . (٢) الحقبة : المدة من الزمان ويراد بها المدة الطويلة ، ورشف الماء : مصه ، والثم : التقبيل . (٣) الورد : الذى يضرب لونه إلى الحمرة ، والمراد بالبحيرة بحيرة طبرية ، أى أن زئير الأسد شديد فإذا زأر فى طبرية سمع زئيره من فى العراق ومصر .

بالظلام بجامع السواد واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية . وشبَّه الورق بالنهار بجامع البياض ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية .

وفى البيت الثانى شبَّه سيف الدولة مرَّة بالشمس ، ومرَّة بالبدر بجامع الرفعة والظهور ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الشمس والبدر للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية فى الكلمتين ، وشبَّه منْ دونه مرَّة بالسُّها ومرَّة بالنجوم بجامع الصِّغَر والخفاء ، ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبه به وهو السُّها والفراقد للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية فى الكلمتين .

وفى البيت الثالث شُبِّهت البابلية وهى الخمر بامرأة ثم حذف المشبه به ورُمِزَ إليه بشىء من لوازمه وهو « عِشْقَتُهُ » على سبيل الاستعارة المكنية .

وإذا رجَعْتَ إلى كل إجراء أجريناه للاستعارات السابقة ، رأيت أننا فى التصريحية استعرنا اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وأننا لم نَعْمل عملًا آخر ، ورَمَزْنا إليه بشىء من لوازمه ، وأن الاستعارة تمَّت أيضاً بهذا العمل ؛ وإذا تأملت ألفاظ الاستعارات السابقة رأيتها جامدة غيرَ مشتقة . ويسمى هذا النوع من الاستعارة **بالاستعارة الأصلية** .

انظر إذًا إلى المثالين الأخيرين تجد بكل منهما استعارة تصريحية ، وفى إجرائها نقول : شبَّه انتهاء الغضب بالسكوت بجامع الهدوء فى كلٍّ ، ثم استعير اللفظ الدالُّ على المشبه به وهو السكوت للمشبه وهو انتهاء الغضب ثم اشتق من السكوت بمعنى انتهاء الغضب سكت بمعنى انتهى .

وشُبِّه وصول صوت الأسد إلى الفرات بوصول الماء بجامع أن كلاًّ ينتهى إلى غاية ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبه به وهو الورود للمشبه وهو وصول الصوت ثم اشْتُقَّ من الورود بمعنى وصول الصوت ورد بمعنى وصل .

فإذا أنعمت وازنت بين إجراء هاتين الاستعارتين وإجراء الاستعارات الأولى رأيت أن الإجراء هنا لا ينتهى عند استعارة المشبه به للمشبه كما انتهى فى الاستعارات الأولى ، بل يزيد عملًا آخر وهو اشتقاق كلمة من المشبه به ، وأن ألفاظ الاستعارة هنا مشتقةٌ لا جامدة ، ويسمى هذا النوع من الاستعارة **بالاستعارة التبعية** ، لأن جريانها فى المشتق كان تابعاً لجريانها فى المصدر .

ارجع بنا ثانياً إلى المثالين الأخيرين لنتعلم منهما شيئاً جديدًا ، ففى الأول وهو « ولما سكت عن موسى الغضب » يجوز أن يشبَّه الغضب بإنسان ثم يحذف المشبه به ويرمز إليه بشىء من لوازمه وهو سكت فتكون فى « الغضب » استعارة مكنية . وفى الثانى وهو « ورد الفرات زئيره » يجوز أن يشبَّه الزئير بحيوان ثم يحذف ويرمز إليه بشىء من لوازمه وهو ورد فيكون فى « زئيره » استعارة مكنية ، وهكذا كل استعارة تبعية يصحُّ أن يكون فى قرينتها استعارة مكنية غير أنه لا يجوز لك إجراء الاستعارة إلا فى واحدة منهما لا فى كلتيهما معاً .

القواعد :

(١٤) تَكُونُ الاستعارةُ أَصْلِيَّةً إذا كان اللفظ الذى جَرَتْ فيه اسماً جامدًا .

(١٥) تكون الاستعارةُ تَبَعِيَّةً إذا كانَ اللفظُ الذى جَرَتْ فيه مُشْتَقًّا أَوْ فِعْلًا[1] .

(١٦) كلُّ تَبَعِيَّةٍ قَرِينَتُها مَكْنِيَّةٌ ، وإذا أُجْرِيتْ الاستعارةُ فى واحدة منهما امْتَنَعَ إجْرَاؤُها فى الأُخْرَى .

(١) تقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية عام فى الاستعارة سواء أكانت تصريحية أم مكنية ، ومثال الاستعارة المكنية التبعية أعجبنى إراقة الضارب دم الباغى ، فقد شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء فى كل ، واستعير القتل للضرب الشديد ، واشتق منه قاتل بمعنى ضارب ضرباً شديداً ، ثم حذف ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الإراقة على طريق الاستعارة المكنية التبعية .

نموذج

قال الشاعر :

(١) عَضَّنا الدَّهر بِنابِه لَيْت ما حلَّ بِنا بِهْ

(٢) وقال المتنبي :

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً سقاها الحِجَا سَقْيَ الرِّياضِ السَّحائِبِ[1]

(٣) وقال آخر يخاطب طائرًا :

أَنْت فى خضراء ضاحِكةٍ مِنْ بكاء العارض الهتِن[2]

الإجابة

(١) شُبِّه الدهر بحيوان مفترس بجامع الإيذاء فى كلٍّ ، ثم حُذِفَ المشبه به ورُمِزَ إليه بشىء من لوازمه وهو « عض » فالاستعارة مكنية أصلية .

(٢) شُبِّه الشِّعر بحديقة بجامع الجمال فى كلٍّ ، ثم استعير اللفظ الدالّ على المشبه به للمشبه فالاستعارة تصريحية أصلية ، وشُبِّه الحجا وهو العقل بالسحاب بجامع التأثير الحسن فى كلٍّ وحذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو « سقى » فالاستعارة مكنية أصلية.

(٣) شُبِّه الإزْهار بالضحِك بجامع ظهور البياض فى كلٍّ ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه بهِ للمشبه ، ثم اشتُقَّ من الضحك بمعنى الإزْهار ضاحِكة بمعنى مُزْهِرة ؛ فالاستعارة تصريحية تبعية .

ويجوز أن نضرب صفْحاً عن هذه الاستعارة ، وأن نجْرِيها فى قرينتها فنقول : شبِّهت الأرض الخضراء بالآدمىّ ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو ضاحكة فتكون الاستعارة مكنية .

(١) الرياض مفعول به للمصدر وهو سَقْى ، سَقْى مضاف والرياض مضاف إليه ، وأصل الكلام سَقْى السحائب الرياض .

(٢) فى خضراء : أى فى روضة خضراء ، والعارض الهتن : السحاب الكثير الأمطار .

وشُبِّه نزول المطر بالبكاء بجامع سَيَلان الماء فى كلٍّ ، ثم استعير اللفظ الدال عَلَى المشبه به للمشبه ، فالاستعارة تصريحية أصلية ، ويجوز أن تُجْرَى الاستعارةُ مكنيةً فى العارض .

تمرينات

(١)

بيِّن الاستعارةَ الأصليةَ والتبعية فيما يأْتى :

(١) قال السَّرِىُّ الرِّفاءُ يَصِف شِعْرَهُ :

إذا ما صافَح الأَسْماعَ يوْماً تَبَسَّمتِ الضَّمائِرُ والقُلُوبُ

(٢) وقال ابن الرُّومىّ :

بلدٌ صحِبْتُ بِهِ الشَّبِيبَةَ والصِّبَا ولَبِسْتُ ثوْبَ اللَّهْوِ وهْوَ جديدُ

(٣) وقال :

حيِّنْك عنَّا شمالٌ طَافَ طائِفُهَا بِجنَّةٍ نَفحتْ روحاً وريْحانَا[1]

هبَّتْ سُحيْرًا فناجى الغُصْن صاحِبَه سِرًّا بهَا وتداعى الطيرُ إعْلَانَا[2]

(٤) وقال البحترى فى وصف جيش :

وإذا السِّلاحُ أضاء فِيهِ رأى العِدَا بَرْقًا تَأَلَّق فِيهِ بحْرُ حديدِ[3]

(٥) وقال ابن نُباتةَ السَّعْدِىّ[4] فى وصف مُهْرٍ أَغَرَّ[5] :

وأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلُ مِنْه وتطْلُع بَيْن عَيْنَيْهِ الثُّريا

(٦) وقال التِّهامىّ فى رثاء ابنه :

يا كَوْكباً ما كانَ أَقْصَرَ عُمْرَهُ وكَذاكَ عُمْرُ كَواكِبِ الأَسْحار

(١) الشمال : الريح التى تهب من ناحية القطب ، ونفحت روحاً وريحاناً : أولت راحة وطيباً . (٢) الضمير فى هبت يعود على الشمال . سحيراً : قبيل الصبح ، وناجى : حدث سراً ، وتداعى : دعا بعضه بعضاً . (٣) تألق البرق : لمع . (٤) هو أبو نصر عبد العزيز ، كان شاعراً مجيداً جمع بين حسن السبك وجودة المعنى ، ومعظم شعره جيد ، وله ديوان كبير ، توفى سنة ٤٠٥ هـ . (٥) الأغر : بياض فى جبهة الفرس .

(٧) وقال الشريف فى الشّيب :

ضوءٌ تَشَعْشَعَ فى سوادِ ذَوَائبى ... لا أَسْتضِىءُ بهِ ولا أَسْتَصْبِحُ[1]

بعْتُ الشبابَ بهِ على ثِقةٍ لَه ... بَيْعَ العليمِ بِأَنّه لا يربحُ[2]

(٨) وقال البحترى فى وصف قَصْر :

مَلأَتْ جَوانِبُهُ الفضاءَ وعَانَقَتْ ... شُرُفاتُهُ قِطَعَ السَّحابِ المُمْطِرِ

(٩) وقال فى وصف روضة :

يُضاحكها الضحى طَوْرًا وطوْراً ... علَيْها الغيْثُ ينْسجِمُ انْسِجاما[3]

(١٠) وقال فى الشَّيْب :

ولِمَّـةٍ كُنْتُ مشْغُوفاً بِجِدَّتِها ... فَما عفا الشَّيْبُ لِى عَنْها ولا صَفَحَا

(١١) وقال ابن التَّعاويذى فى وصف روضة :

وأعطافُ الغصُونِ لَها نشَاطٌ ... وأنْفاسُ النسِيمِ بها فُتُورُ[4]

(١٢) وقال مِهيار[5] :

ما لِيَسارِى اللهْوِ فى لَيْلِ الصِّبَا ... ضَلَّ فى فَجْرٍ بـرأسى وضَحا

(٢)

اجعل الاستعاراتِ التبعية الآتيةِ أصليَّة :

(١) إنْ أمْطرتْ عيْنَاى سَحًّا فعنْ ... بَوَارِقٍ فى مَفْرِقى تَلْمعُ[6]

(٢) إنَّ التَّبـاعُد لا يَضُـ ... رُّ إذَا تقاربت القُلُوب

(١) تشعشع الضوء : انتشر ، واستصبح : استضاء بالمصباح .

(٢) الفتة : الحب . (٣) ينسجم : يسيل . (٤) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب ، الفتور : الضعف . (٥) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسى الديلمى ، كان مجوسياً وأسلم على يد الشريف المرتضى وتخرج فى الشعر عليه ، ويمتاز فى شعره بجزالة القول ورقة الحاشية وطول النفس ، وتوفى سنة ٤٢٨ هـ . (٦) تحمًّا : صبًّا ، والبوارق جمع بارق وهو البرق ، والمفرق : وسط الرأس وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر .

(٣) وقال ابن المعتز يصف سحابة :

باكِيةٌ يَضْحَكُ فيهَا بَرْقُهَا ... مَوْصُولَةٌ بِالأَرْض مُرْخَاةُ الطُّنُبْ[1]

(٣)

اجعل الاستعارات الأصلية تبعيةً فيما يأتى :

(١) شرُّ الناس منْ يرْضى بهدم دِينهِ لبناء دنياه .

(٢) شِراءُ النفوس بالإحسان خيرٌ من بيْعِها بالعُدْوان .

(٣) إن خَوض المرء فيما لا يعْنيهِ وفِراره من الحق من أسباب عِثاره .

(٤) خيْرُ حِليةٍ للشباب كَبْحُ النفس عند جُموحِها .

(٤)

هات ست استعارات منها ثلاث أصلية وثلاث تبعية .

(٥)

اشرح قول السرىِّ الرَّفاء فى وصف دولاب[2] وبيِّن ما فيه من استعارات :

فمِنْ جنَان تريك النَّوْرَ مُبْتَسماً ... فى غيْرِ إبَّانِهِ والماءُ مُنْسَكِبَا[3]

كأَنَّ دُولابها إذ أنَّ مُغْتَرِبٌ ... نَأَى فحنَّ إلى أوْطانِهِ طَرِبَا[4]

باكٍ إذا عنَّ زهْرَ الروْض والدُّهُ ... مِنَ الغَمامِ غَدا فِيهِ أَباً حَدِبَا[5]

مُشَمِّرٌ فى مسِيرٍ لَيْس يُبْعِدُهُ ... عن المَحلِّ ولا يُبْدِى لَه تَعبا[6]

ما زَالَ يَطْلُبُ رِفْدَ البحْرِ مُجْتَهِدًا ... لِلْبَرِّ حتَّى ارْتَدَى النَّوَّارَ والعُشْبَا[7]

(١) الطنب : الحبل تشد به الخيمة ، يقول : إن السحابة لثقلها بالماء تقرب أطرافها من الأرض . (٢) الدولاب : آلة كالناعورة يستقى بها الماء وهى المعروفة بالساقية .

(٣) إبان الشىء بالكسر والتشديد : وقته ، يقال كل الفاكهة فى إبانها : أى فى وقتها .

(٤) أنين الدولاب : صوته عند دورانه ، وحنين المغترب : شوقه وبكاؤه عند ذكر الوطن ، والطرب : خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور . (٥) حقه : ضد بره ، والأب الحدب : الأب الذى يتعلق بابنه ويعطف عليه ، ويقول إذا جفا الغمام زهر الروض فلم يطره قام الدولاب مقامه فكان الزهر بمنزلة الأب الحانى على ولده فتعهده وسقاه . (٦) يقول : إن الدولاب مجد فى سيره ومن العجب أنه لا يبتعد عن مكانه ولا تبدو عليه علامات التعب .

(٧) الرفد : العطاء ، يقول : إن الدولاب ما برح يستجدى البحر البر فيأخذ من ماله ويسقيه حتى ارتدى البر ونما زرعه واكتسى أثواباً من الأزهار والنبات .

(٣) تقسيمُ الاستعارة إلى مرشَّحة ومجرَّدة ومُطلَقة

الأمثلة :

(١) (١) قال تعالى : « أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ » .

(٢) وقال البحترى :

يُؤَدُّونَ التَّحِيَّةَ مِنْ بَعِيدٍ إلى قَمَرٍ مِنَ الإيوانِ بَادِ[1]

(٣) وقال تعالى : « إِنَّا لَمَّا طَغَى ٱلْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ[2] » .

• • •

(ب) (٤) وقال البحترىّ :

وأرى المنايا إنْ رَأَتْ بكَ شَيْبَةً
جَعَلَتْكَ مَرْمَى نَبْلِهَا الْمُتَوَاتِرِ[3]

(٥) كان فُلانٌ أَكْتَبَ الناس إذا شَرِب قلمُهُ من دَوَاتِه أَوْ غَنَّى فوْقَ قِرْطاسه .

(٦) وقال قُرَيْظُ بن أُنَيْف[4] :

قَوْمٌ إذَا الشَّرُّ أَبْدَى ناجِذَيْهِ لَهُمْ
طارُوا إلَيْهِ زَرافاتٍ ووُحْدانَا[5]

---

(١) الإيوان : مكان مرتفع فى البيت يجلس عليه . (٢) الجارية : السفينة .
(٣) النبل المتواتر : الكثير المتوالى . (٤) هو قريظ بن أنيف من شعراء الحماسة وهو شاعر إسلامى . (٥) الناجذان : النابان ، وإبداء الشر ناجذيه كناية عن شدته وصعوبته . يصفهم بالإقدام على المكاره والإسراع إلى الشدائد وأنهم لا يتواكلون ولا يتخاذلون .

البحث :

فى الأمثلة الأولى استعارات تصريحية فى « اشتروا » بمعنى اختاروا ، وفى « قمر » الذى يراد به شخص الممدوح ، وفى « طغى » بمعنى زاد ، وقد استوفت كلُّ استعارة قرينتَها ، فقرينة الأولى « الضلالة » ، وقرينة الثانية « يؤدون التحية » وقرينة الثالثة « الماء » ، وإذا تأملت الاستعارة الأولى رأيت أنها قد ذكِر معها شىءٌ يلائم المشبه به ، وهذا الشىءُ هو « فما ربحت تجارتهم » ، وإذا نظرتَ إلى الاستعارة الثانية رأيت بها شيئاً من ملائمات المشبه ، وهو « من الإيوان باد » ، وإذا تأملت الاستعارة الثالثة رأيتها خالية مما يلائم المشبه به أو المشبه .

والأمثلة الثلاثة الثانية تشتمل على استعارات مكنية هى « الضمير » فى رأت الذى يعود على المنايا التى شُبِّهتْ بالإنسان . و « القلم » الذى شُبِّه بالإنسان أيضاً و « الشر » الذى شُبِّه بحيوان مفترس ، وقد تمّتْ لكل استعارة قرينتها ، إذْ هى فى الأولى إثبات الرؤية للمنايا ، وفى الثانية إثبات الشرب والغناء للقلم ، وفى الثالثة إثبات إبداء الناجذيْن للشر .

وإذا تأملتَ رأيتَ أن الاستعارة الأولى اشتملت على ما يُلائم المشبه به وهو « جعلتك مرمى نبلها » ، وأنَّ الاستعارة الثانية اشتملت على ما يلائم المشبه وهو « دواته وقرطاسه » ، وأنَّ الاستعارة الثالثة خلَتْ مما يلائم المشبه أو المشبه به ، والاستعارة التى من النوع الأول تسمى مرشحة ، والتى من النوع الثانى تسمى مجردة ، والتى من النوع الثالث تسمى مطلقة .

القواعد :

(١٧) الاستعارةُ الْمُرَشَّحَةُ : ما ذُكِرَ معها مُلَائم المشبَّهِ بِهِ .

(١٨) الاستعارةُ المجرَّدَةُ : ما ذُكِرَ معها مُلَائمُ المشبَّه .

(١٩) الاستعارةُ المُطْلَقة : ما خَلَتْ من مُلائماتِ المشبَّهِ به أو المشبَّه[1].

(٢٠) لا يُعْتَبَرُ الترشيحُ أو التجريدُ إلا بَعْدَ أنْ تَتمَّ الاستعارةُ باستيفائها قَرينَتَها لفظيةً أو حاليةً ، ولهذا لا تُسَمَّى قَرينةُ التصريحية تجْريدًا ، ولا قَرينةُ المكْنيةِ تَرْشيحاً .

نَمُوذَجٌ

(١) خُلُقُ فلانٍ أرقُّ من أنْفاس الصَّبا إذا غازلت أزْهارَ الرُّبا[2].

(٢) فَإنْ يهْلِك فكلُّ عمودِ قَوْمٍ مِن الدُّنْيا إلى هُلْك يَصِيرُ

(٣) إنِّى شديد العطشِ إلى لِقائِك .

(٤) ولَيْلَةٍ مَرضَتْ مِنْ كلِّ ناحِيةٍ فَمَا يضيءُ لَها نَجمٌ ولا قَمَرُ

(٥) سقالكِ وحيَّانا بِكِ اللهُ إنَّما على الْعِيسِ نَوْرٌ والخُدور كمائِمُه[3]

الإجابة

(١) فى كلمة الصَّبا - وهى الريح التى تَهُبُّ من مطلَع الشمس - استعارة مكنية لأنها شُبِّهت بإنسان وحذِف المشبه به ورُمِزَ إليه بشىء من لوازمه وهو أنفاس الذى هو قرينة المكنية ، وفى « غازلت » ترشيح .

(٢) فى عمود استعارة تصريحية أصلية ، شُبِّه رئيس القوم بالعمود بجامع أنَّ كلاًّ يحْمِل ، والقرينة « يهلِك » ، وفى « إلى هُلْك يصير » تَجْريد .

(١) من نوع الاستعارة المطلقة الاستعارة التى تشمل على ترشيح وتجريد معاً ، مثالها فى التصريحية ، نطق الخطيب بالدرر ، براقة ثمينة ، فارتاحت لها الأسماع . ومثالها فى المكنية ، قصف الموت شبابه قبل أن يزهر ويصل إلى الكهولة . (٢) الربا : الأماكن العالية .
(٣) الخطاب فى سقاك لمحبوبته ، يدعوها بالسقيا وأن يحيَّا بها كما يحيَّا الناس بالأزهار . والعيس الإبل . والكمائم جمع كمة : وهى غلاف الزهرة .

(٣) شُبِّه الاشتياق بالعطش بجامع التطلع إلى الغاية ، والاستعارة تصريحية أصلية ، والقرينة « إلى لقائك » وهى استعارة مطلقة .

(٤) فى مرضت استعارة تبعية شُبِّهت الظلمة بالمرض والجامع خَفَاء مظاهر النشاط ، ثم اشتُق من المرض مرِضت ، فالاستعارة تصريحية تبعية ، وفى « ما يضيء لها نجم ولا قمر » تجريد .

(٥) النورُ : الزَّهْر ، أو الأبيض منه ، والمراد به هنا النساء ، والجامع الحُسْن ، فالاستعارة تصريحية أصلية ، وفى ذكر الخُدور تجريد ، وفى ذكر الكمائم ترشيح فالاستعارة مطلقة .

تمرينات

(١)

بيِّن نوع كل استعارة فيما يأتى ، وعيِّن الترشيح الذى بها :

(١) قال السرىّ الرفاء :

وقد كتبتْ أيْدى الرَّبيعِ صحائفًا كأنَّ سُطورَ السَّرْوِ حُسْنًا سُطورُها[1]

(٢) إذا ما الدَّهْرُ جرَّ على أُناسٍ كلاكله أناخَ بآخَرينا[2]

(٣) وقال المتنبى فى ذمّ كافور :

نَامَتْ نَواطِيرُ مِصر عن ثَعالِبِها وقَدْ بِشِمْن وما تَفْنى العناقيد[3]

(٤) وقال آخر فى وصف موْقِعة :

والمَوْت يخْطُرُ فى الجُموعِ وحَوْلَهُ أجْنادهُ مِنْ أنْصُلٍ وعَوالِى[4]

(٥) رأيت حيَال الشمس كفة حابلٍ تُحيط بِنَا مِنْ أشْمُلٍ وجَنُوبِ[5]

نَروحُ بِها والمَوْتُ ظَمْآنُ ساغِبٌ يلاحِظُنا فى جيئةٍ وذُهوبِ[6]

(١) السرو : شجر عال . (٢) الكلكل : الصدر ، يقول : إن عاهة الدهر تكدير العيش فهو يصيب قوماً بأذاه ثم ينتقل إلى إصابة غيرهم . (٣) الناطور : حارس الزرع ، وبشم : أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل ، يقول : إن سادات مصر غفلوا عن العبيد فبشموا بالأموال حتى أكلوا فوق الشبع . (٤) الأنصل جمع نصل : وهو حديدة السيف ، والعوالى : الرماح . (٥) المراد بحبال الشمس أشعتها ، وكفة الحابل : فخ الصياد ، وأشمل جمع شمال . (٦) ساغب : أى جائع .

(٦)وقال المتنبي :

أتى الزَّمانَ بَنُوهُ فى شَبِيبَتِهِ فَسرَّهمْ وأتَيْنـــاه على الهَرَمِ[1]

(٧)وقال أبو تمام :

نامَتْ هُمومِي عَنِّى حِينَ قُلْتُ لَهَا هذَا أبو دُلَفٍ حَسْبِي بِهِ وكَفَى !

(٨)حاذِرْ أنْ تقتُلَ وقْتَ شبابِك ، فإنَّ لكلِّ قتلٍ قِصَاصاً

(٩)وقال بعضهم فى وصف الكتب :

لنَا جُلَسَاءُ لا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلِبَّاءُ مأْمُونُون غَيْبًا وَمَشْهَدَا

(١٠) وقال أبو تمام :

لمَّا انْتَضَيْتُكَ لِلْخُطُوبِ كَفِيتُهَا والسَّيْفُ لا يكْفِيكَ حتى يُنْتَضَى[2]

(١١)تَلطَّخَ فلان بعار لن يُغْسل عنه أبدًا .

(٢)

ما نوع الاستعارات الآتية وأين التجريد الذى بها ؟ :

(١) رَحِمَ الله امرأً ألجمَ نَفْسَه بإبعادها عن شهواتها .

(٢) اشترَ بالمعروف عِرْضَكَ من الأذى .

(٣) أضاء رأيُهُ مُشْكلاتِ الأمور .

(٤) انطلق لسانُه عن عِقاله فأوْجز وأعْجزَ .

(٥) ما اكتحلت عينُه بالنوم أرقاً وتَسهيدًا .

(٦) قال المتنبي :

وغَيَّبَتِ النَّوَى الظَّبْيَاتِ عنِّى فَسَاعَدَتِ البَرَاقِعَ والحِجَالا[3]

(١) الهرم : الشيخوخة ، يقول : إن بنى الزمان من الأمم السالفة جاءوا فى خداثة الدهر وغضرته فسرهم ، ونحن أتيناه وقد هرم فلم يبق عنده ما يسرنا . (٢) انتضى السيف : جرده من غمده . (٣) النوى : البعد والفراق ، والمقصود بالظبيات هنا الحسان ، والحجال : الخدور ومفردها حَجْلة .

(٧)لا تَخض فى حديثٍ ليس من حقِّكَ سماعه .

(٨)لا تتفكَّهُوا بأعراض الناس ، فَشَرُّ الخُلُقِ الغِيبة .

(٩)بين فَكَّيْهِ حُسام مُهَنَّدٌ ، له كلام مُسَدَّد .

(١٠)اكتست الأرضُ بالنباتِ والزهْر .

(١١)تَبسَّم البَرق فأضاء ما حولَه .

(٣)

بيِّن لِمَ كانت الاستعارات الآتية مطلقة واذكر نوعها :

(١)قال أعرابى فى الخمر : لا أشرب ما يَشْربُ عقلى .

(٢)وقال المتنبي يخاطب ممدوحه :

يا بدْرُ يا بحرُ يا غمامةُ يالـ ـثَّ الثَّرَى ياحِمامُ يا رَجُلُ[1]

(٣)ووصف أعْرابى قَحْطاً فقال : الترابُ يابسٌ والمال عابس[2]

(٤)وقال تعالى : «أولئِكَ الَّذين اشتَرَوُا الضَّلالة بِالهُدَى والعَذابَ بالمغفِرةِ ، فما أصْبَرهمْ على النَّارِ » .

(٥)رأيتُ جِبالًا تَمْخُر العُباب .

(٦)طار الخبَرُ فى المدينة .

(٧)غنَّى الطيرُ أنْشُودَتَهُ فوق الأغصان .

(٨)برزَتِ الشمسُ من خِدْرِها .

(٩)يَهْجُم علينا الدهْرُ بجيشٍ من أيامِهِ ولياليه .

(١) الثرى : مكان فى بلاد العرب يوصف بكثرة الأسود .

(٢) المال : ما ملكته من كل شىء ، وعند أهل البادية الإبل .

(٤)

بيِّن الاستعارات الآتية وما بها من ترشيح أو تجريد أو إطلاق :

(١) قال المتنبي :

فى الخدِّ إنْ عزَم الخَلِيطُ رحِيلا مطرٌ تَزيدُ بِهِ الخُدُودُ محولا[1]

(٢) قال التِّهامىُّ يعتذر لحسَّاده :

لا ذَنْبَ لى قدْ رُمْتُ كَتْم فَضَائلى فَكأنَّما برقَعْتُ وَجْهَ نهار

(٣) قال أبو تمام فى المديح :

نَال الْجزيرةَ إمْحالٌ فقُلْتُ لهمْ شِيموا نَداه إذا ما البرْقُ لَمْ يُشَمِ[2]

(٤) وقال بدرُ الدين يوسُف الذهبي[3] :

هلم يَا صاحِ إلى رَوْضَةٍ يجْلُو بِها العانِى صدَا هَمِّهِ[4]

نَسِيمُهَا يَعْثُرُ فِى ذَيْلِهِ وَزَهْرُهَا يضْحَك فِى كُمِّهِ

(٥) قال ابن المعتز :

ما تَرى نِعْمَةَ السَّماءِ على الأَرْ ض وشُكْرَ الرِّياضِ للأَمْطارِ[5] ؟

(٦) قال سعيدُ بن حُميد[6] :

وعَد البــدْرُ بالزيارةِ لَيْلاً فَإذا مــا وفى قَضيْتُ نُذُورِى

(٧) زارنى جبل ضِقْتُ ذَرْعًا بِثرْثَرتِهِ[7].

(١) الخليط : الرفيق المفارق ، والمحول : الجدب ، والمراد به هنا الشحوب وزوال النضرة بسبب الحزن . (٢) الإمحال : الجدب ، وشام البرق : نظر إليه منتظراً مطره ، والمعنى اطلبوا فداه إذا يتسم من صدق البرق . (٣) من الشعراء المحدودين بالشام فى طليعة عصر المماليك ، وكان سهل الشعر عذبه مولعاً بالمحسنات اللفظية ، وتوفى سنة ٦٨٠ هـ . (٤) العانى : المتعب الحزين . (٥) فى البيت استفهام محذوف ، أى أما ترى إلخ ، والمراد بشكر الرياض ازدهارها . (٦) كاتب مترسل وشاعر رقيق الشعر نحا فيه منحى ابن أبى ربيعة ، وقلده المستعين العباسى ديوان رسائله ، وتوفى سنة ٢٥٠ هـ ، (٧) ضاق به ذرعاً : ضعفت طاقته عنه ولم يجد منه مخلصاً ، والثرثرة : كثرة الكلام وترديده .

(٨) قال أعرابى : ما أشدَّ جَوْلَة الرأى عند الهوَى ، وأشقَّ فِطامَ النفس عند الصِّبا[1].

(٩) ووصف أعرابى بَنِى بَرْمك فقالَ : رأيتهم وقد لبسُوا النعمة كأنَّها مِنْ ثيابهم .

(٥)

اجعل الاستعارات الآتية مرَّة مرشحة ومرة مجردة :

لا تلبَس الرياء ، ولا تَجرِ وراء الطيش ، ولا تعبَثْ بمودةِ الإخوان ، ولا تصاحب الشرَّ ، ولا تنخدع إذا نظرتَ فى الأمور - بسراب[2] بل اتبِّع النور داعاً فى هذه الدنيا ، واجتنب الظلام ، وإذا عَثرت فقم غير يائس . وإذا حاربك الدهر ، فتجمَّل غير عابس.

(٦)

(أ) هات ستَّ استعارات تصريحية فيها المرشحة والمجردة والمطلقة .

(ب) ، ، ، ، مكنية ، ، ، ،

(٧)

اشرح الأبيات الآتية وبيِّن ما فيها من ضروب الحُسْنِ البيانى :

قال الشريف فى وصف ليلة :

وليْلةٍ خُضْتُها على عجَلٍ وصُبْحُها بِالظَّلام مُعْتَصِمُ[3]

تَطَلَّع الفَجْرُ فى جوانِبِها وانْفَلَتَتْ مِنْ عِقَالِها الظلَمُ[4]

كأنَّما الدَّجْنُ فى تَزَاحُمِهِ خيْلٌ ، لَها مِنْ بُرُوقِهِ لُجُمُ[5]

(١) الصبا : الميل إلى الجهل والفتوة . (٢) السراب : ما تراه نصف النهار كأنه ماء . (٣) معتصم : أى ستمسك بالظلام متحصن به . (٤) العقال : قيد الدابة . (٥) الدجن : الغيم يملأ أقطار السماء ، واللجم : جمع لجام .

(٤) الاستعارةُ التمثيليَّة

الأَمثلة :

(١) عادَ السَّيْفُ إلى قِرَابِهِ ، وَحلَّ اللَّيْثُ منيعَ غابه .
(لمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر)

(٢) قال المتنبي :

وَمَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا
(لمن لم يرزق الذَّوْق لفَهْم الشعر الرائع)

(٣) قطعَتْ جَهيزةُ قَوْلَ كلِّ خَطِيب .
(لمن يأتى بالقول الفَصْل)

البحث :

حينما عاد الرجل العامل إلى وطنه لم يَعُد سيف حقيقيّ إلى قرابه ، ولم يَنزل أَسَدٌ حقيقيّ إلى عرينه ، وإذًا كل تركيب من هذين لم يستعمل فى حقيقته ، فيكون استعماله فى عوْدة الرجل العامل إلى بلده مجازًا ؛ والقرينة حاليَّة ، فما العلاقة بين الحالين يا ترى ، حالِ رجوع الغريبِ إلى وطنه ، وحال رجوع السيف إلى قِرَابه ؟ العلاقة المشابهة ، فإن حال الرجل الذى نزح عن الأوطان عاملا مجِدًّا ماضياً فى الأمور ثم رجوعَه إلى وطنه بعد طول الكدِّ ، تشْبه حال السيف الذى استُلَّ للحرب والجِلاد حتى إذا ظفِر بالنصر عاد إلى غِمْده . ومثل ذلك يقال فى : « وحلَّ الليثُ مَنِيع غابِهِ » .

وبيت المتنبي يدل وضْعهُ الحقيقيّ على أن المريض الذى يصاب بمرارة فى فمه إذا شربَ الماءَ العذبَ وجده مُرًّا ، ولكنه لم يستعمله فى هذا المعنى بل استعمله فيمن يَعيبون شِعْرَه لعيْب فى ذوقهم الشعرىّ . وضعْف فى إدراكهم الأدبىّ ؛ فهذا التركيب مجاز قرينته حاليَّة ، وعلاقته المشابهة ،

والمشبه هنا حال المُولَعين بذمه والمشبه به حال المريض الذى يجد الماء الزلال مرًّا .

والمثال الثالث مَثَلٌ عربىٌّ ، أصلُهُ أن قوماً اجتمعوا للتشاور والخطابة فى الصلح بين حيّيْن قَتَلَ رجل من أحدهما رجلاً من الحى الآخر ، وإنهم لكذلك إذا بجارية تُدْعَى جَهيزةَ أقبلت فأَنبأَتهم أنَّ أولياء المقتول ظَفِرُوا بالقاتل فقتلوه ، فقال قائل منهم : « قَطَعَتْ جَهيزَةُ قَوْلَ كلِّ خَطِيب » ، وهو تركيب يُتَمَثَّلُ به فى كل موطن يؤتى فيه بالقول الفصْل .

فأَنت ترى فى كل مثال من الأَمثلة السابقة أن تركيباً استعمل فى غير معناه الحقيقىّ ، وأنَّ العلاقة بين معناه المجازى ومعناه الحقيقىّ هى المشابهة . وكل تركيب من هذا النوع يُسمَّى استعارة تمثيلية [1].

القاعدة :

(٢١) الاستعارةُ التمثيلية تركيبٌ استُعْمِلَ فى غير ما وُضِعَ له لِعلاقَةِ المشابَهةِ مَعَ قَرينَةٍ مَانِعةٍ مِنْ إرادةِ مَعْناهُ الأَصْلىّ .

نَمُوذَجٌ

(١) من أمثال العرب :

قَبْل الرَّماءِ تُمْلأُ الكَنَائِن[2] (إذا قُلْتَه لمن يريد بناء بيت مثلاً قبل أن يتوافر لديه المال) .

(٢) أنت ترقُمُ على الماء (إذا قلتَه لمن يلِحُّ فى شأْن لا يمكن الحصولُ منه على غاية) .

---

(١) لابد أن يكون كل من المشبه والمشبه به فى الاستعارة التمثيلية صورة منتزعة من متعدد كما نراه واضحاً فى الأمثلة .

(٢) الرماء : رمى السهام ، والكنائن جمع كنانة وهى وعاء السهام .

الإجابة

(١) شُبِّهَتْ حال من يريد بناء بيت قبل إعداد المال له ، بحال من يريد القتال وليس فى كِنانته سهام ، بجامع أن كلا منهما يتعجل الأمر قبل أن يُعِدَّ له عُدتهُ . ثم استعير التركيب الدال على حال المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالِيَّة

(٢) شُبِّهت حالُ من يُلِحُّ فى الحصول على أمر مستحيل ، بحال من يرقُمُ على الماء ، بجامع أن كلاًّ منهما يعْملُ عملاً غيْر مُثْمِرٍ ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية ، والقرينة حالِيَّة .

تمرينات

(١)

افرض حالاً تجْعَلُها مشبهًا لكُلٍّ من التراكيب الآتية ، ثم أجْرِ الاستعارة فى خمسة تراكيب .

(١) إنَّك لا تَجْنِى من الشَّوْكِ العنبَ .
(٢) أنت تنْفُخُ فى رَمَاد .
(٣) لا تنْثُرِ الدُّر أمام الخنازير .
(٤) يبتغى الصَّيْدَ فى عِرِّيسَة الأسد[1] (١٢) اعْقِلْهَا وتوكَّلْ[2] .
(٥) أخذ القوْسَ باريها .
(٦) استَسْمَنْتَ ذا وَرَم .
(٧) أنت تَضرب فى حديد بارد .
(٨) هو يَبْنِى قصورًا بغير أساس .
(٩) لكل صارم نبْوَة[3] .
(١٠) لا يُلْدَغُ المؤْمنُ من جُحْرٍ مرَّتيْن .
(١١) الْمَوْرِدُ العَذْبُ كثير الزِّحام .
(١٣) أنتَ تحْصُدُ ما زَرَعْتَ .
(١٤) أَلْقِ دَلْوَكَ فى الدِّلاء .
(١٥) يُخَرِّبون بيوتَهم بأيديهم .
(١٦) إنَّ الحديد بالحديد يُفلحُ[4] .

(١) العريسة : مأوى الأسد . (٢) النبوة : عدم قطع السيف . (٣) الضمير فى اعقلها يعود على الناقة : أى قيدها ثم توكل على الله ، أما أن تتركها بلا عقال ثم تتوكل على الله فى حفظها فلا يجوز . (٤) يفلح : يقطع .

(١٧) لا بُدَّ للمصدُور أن يَنْفُث[1] (١٩) ومَن قصَدالبحْرَ استقلَّ السَّواقِيا[2]
(١٨) لكلِّ جوادٍ كبْوة[3] . (٢٠) أَحْشفاً وسوءَ كِيلة[4] .

(٢)

بيِّن نوع كل استعارة من الاستعارات الآتية وأجرها :

(١) قال المتنبى :

غاض الوَفَاءُ فما تلقاهُ فى عِدَةٍ ... وأَعْوَزَ الصِّدْقُ فى الأخبار والقسمِ[5]

(٢) قال البحترى :

إذا ما الْجُرْحُ رُمَّ على فَسَادٍ ... تبَيَّنَ فيهِ إهمال الطَّبيبِ[6]

(٣) وقال الشاعر :

متى يبلغُ البُنْيانُ يوْماً تَمامُهُ ... إذا كُنْتَ تَبنِيهِ وغيْرُكَ يهْدِمُ ؟

(٤) وقال تعالى : « اهْدِنا الصِّراط المُسْتقِيمَ » .

(٥) وقال تعالى : «وتَرَكْنَا بَعْضهمْ يوْمَئذ يَمُوجُ فى بعْضٍ ونُفِخَ فى الصُّور فجَمَعْناهُمْ جمعاً »

(٦) وقال البارودى[7] :

فى لُجَّةِ البَحْرِ ما يُغْنِى عَنِ الوَشَل[8] !

(٧) وقال آخر :

وَمَن مَلك البلادَ بغيْر حرْبٍ ... يهونُ عَلَيْهِ تسْليمُ البِلاد

(١) المصدور : المصاب بمرض فى صدره ، والنفث التفخ ؛ وربى النفاثة . (٢) كبوة الجواد : عثرته . (٣) السواقى : الأنهار الصغيرة . (٤) الحشف : ردىء التمر ، والكيلة اسم بمعنى الكيل . (٥) غاض الماء : قل ونقص ، والعدة : الوعد ، وأعوز : عز وقل . (٦) رم الجرح : أصلح وعالج . (٧) هو محمود سامى البارودى حامل لواء النهضة الشعرية الحديثة ، شعره يشاكل شعر الفحول فى صدر العصر العباسى ، مات سنة ١٣٢٢ هـ . (٨) اللجة : معظم الماء ، والوشل : القليل .

(٨) وقال :

أضاءتْ لهمْ أحْسَابُهُم ووجُوهُهُمْ دُجَى الليلِ حَتى نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُهْ[1]

(٩) وقال الشاعر :

وَمَنْ خَطبَ الحَسْناءَ لمْ يُغْلِهِ المَهْرُ[2].

(١٠) وقال المتنبي :

إليْكِ فإنّي لَستُ مِمَّنْ إذا اتّقى عِضَاضَ الأفاعي نامَ فوْقَ العَقَارِبِ[3]

(١١) أنت كمستبضع التمرِ إلى هَجَر[4].

(١٢) وقال المتنبي :

وتُحْيِي لهُ المالَ الصَّوارِمُ والقَنَا ويقْتُلُ ما تُحيِي التَبَسُّمُ والجِدَا[5]

(١٣) وقال يخاطب سيف الدولة :

ألا أيُّها السَّيفُ الذِي ليس مُغْمَدًا ولاَ فيهِ مُرْتَابٌ ولا مِنْه عاصِم

(١٤) لاَ يضُرُّ السحابَ نُباحُ الكلاب .

(١٥) لا يَحمد السيفُ كلَّ منْ حَمَلَه[6]

(١٦) وذِي رحِمٍ قَلَّمْتُ أظْفارَ ضِغْنِهِ بِحِلْمِيَ عنْهُ وَهْوَلَيْسَ لَهُ حِلمُ[7]

(١٧) لا تَعْدَمُ الحَسْناءُ ذَامًا[8] .

(١٨) « ربَّنَا أفْرِغْ علَيْنَا صَبْرًا وتَوفَّنا مُسْلِمين » .

(١) الجزع : الخرز ، وتنظيم الجزع خرزه فى سلك ، وثقب الشيء : أوجد به ثقباً .
(٢) لم يغله المهر : أى لم يجده باهظاً . (٣) إليك : أى كفى ، يقول كفى عنى فإنى لست ممن إذا خاف من الطلك صبر على الذل ، فجعل الأفاعى مثلا للهلاك لأنها تقتل دفعة واحدة ، والعقارب مثلا للذل لأنها إذا لم تقتل تكرر لسعها فكانت أطول عذاباً . (٤) هجر : قرية باليمن تشتهر بكثرة تمرها . (٥) الصوارم : السيوف ، والقنا : الرماح ، والجدا : العطاء ، أى أن السيوف والرماح تجمع له غنائم الأعداء ، والكرم يفرق ما جمعت . (٦) أى أن السيف لا يحمد كل حامل له فقد يكون حامله جباناً أو جاهلا بضروب القتال . (٧) الضغن : الحقد . (٨) الذام : العيب .

(٣)

اجعل التشبيهات الضمنية الآتية استعاراتٍ تمثيلية بحذف المشبه وفرْض حال أخرى مناسبة تجعلها مشبهة :

(١) قال المتنبى :

ولَمْ أرْجُ إلَّا أهْلَ ذَاكَ ومَنْ يُرِدْ مَوَاطِرَ مِنْ غيْرِ السَّحائبِ يَظْلَمِ[1]

(٢) فإن تزْعم الأمْلاكُ أنك مِنهمُ فَخَارًا فإنَّ الشَّمسَ بعضُ الكَواكب

(٣) وقال :

خُذْ ما تَراهُ وَدَعْ شيْئاً سَمِعْتَ بِهِ فى طَلْعَةِ البَدْرِ ما يُغْنِيكَ عنْ زُحَلِ[2]

(٤) وقال :

لعلَّ عتْبَكَ مَحْمُودٌ عواقِبُهُ وَرُبَّمـا صحَّتِ الأجْسَامُ بالعِلَلِ

(٥) وقال بعضهم فى شريف لا يكاد يجد قوتاً :

أيَشْكُو لئيمُ القوم كفًّا وبطْنَةً وَيَشْكُو فتى الفِتْيانَ مَسَّ سُغُوبِ[3]

لأمرٍ غَدا ما حَوْل مَكَّةَ مقفِرًا جدِيباً وباقى الأرْض غَيْرُ جدِيبِ[4]

(٤)

اجعل الاستعارات التمثيلية الآتية تشبيهات ضمنية بذكر حال مناسبة تجعلها مشبهة قبل كل استعارة :

(١) يمشي رُوَيْدًا ويكُونُ أوَّلاً[5] .

(٢) رضيتُ من الغنيمة بالإياب[6]

(٣) أنت تضيءُ للناس وتحْتَرِقُ .

(١) المواطر جمع ماطر ، يقول أنت أهل لما رجوته منك ، وأنا أعلم أنى لم أضع رجائى فى غير محله فلست كمن يرجو المطر من غير السحاب . (٢) امدحه بما تراه منه ، واترك ما سمعت به من شرف أجداده ؛ فإن من ظهر له البدر استغنى بنوره عن زحل : وهو نجم بعيد خفى .
(٣) الكظ والبطنة : الامتلاء الشديد من الطعام ، والسغوب : الجوع .
(٤) مقفراً : خالياً من النبات . والجديب : المكان لا خصب فيه .
(٥) يضرب الرجل يدرك حاجته فى تؤدة ودعة . (٦) مثل يضرب عند القناعة بالسلامة .

(٤) كَفَى بك داءً أن تَرَى المَوتَ شَافِياً .

(٥) ليس التَّكحُّلُ فى العينَين كالكَحَل[1].

(٦) ولا بُدَّ دُون الشَّهْدِ مِنْ إبرِ النَّحْل[2].

(٧) هو ينْفُخُ فى غير ضرَم[3].

(٨) أنت تحْدو بلاَ بعير[4].

(٥)

أذكر لكل بيت من الأبيات الآتية حالاً يُستشهد فيها بهِ ثم أجر الاستعارة وبيِّن نوعها :

(١) قال المتنبى :

وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغامَ لِلصيْدِ بَازَهُ ... تَصَيَّدَهُ الضِّرْغَامُ فيما تَصَيَّدَا[5]

(٢) أَرَى خَلَلَ الرَّمادِ وميضَ نَارٍ ... ويُوشِكُ أن يكون لها ضرامُ[6]

(٣) قَدِّر لِرِجْلِكَ قَبْلَ الخطْوِ مَوْضِعَها ... فَمَنْ عَلاَ زَلَقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلَجا[7]

(٤) وقال المتنبى :

وفى تعبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ ضَوءَها ... ويجهدُ أن يأْتِى لَهَا بِضريب[8]

(٥) وقال البوصيرى :

قَدْ تُنْكِرُ العينُ ضوءَ الشمسِ مِن رَمَدٍ ... ويُنْكِرُ الفمُ طَعْمَ الماءِ من سقمِ[9]

(١) التكحل : وضع الكحل فى العين ؛ والكحل : سواد الجفون خلقة ، أى ليس المصنوع كالمطبوع . (٢) الشهد : العسل فى شمعها ، وإبرة النحل : شوكتها ، يقول من طلب الشهد لم يصل إليه حتى يقاسى لسع النحل . (٣) الضرم : الجمر . (٤) الحدو : سوق الإبل والغناء لها . (٥) الضرغام : الأسد يقول : من اتخذ الأسد بازاً يصيد به لا يأمن أن يصيده الأسد . (٦) الخلل منفرج ما بين الشيئين ، ووميض النار لمعانها . والضرام : اشتعال النار فى الحطب . (٧) الزلق : الأرض الملساء التى لا تثبت فيها قدم ؛ والغرة : الغفلة ، وزلج زل وسقط . (٨) الضريب : المثيل ، يمثل الشاعر ممدوحه بالشمس ويمثل حساده بمن يريد أن يأتى للشمس بنظير فهو فى تعب دائم ، لأنه يجهد نفسه فى طلب المحال . (٩) تنكر : تجهل ، والسقم : المرض .

(٦) وقال المتنبى :

إذا اعْتَاد الفتى خوْضَ المنايا ... فأَيْسرُ ما يمُر بهِ الوُحولُ[1]

(٧) وقال :

ما الَّذِى عِنْده نُدارُ المنايا ... كالَّذِى عِنده نُدارُ الشَّمول[2]

(٨) قال كُثيِّر عَزَّة[3] :

هنِيئاً مريئاً غَير داءٍ مُخامِرٍ ... لِعَزَّةَ مِنْ أَعْراضِنا ما اسْتحلَّتِ[4]

(٩) زعم الفرزدق[5] أن سيقتُل مِرْبَعاً ... أَبْشِرْ بِطُول سَلامةٍ يا مِرْبَعُ[6]

(١٠) ولاَ بُدَّ لِلْماء فى مِسْرْجل ... علَى النَّارِ مُوقَدَةً أن يفُورا[7]

(١١) إذا قالتْ حذَام فَصدِّقُوها ... فإنَّ القَوْل ما قالتْ حذَام[8]

(١٢) لَقَدْ هُزِلتْ حتَّى بدا مِن هُزالِها ... كُلاها وحتى سَامَها كلُّ مُفْلِس[9]

(٦)

(أ) هات استعارة تمثيلية نضربها مثلاً لمن يكْسلُ ويطمع فى النجاح .

(ب) « « « « « « ينفق أمواله فى عمل لا ينتج .

(حـ) « « « « « « يكتب ثم يمحو ثم يكتب ثم يمحو .

(د) هات مثلين عربيين وأجر الاستعارة التمثيلية فى كل منهما .

(١) يقول : إذا تعود الإنسان خوض معارك الحرب لم يبال الوحول ، يريد أن الوحل لا يمنعه من السفر لأنه متعود ما هو أشد من ذلك . (٢) الشمول : الخمر ، أى ليس من يشتغل بالحرب كمن يشتغل باللهو . (٣) شاعر متيم مشهور من أهل الحجاز ، وفد على عبد الملك بن مروان فازدرى منظره إلى أن عرف أدبه فرفع مجلسه ، وأخباره مع عزة بنت جميل كثيرة ، وكان عفيفاً فى حبه ، توفى بالمدينة سنة ١٠٥ هـ . (٤) الداء المخامر : الدفين المستتر ، أى أن ما استحلته مرة من قلب أعراضنا يجعل لها حال كونه هنيئاً غير مسبب لها داء ولا ألماً .

(٥) هو أبو فراس همام بن غالب . تغلب على شعره فخامة الألفاظ . وكان بينه وبين جرير مهاجاة ومنافسة مات سنة ١١٠ هـ . (٦) مربع : اسم رجل ، وفى البيت من السخرية والهزؤ بالفرزدق ما فيه . (٧) المرجل : القدر . (٨) حذام : امرأة من العرب اشتهرت بصدق الحدس . (٩) هزلت : أى ضعفت ونحف جسمها والضمير للشاة ، الكل جمع كلية ، وسامها أراد شراءها ، والمفلس : من لم يبق له مال .

(٧)

اشرح قول المتنبي بإيجاز ، واذكر ما أعجبك فيه من التصوير البياني :

رمـاني الدَّهْـرُ بالأَرْزَاء حتى ... فُؤادي في غشاء مِنْ نِبال [١]

فصِرْتُ إذا أصابتني سِهـامٌ ... تكسَّرتِ النِّصال علَى النصال [٢]

(٥) بلاغة الاستعارة

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين : الأولى تأليف أطرافه ، والثانية ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان ، لا يجول إلا في نفس أديب وهب الله له استعدادًا سليماً في تعرُّف وجوه الشَّبه الدقيقة بين الأشياء ، وأودعه قدْرةً على ربط المعاني وتوليدِ بعضها من بعض إلى مدًى بعيدٍ لا يكاد ينتهي.

وسرُّ بلاغة الاستعارة لا يتعدى هاتين الناحيتين ، فبلاغتها من ناحية اللفظ أنَّ تركيبها يدل على تناسي التشبيه ، ويحملك عمدًا على تخيُّل صورة جديدة تُنْسيك رَوْعَتَها ما تضمَّنه الكلام من تشبيه خفي مستور .

انظر إلى قول البحتري في الفتح بن خاقان :

يسْمو بِكف عَلَى العافين حـانِيَةٍ ... تَهْمِي وَطَرْفٍ إلى العلياء طمَّاحِ [٣]

ألست ترى كفه وقد تمثَّلتْ في صورة سحابة هتَّانة تصُبُّ وبلها على العافين السائلين ، وأنَّ هذه الصورة قد تملكت عليك مشاعرك فأذْهلتْكَ عما اختبأ في الكلام من تشبيه ؟

(١) الأرزاء : المصائب ، والغشاء : الغلاف ، والنبال : السهام العربية ، يقول : كثرت على مصائب الدهر حتى لم يبق من قلبي موضع إلا أصابه سهم منها فصار في غلاف من السهام .

(٢) النصال : حدائد السهام ، يقول : صرت بعد ذلك إذا أصابتني سهام من تلك المصائب لا تجد لها موضعاً تنفذ منه إلى قلبي ، وإنما تقع نصالها على نصال السهام التي قبلها فتتكسر عليها.

(٣) العافين : سائل المعروف ، وحانية : عاطفة شفيقة ، وتهمي : تسيل ، والطرف : البصر ، والطماح : الذي يغالي في طلب المعالي والسمو ورائها .

وإذا سمعتَ قوله في رثاء المتوكل وقد قُتِلَ غيلةً :

صريعٌ تقاضاهُ اللَّيالي حُشاشةً ... يجود بها والموتُ حُمْرٌ أظافره [١]

فهل تستطيع أن تُبعِد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت ، وهي صورة حيوان مفترس ضرَّجتْ أظافره بدماء قتلاه ؟

لهذا كانت الاستعارة أبلغ من التشبيه البليغ ؛ لأنه وإن بنى على ادعاء أن المشبه والمشبه به سواءٌ لا يزال فيه التشبيه منْويًّا ملحوظاً بخلاف الاستعارة فالتشبيه فيها مَنْسيٌّ مجحُودٌ ؛ ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحةَ أبلغُ من المطْلَقَةِ ، وأن المطلقة أبلغ من المجردة .

أما بلاغةُ الاستعارة من حيث الابتكارُ ورَوْعَة الخيال ، وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها ، فمجالٌ فسيحٌ للإبداع ، وميدان لتسابق المجيدين من فُرسان الكلام .

انظر إلى قوله عزَّ شأنه في وصف النار : « تكَادُ تميَّز من الغَيظِ. كلَّما أُلقِي فيها فَوْجٌ سألهم خَزنتُها ألَمْ يأْتِكم نَذِيرٌ [٢] » ؟ ترتسم أمامك النار في صورة مخلوقٍ ضَخْمٍ بطَّاشٍ مكفهرِّ الوجه عابِسٍ يغلي صدرُه حقدًا وغيظاً .

ثم انظر إلى قول أبي العتاهية في تهنئة المهدي بالخلافة :

أتَتْهُ الخِـلافَةُ مُنْقادة ... إليْهِ تُجَرِّر أذْيالهـا

تجد أنَّ الخِلافة غادة هيفاءُ مُدَلَّلَةٌ مليحٌ فُتن الناس بها جميعاً ، وهي تأبى عليهم وتصدُّ إعراضاً ، ولكنها تأتي للمهدي طائعة في دلال وجمال تجرُّ أذيالها تيهاً وخَفَرًا .

(١) الصريع : المطروح على الأرض ، وتقاضاه أصله تقاضاه حذفت إحدى التاءين ؛ وهو من قولهم تقاضى الدائن دينه إذا قبضه ، والحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح ؛ يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ النفس الأخير من حياته . (٢) تميز غيظاً : تتقطع غضباً على الكفرة ، وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ، والفوج : الجماعة ، والاستفهام في قوله تعالى : « ألم يأتكم نذير » ؟ التوبيخ .

هذه صورة لا شك رائعة أبدع أبو العتاهية تصويرها . وستبقى حُلوة فى الأسماع حبيبةً إلى النفوس ما بقى الزمان .

ثم اسمع قول البارودى :

إذا اشتلَّ مِنَّا سيِّدٌ غَرْبَ سَيْفِهِ نفزَّعتِ الأفلاكُ والْتفتَ الدَّهْر[1]

وخبرنى عما تحسُّ وعما ينتابك من هول مما تسمع . وقل لنا كيف خطرت فى نفسك صورة الأجرام السماوية العظيمة حيّةً حساسة تَرتعِد فَزَعاً ووَهَلا ، وكيف تصورتَ الدهر وهو يلتفت دهشاً وذهولاً ؟

ثم اسمع قوله فى منفاه وهو نهْبُ اليأس والأمل :

أسمعُ فى نفسِى دَبيبَ المُنَى وألْمَحُ الشُّبْهَة فى خاطِرِى

تجد أنه رسم لك صورة للأمل يتمشى فى النفس تمشياً مُحَسًّا يسمعه بأُذنه . وأن الظنون والهواجس صار لها جسم يراه بعينه ؛ هل رأيت إبداعاً فوق هذا فى تصويره الشك والأمل يتجاذبان ؟ وهل رأيت ما كان للاستعارة البارعة من الأثر فى هذا الإبداع ؟

ثم انظر قول الشريف الرضى فى الوَداع :

نسْرِقُ الدَّمْعَ فى الجُيُوبِ حَيَـاءً وبِنَـا مما بِنَا مِنَ الأشْواق

هو يسرق الدمع حتى لا يُوصَم بالضعف والخَور ساعةَ الوداع ، وقد كان يستطيع أن يقول : «نَسْتُر الدمع فى الجيوب حياءً» ؛ ولكنه يريد أن يسمو إلى نهاية المُرْتقى فى سحر البيان ، فإن الكلمة «نسْرِقُ» ترسُم فى خيالك صورة لشدة خوفه أن يظهر فيه أثرٌ للضعف ، ولمهارته وسرعته فى إخفاء الدمع عن عيون الرقباء . ولولا ضِيق نطاق هذا الكتاب لعرضنا عليك كثيرًا من صور الاستعارة البديعة ، ولكنا نعتقد أن ما قدمناه فيه كفايةٌ وغَناء .

(١) غرب السيف : حده ، وتفزعت : ذعرت أى أصابها الذعر وهو الخوف .

(٦) المجازُ المرسل

الأمثلة :

(١) قال المتنبى :

لَهُ أيَادٍ عَلَىَّ سَابِغَةٌ أعَدُّ مِنْها وَلا أعَدِّدُها[1]

(٢) وقال تعالى : « وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً » .

(٣) كَمْ بَعَثْنَا الْجَيْشَ جرَّا رًا وَأرْسَلْنا الْعُيُونَا![2]

(٤) وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام :

« وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ » .

(٥) وقال تعالى : « وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوالَهُمْ » .

(٦) وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام :

«إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً» .

(٧) وقال تعالى : « فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَة » .

(٨) وقال تعالى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفى نَعِيمٍ » .

البحث :

عرفت أن الاستعارة من المجاز اللغوى ، وأنها كلمةٌ استعملت فى غير معناها لعلاقة المشابهة بين المعنيين الأصلىّ والمجازى ، ونحن نطلب إليك هنا أن تتأمل الأمثلة السابقة ، وأن تبحث فيها إذا كانت مشتملة على مجاز .

(١) يقول : إن للممدوح على نعماً شاملة ، فوجودى يعد من نعمه ، ولا أستطيع أن أحصر هذه النعم . (٢) الجيش الجرار : الثقيل السير لكثرته .

انظر إلى الكلمة « أياد » فى قول المتنبى ؛ أتظن أنه أراد بها الأيدى الحقيقية ؟ لا . إنه يريد بها النِّعم ، فكلمة أياد هنا مجاز ، ولكن هل ترى بين الأيدى والنعم مشابهة ؟ لا . فما العلاقة إذا بعد أن عرفت فيما سبق من الدروس أن لكل مجاز علاقة ، وأن العربى لا يُرسل كلمةً فى غير معناها إلا بعد وجود صلة وعلاقة بين المعنيين ؟ تأمل تجد أنَّ اليد الحقيقية هى التى تمنح النعم فهى سبب فيها ، فالعلاقة إذًا السببية وهذا كثير شائع فى لغة العرب .

ثم انظر إلى قوله تعالى : « ويُنَزِّلُ لَكُمْ مِن السماء رِزْقاً » ؛ الرزق لا ينزل من السماء ولكن الذى ينزل مطرٌ ينشأ عنه النبات الذى منه طعامُنا ورزقُنا ، فالرزق مسبب عن المطر ، فهو مجاز علاقته المسببية . أما كلمة « العيون » فى البيت فالمراد بها الجواسيس ، ومن الهيِّن أن تفهم أن استعمالها فى ذلك مجازىٌّ ، والعلاقة أن العين جزءٌ من الجاسوس ولها شأن كبير فيه فأُطلق الجزء وأُريد الكل : ولذلك يقال إن العلاقة هنا الجزئية .

وإذا نظرت فى قوله تعالى : « وإنِّى كُلَّما دَعَوتُهُمْ لِتغفِرَ لهُمْ جَعَلوا أَصَابِعَهُمْ فى آذَانِهِمْ » رأيت أن الإنسان لا يستطيع أن يضع إصبعهُ كلها فى أُذنه ، وأن الأصابع فى الآية الكريمة أُطلقت وأُريد أطرافها فهى مجاز علاقته الكلية .

ثم تأمل قوله تعالى : « وآتُوا الْيَتَامى أَمْوَالَهُمْ » تجد أن اليتيم فى اللغة هو الصغير الذى مات أبوه ، فهل تظن أن الله سبحانه يأمر بإعطاء اليتامى الصغار أموال آبائهم ؟ هذا غير معقول ، بل الواقع أن الله يأمر بإعطاء الأموال من وصلوا سِن الرُّشد بعد أن كانوا يتامى ، فكلمة اليتامى هنا مجاز لأنها استعملت فى الراشدين والعلاقة اعتبار ما كان .

ثم انظر إلى قوله تعالى : « ولَا يلِدُوا إلَّا فاجرا كفارا » تجد أن فاجرًا وكفارًا مجازان لأن المولود حين يولد لا يكون فاجرًا ولا كفارًا ،

ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة فأُطْلِق المولود الفاجر وأُريد به الرَّجلُ الفاجرُ والعلاقة اعتبار ما يكون .

أما قوله تعالى : « فلْيَدْعُ نادِيه » والأمر هنا للسخرية والاستخفاف ، فإننا نعرف أن معنى النادى مكان الاجتماع ، ولكن المقصود به فى الآية الكريمة مَنْ فى هذا المكان من عشيرتِهِ ونُصرائه ، فهو مجاز أُطلق فيه المحل وأُريد الحالّ ، فالعلاقة المحلّية .

وعلى الضد من ذلك قوله تعالى : « إنَّ الأَبْرار لَفِى نَعِيم » والنعيم لا يحُلُّ فيه الإنسان لأنه معنى من المعانى ، وإنما يحلُّ فى مكانه ، فاستعمال النعيم فى مكانه مجاز أُطلق فيه الحالّ وأُريد المحل فعلاقته الحالّية .

وإذا ثبت كما رأيت أنَّ كل مجاز مما سبق كانت له علاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى ، فاعلم أن هذا النوع من المجاز اللغوى يسمى المجاز المرسل (١)

القواعد :

(٢٢) المجازُ الْمُرْسَل كلمة اسْتُعْمِلَتْ فى غَيْر مَعناها الْأَصْلىِّ لعلاقة غير المشابهةِ مَعَ قرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ المعنَى الْأَصْلىِّ (٢) .

(٢٣) مِنْ عَلاقات المجاز الْمُرْسَل :

السَّبَبيَّة ـ المَسَبَّبيَّةُ ـ الْجُزْئيةُ ـ الكليَّةُ ـ اعْتبَارُ ما كان ـ اعتبارُ ما يكون ـ الْمَحَلِّيَّة ـ الحالِّيَّةُ .

(١) المرسل : المطلق ، وإنما سمى هذا المجاز مرسلا لأنه أطلق فلم يقيد بعلاقة خاصة .

(٢) ومن المجاز المرسل نوع يقال له المجاز المرسل المركب ، وهو كل تركيب استعمل فى غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة ، وذلك كالجمل الخبرية المستعملة فى الإنشاء للتحسر وإظهار الحزن كما فى قول ابن الرومى .

بان شبابى فمز مطلبه ... وانبتَّ بينى وبينه نسبه

فهذا البيت مجاز مرسل مركب علاقته السببية والقرينة حالية ، فإن ابن الرومى لا يريد الإخبار ، ولكنه ، يشير إلى ما استحوذ عليه من الهم والحزن بسبب فراق الشباب .

نَمُوذَج

(١) شَرِبْتُ ماء النِّيل .

(٢) أَلقَى الخطيب كلمة كان لها كبيرُ الأثر .

(٣) واسْأَل القَرْيَةَ التى كُنَّا فيها .

(٤) يَلْبَسُ المصريون القطنَ الذى تُنتِجُهُ بلادُهم .

(٥) والأَعْوَجِيَّةُ مِلءُ الطرْقِ خَلْفَهُمُ وَالمُشرَفِيَّةُ مِلءُ اليَوْمِ فَوْقَهُمُ[1]

(٦) سأُوقد نارًا.

الإجابة

(١) ماء النيل يرادُ بعضُ مائه فالمجاز مرسل علاقته الكلية . (الجزء والكل وما ألحق بهما)

(٢) الكلمة يراد بها كلامٌ « « « الجزئية (« الجزء « الكل)

(٣) القرية يراد بها أهلها « « « المحلية . (« المحل « الحال)

(٤) القطن يراد به نسيجٌ كان قطناً « « « اعتبار ما كان .

(٥) ملءُ اليوم يراد به ملء الفضاء الذى يشرق عليه النهار فالمجاز مرسل « الحالِّية .

(٦) نارًا يراد به حطب يئول إلى نار فالمجاز مرسل « اعتبار ما يكون.

تمرينات

(١)

بين علاقة كل مجاز مرسل تحته خط مما يأتى :

(١) قال ابن الزَّيات[2] فى رثاء زوْجه :

أَلَا مَنْ رأى الطِّفْلَ المُفارقَ أُمَّه بَعِيدَ الكَرَى عَيْنَاهُ تنسكِبَان

(١) الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى أعوج وهو فرس كريم لبنى هلال ، والمشرفية : السيوف ، وملء فى الشطرين منصوب على الحال ، وخبر المبتدأ فى الشطر الأول الظرف خلفهم ، وفى الشطر الثانى الظرف فوقهم ؛ يصف المتنبى إحاطة جيوش سيف الدولة بأعدائه .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك ، وإنما اشتهر بابن الزيات لأن جده كان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد ، كان أديباً شاعراً بليغاً ، وقد توزر للمعتصم ولابنه الواثق من بعده ، وتوفى سنة ٢٢٣ هـ .

(٢) ويُنسب إلى السموءل :

نَسِيلُ على حدّ السُّيوفِ نُفوسُنَا وَلَيْسَ على غَيْرِ السُّيُوفِ نَسِيلُ

(٣) أَلِمّا على مَعْنٍ وَقولاَ لِقبرِهِ سَقَتْكَ الغوادِى مُرْبِعاً ثُمَّ مُرْبِعَا[1]

(٤) لَا أَرْكَبُ البَحرَ إِنِّى أَخافُ مِنْهُ المَعَاطِبْ[2]

طِينٌ أَنا وَهْوَ مَاءٌ وَالطِّينُ فِى المَاءِ ذَائِبْ

(٥) وما مِنْ يدٍ إلا يَدُ اللهِ فَوْقَها وَلا ظَالِمٍ إِلَّا سَيُبْلَى بِأَظْلَمِ

(٦) وقال المتنبى فى دم كافور :

إِنِّى نزلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهُمُ عَنِ القِرَى وَعَنِ التِّرْحَالِ مَحْدُودُ[3]

(٧) وقال :

رَأَيْتُكَ مَحْضَ الحِلْمِ فى مَحْضِ قُدْرَةٍ وَلَوشِئْتَ كان الحِلْمُ مِنْكَ الْمُهَنَّدا[4]

(٢)

بيِّن كل مجاز مرسل وعلاقته فيما يأتى :

(١) سَكَنَ ابنُ خَلْدُون مِصْرَ .

(٢) من الناس من يأكل القمح ومنهم من يأكل الذرة والشعير .

(٣) إنَّ أمير المؤمنين نَشَرَ كنانته .

(٤) رَعَيْنا الغَيْث .

(٥) «فى رحمة الله هُمْ فيها خَالِدُون» .

(١) ألما : انزلا به ، الغوادى : جمع غادية وهى السحابة تنشأ غدوة أو مطرة الغداة . والأحسن فى مربع هنا أن تكون اسماً مأخوذاً من أربعة ؛ والمعنى سقتك الغوادى أربعة أيام متوالية ثم أربعة أخرى متوالية يدعو بكثرة السقيا القبر . (٢) المعاطب : المهالك .

(٣) محدود : أى ممنوع ، يعنى أن الذين نزل بساحتهم كذابون فى وعودهم ، ضيفهم ممنوع من الطعام لبخلهم ، وهم يمنعونه الرحيل حتى يظن الناس فيهم الكرم .

(٤) المحض : الخالص ، والمهند : السيف الهندى ، والمراد به هنا الحرب ؛ يقول رأيتك خالص الحلم فى قدرة خالصة لا يشوبها عجز ، ولو شئت أن تجعل الحرب مكان الحلم لفعلت .

(٦) حَمَى فلان غَمامَةَ وَاديه (أى عُشْبه)

(٧) قال تعالى فى شأن موسى عليه السلام :

«فَرجعْناك إلى أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُها ولَا تَحْزَن» .

(٨) وقال تعالى : «فَمَنْ شَهد مِنْكُم الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» . (أى هلال الشهر).

(٩) سأُجازيكَ بما قَدَّمَتْ يَدَاكَ .

(١٠) وقال تعالى : «واركَعُوا مَعَ الرَّاكِعينَ» (أى صَلُّوا) .

(١١) وقال تعالى : «فَبشرناه بغُلام حَليم» .

(١٢) وقال تعالى : «يقُولُونَ بأَفْواهِهِمْ ما ليْس فى قُلُوبهمْ» .

(١٣) أَذَلَّ فلانٌ ناصية فلان[1].

(١٤) سقَت الدَّلْوُ الأَرْضَ .

(١٥) سال الوادى .

(١٦) قال عنترة :

فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثيابَهُ ... لَيْسَ الكريم على القنا بمُحَرَّمِ[2]

(١٧) لا تجالسوا السفهاء علَى الحُنْقِ (أى الخمر) .

(١٨) وقال أعرابى لآخر : هل لك بيت ؟ (أى زوج) .

(٣)

بيِّن من المجازات الآتية ما علاقته المشابهة ، وما علاقته غيرها :

(١) الإسلام يحثُّ على تحرير الرِّقاب .

(٢) مليكٌ شاد لِلْكِنانَةِ مجْدًا ... أَحْكَمتْ وضْع أُسِّهِ آباؤُهْ

(٣) تفرَّقَتْ كلمةُ القوم .

(١) الناصية : الرأس . (٢) الرمح الأصم : الصلب المصمت . والمراد بالثياب هنا القلب ، يصف نفسه بالإقدام ويقول : إن الكريم ليس بمحرم ولا بعزيز على الرماح .

(٤) غاض الوفاءُ وفاضَ الغَدْر .

(٥) واجْعَلْ لى لِسَانَ صِدْقٍ فى الآخرين .

(٦) أَحيا المطرُ الأَرض بعدَ مَوْتها .

(٧) «كُتِبَ عَلَيْكم القِصاصُ فى القَتلى» : (أى فيمن سيقتلون) .

(٨) قرر مجلس الوزراء كذا .

(٩) بَعثتَ إلىَّ بحديقةٍ جلَّتْ معانيها ، وأُحْكِمَتْ قوافيها .

(١٠) شربتُ البُنَّ .

(١١) لا تكن أُذُناً تتقبَّل كل وِشَاية .

(١٢) سَرَقَ اللصُّ المنزل .

(١٣) قال تعالى : «إنى أرانى أعْصِر خَمْرًا» .

(٤)

استعمل كل كلمة من الكلمات الآتية مجازًا مرسلاً للعلاقة التى أمامها :

(١) عَين ـ الجزئية .
(٢) الشام ـ الكلية .
(٣) المدرسة ـ المحلية .
(٤) المدينة ـ المحلية .
(٥) الكتان ـ اعتبار ما كان .
(٦) رجال ـ اعتبار ما يكون .

(٥)

ضع كل كلمة من الكلمات الآتية فى جملتين بحيث تكون مرةً مجازًا مُرسلًا ، ومرة مجازًا بالاستعارة :

القلم ـ السيف ـ رأس ـ الصديق

(٦)

اشرح البيتين وبيِّن ما فيهما من مجاز :

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرى مِنْ أُناس ... إنَّ تَحْتَ الضلوعِ داءً دويًّا[1]

فَضَعِ السَّوْطَ ورْفَعِ السَّيْفَ حتَّى ... لَا تَرى فَوْقَ ظَهرها أَمويًّا

(١) الداء الدوى : الشديد .

الكناية

الأمثلة :

(١) تقولُ العرب : فُلانَةُ بَعِيدَةُ مَهْوَى القُرْطِ .

(٢) قالت الْخَنْسَاءُ[١] فى أخيها صخرٍ :

طَوِيلُ النِّجادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ كَثِيرُ الرَّمَادِ إذا مَا شَتَا[٢]

* * *

(٣) وقال آخر فى فضل دار العلوم فى إحياء لغه العرَب :

وَجَدَتْ فيكِ بِنْتُ عَدْنانَ دارًا ذَكَّرَتْها بَدَاوَةَ الْأَعْرَاب

(٤) وقال آخر :

الضَّاربين بكُلِّ أَبْيَضَ مِخْذَمٍ والطاعِنينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ[٣]

* * *

(٥) المجدُ بَيْنَ ثَوْبَيْكَ . والكَرَمُ مِلْءُ بُرْدَيك .

البحث :

مَهْوَى القُرْط المسافة من شَحْمَةِ الأُذن إلى الكتِفِ . وإذا كانت هذه المسافة بعيدةً لَزم أن يكون العُنُق طويلاً ؛ فكأن العربىَّ بدلَ أن يقول : «إن هذه المرأة طويلةُ الجيدِ» نفحَنا بتعبير جديد يُفيد اتصافها بهذه الصِّفة .

وفى المثال الثانى تصِف الخنساء أخاها بأنه طويل النجاد ، رفيع العِماد ، كثير الرماد . تريد أن تدل بهذه التراكيب على أنه شجاعٌ ،

(١) هى تماضر بنت عمرو لها منزلة رفيعة فى الشعر وقد اشتهرت برثاء أخيها صخر ، أسلمت مع قومها وماتت سنة ٢٤ هـ . (٢) شتا بالمكان ، أقام به شتاء . (٣) الضاربين منصوب بأمدح محذوفاً ، والأبيض : السيف ، والمخذم على وزن المبرد : السيف السريع القطع ، والأضغان ، جمع ضغن وهو الحقد .

عظيم فى قومه ، جوادٌ ، فعَدلت عن التصريح بهذه الصفات إلى الإشارة إليها والكِناية عنها ، لأنه يَلْزمُ من طول حِمَالةِ السيف طولُ صاحبِهِ ، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة ، ثم إنه يلزم من كونه رفيعَ العماد أن يكون عظيم المكانة فى قومه وعشِيرته ، كما أنه يلزم من كثرة الرَّماد كثْرةُ حرق الحطَب ، ثم كثرة الطبخ ، ثم كثرة الضيوف ، ثم الكرم ، ولما كان كل تركيب من التراكيب السابقة ، وهى بعيدة مهوى القرط ، وطويل النجاد ، ورفيع العماد ، وكثير الرماد ، كُنِّى به عن صفة لازمة لمعناه ، كان كل تركيب من هذه وما يشبهه كناية عن صفة .

وفى المثال الثالث أراد الشاعر أن يقول : إن اللغة العربية وجدت فيك أيتها المدرسة مكاناً يذكرها بعهد بدَاوتها . فعَدَل عن التصريح باسم اللغة العربية إلى تركيب يشير إليها ويُعَدُّ كناية عنها وهو «بنتُ عدْنان» .

وفى المثال الرابع أراد الشاعر وصف ممدوحيه بأنهم يطعنون القلوب وقت الحرب فانصرف عن التعبير بالقلوب إلى ما هو أملح وأوقع فى النفس وهو «مجامع الأضغان» ، لأن القلوب تُفهم منه إذ هى مُجْتَمَعُ الحِقد والبغض والحسد وغيرها .

وإذا تأملت هذين التركيبين وهما : «بنت عدنان» و «مجامع الأضغان» رأيت أن كلاًّ منهما كُنِّى به عن ذات لازمة لمعناه ، لذلك كان كل منهما كناية عن موصوف وكذلك كل تركيب يماثلهما .

أما فى المثال الأخير فإنك أردت أن تَنْسُب المجد والكرم إلى من تخاطبه ، فعدلت عن نِسْبتهما إليه مباشرة ونَسَبتهما إلى ما له اتصال به ، وهو الثوبان والبُرْدان ، ويسمى هذا المثال وما يشبهه كناية عن نسبة . وأظهرُ علامة لهذه الكناية أن يصرح فيها بالصفة كما رأيت ، أو بما يستلزم الصفة ، نحو : فى ثوبيه أسد ، فإن هذا المثال كناية عن نسبة الشجاعة .

وإذا رَجَعْتَ إلى أمثلة الكناية السابقة رأيت أن منها ما يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقى الذى يفهم من صريح اللفظ ، ومنها ما لا يجوز فيه ذلك .

القواعد :

(٢٦) الكِنايَة لفظٌ أُطْلِقَ وأُريدَ به لازمُ مَعْناهُ مَعَ جَوَاز إرادةِ ذلك المعنَى .

(٢٧) تَنْقَسِمُ الكِنايةُ باعتبار المَكْنِيِّ عنهُ ثلاثة أقسام ، فإنَّ المَكْنِيَّ عنه قد يَكونُ صِفَةً ، وقد يَكون موصوفاً ، وقد يَكونُ نِسْبة[1] .

نَمُوذَجٌ

(١) قال المتنبي فى وقعة سيف الدولة بِبَنِى كلاب :

فَمَسَّاهُم وَبُسْطُهُم حَرِيرٌ وَصَبَّحَهم وبُسْطُهُمُ تُراب[2]
ومِنْ فِى كفِّهِ منهم قَنَـاةٌ كمَنْ فِى كفِّه منهم خِضابُ

(٢) وقال فى مدح كافور :

إنَّ فِى ثَوْبِكَ الذى المَجْدُ فيه لضِياءٌ يُزْرِى بكلِّ ضِياء[3]

الإجابة

(١) كَنَى بكَوْن بُسْطِهم حريراً عن سيادتهم وعزتهم ، وبكَوْن بسطهم تراباً عن حاجتهم وذلهم ، فالكناية فى التركيبين عن صفة .

(٢) وكَنَى بمنْ يخيل قناة عن الرجل ، وبمن فى كفه خضاب عن المرأة

(١) إذا كثرت الوسائط فى الكناية نحو : كثير الرماد ، سميت تلويحاً ، وإن قلت وخفيت نحو : فلان من المستريحين ، كناية عن الجهل والبلاهة ، سميت رمزاً ، وإن قلت الوسائط ، ووضحت أو لم تكن سميت إيماء وإشارة . نحو : الفضل يسير حيث سار فلان ، كناية عن نسبة الفضل إليه . ومن الكناية نوع يسمى التعريض ، وهو أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق ، كأن تقول لشخص يضر الناس : « خير الناس أنفعهم للناس » ، وكقول المتنبى يعرض بسيف الدولة وهو يمدح كافوراً :

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا

(٢) القناة : عود الرمح . (٣) أزرى به : استهان ، يقول : إن فى ثوبك لضيا من المجد يفوق كل ضياء بقوة إشراقه .

وقال : إنهما سواء فى الضعف أمام سطوة سيف الدولة وبطشه ، فكلتا الكنايتين كناية عن موصوف .

(٣) أراد أن يُثْبت المجدَ لكافور فترك التصريح بهذا وأثبته لما له تعلق بكافور وهو الثوب ، فالكناية عن نسبة .

تمرينات

(١)

بيِّن الصفة التى تلزم من كل كناية من الكنايات الآتية :

(١) نئومُ الضُّحا . (٢) أَلْقَى فلان عصاه .

(٣) ناعمة الكفين . (٤) قَرع فلانٌ سِنَّه .

(٥) يُشار إليه بالبنان . (٦) « فأَصْبح يقلِّب كَفَّيْهِ على ما أَنْفق فيها وهى خاوية » .

(٧) ركِب جناحى نَعامة (٨) لوت الليالى كفه على العصا .

(٩) قال المتنبى فى وصف فرسه :

وأصرعُ أى الوحْش قَفَّيْته بِهِ وأَنْزِلُ عنه مثْله حِين أَرْكَب[1]

(١٠) فلان لا يضع العصا عن عاتقِهِ .

(٢)

بيِّن الموصوف المقصود فى كل كناية من الكنايات الآتية :

(١) قوم ترى أرْماحهمْ يوْم الوغى مشغُوفةً بمواطِنِ الكتْمان

(٢) وقال تعالى : « أَوَمَن ينشَّأُ فِى الحِلْيةِ وهو فِى الخِصامِ غيرُ مبين[2] » .

(١) أصرع : أقتل ، وقفيته : أتبعته ، ومثله حال من الضمير فى عنه يقول : إذا اتبعت بهذا الفرس وحشاً أدركته وصرعته ، ونزلت عنه بعد الصيد وهو باق على نشاطه مثلما كان عند الركوب . (٢) ينشأ فى الحلية : يربى فى الزينة ، والخصام : الجدال ، وغير مبين : غير قادر على الإبانة عما فى ضميره ، ومعنى الآية : أو جعلوا لله البنات ومن اللائى يتربين فى الزينة ، ولا يقدرن على الإبانة حين الخصام والجدال .

(٣) كان المنصور[١] فى بستان فى أيام محاربته إبراهيم بن عبد الله بن الحسن[٢] ونظر إلى شجرة خلاف[٣] ، فقال للربيع[٤] . ما هذه الشجرة ؟ فقال . طاعةً يا أمير المؤمنين !

(٤) مرَّ رجل فى صحن دار الرشيد ومعه حُزْمَة خَيزُران ، فقال الرشيد للفضل بن الربيع[٥] : ما ذاك ؟ فقال عروق الرماح يا أمير المؤمنين ، وكره أن يقول . خَيْزُران ؛ لموافقة ذلك لاسم أمّ الرشيد .

(٥) قال أبو نُوَاس[٦] فى الخمر :

ولمَّا شربناها وَدبَّ دبيبها إلى موطِنِ الأَسرَار قُلتُ لها قِفِى

(٦) وقال المعرى فى السيف :

سَليلُ النَّار دق ورقَّ حتَّى كأَنَّ أباه أَوْرَثه السُّلالا[٧]

(٧) كبِرَت سنُّ فلان وجاءه النذير .

(٨) سئل أعرابى عن سبب اشتعال شيبه ، فقال . هذا رغْوة الشباب .

(٩) وسئل آخر ، فقال . هذا غبار وقائع الدهر .

(١) هو ثانى خلفاء بنى العباس وبانى مدينة بغداد ، كان عارفاً بالفقه والأدب مقدماً فى الفلسفة والفلك محبا للعلماء ، بعيداً عن اللهو والعبث كثير الجد والتفكير ، توفى بمكة حاجاً سنة ١٥٨ هـ . (٢) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن هو أخو محمد على بن أبى طالب ، وأحد الأمراء الأشراف الشجعان ، خرج على المنصور العباسى فاستولى على البصرة ، ثم كان بينه وبين جيوش المنصور وقائع هائلة، وقتل سنة ١٤٥ هـ . (٣) شجر الخلاف : صنف من الصفصاف .

(٤) هو الربيع بن يونس ، وكان جليلا نبيلا فصيحاً خبيراً بالحساب والأعمال حاذقاً بأمور الملك بصيراً بما يأتى ويذر . (٥) الفضل بن الربيع أديب حازم من كبار خصوم البرامكة ولى الوزارة بعد أن قضى الرشيد عليهم ، ثم توزر للأمين بن الرشيد ، ولما ظفر المأمون واستقام له الملك أبعده وأهله حتى توفى سنة ٢٠٨ هـ . (٦) هو أبو على الحسن بن هانئ الشاعر المشهور ، كان من أجود الناس بديهة وأوفرهم حاشية ، قال فيه الجاحظ : لا أعرف بعد بشار مولداً أشعر من أبى نواس ، ولد سنة ١٤١ هـ وتوفى سنة ١٩٥ هـ . (٧) السليل : الولد ، والسلال : السل ، وهو داء معروف يضنى الأجسام وينحفها ، يقول : إن السيف الذى هو وليد النار قد رق جسمه حتى إنه ليشبه ولداً سليلا قد ورث السل عن أبيه .

(١٠) يروى أن الحجّاج قال للغضبان بن القبَعْثَرَى : لأَحْمِلَنَّكَ على الأَدهم[١] ، فقال : مثلُ الأمير يحمِلُ عَلَى الأَدهم والأَشهب ؛ قال . إنه الحديد ؛ قال . لأَن يكون حديدا خيرٌ من أن يكون بليدًا .

(٣)

بين النسبة التى تلزم كل كناية من الكنايات الآتية :

(١) إن السماحَةَ والْمُرُوءَة والنَّدَى فِى قُبةٍ ضُرِبَت علَى ابْن الحشْرَج[٢]

(٢) قال أعرابى : دخلتُ البَصرَةَ فإذا ثيابُ أحرار على أجساد عبيد .

(٣) وقال الشاعر :

اليمنُ يَتبَــعُ ظِلَّهُ والْمَجْدُ يَمشِى فِى رِكابهْ[٣]

(٤)

بيِّن أنواع الكنايات الآتية وعين لازم معنى كل منها :

(١) مدح أعرابى خطيباً فقال : كان بَلِيلَ الرِّيق قليلَ الحركات[٤] .

(٢) وقال يزيد بن الحكم[٥] فى مدح المهلب[٦] .

أَصْبَحَ فِى قَيْدِك السماحة والمَجْ ـــدُ وفضْل الصلاح والْحسبُ

(٣) وتقول العرب : فلان رَحْب[٧] الذراع ، نقىُّ الثوب ، طاهر الإزار ؛ سليم دواعى الصدر[٨] .

(١) يريد الحجاج بالأدهم القيد ، وبالحديد المدن المعروف ، وقد حمل القبعثرى الأدهم على الفرس الأدهم وهو الأسود ، وحمل الحديد على الفرس الذى ليس بليداً .

(١) ابن الحشرج : اسمه عبد الله ، وكان سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها ، ولى كثيراً من أعمال خراسان ومن أعمال فارس وكرمان ، وكان جواداً كثير العطاء .

(٣) اليمن : البركة ، والركاب : الإبل التى يسار عليها . (٤) يقول : إنه رطب اللسان ، تخرج كلماته من فيه بسهولة ، ولا يتمتع فى إظهار مراده بإشارة أو حركة .

(٥) شاعر مشهور من شعراء العصر الأموى ، ولاه الحجاج كورة فارس ثم عزله قبل أن يصل إليها ، وكان أبى النفس شريفاً ، وطبقته فى الشعر عالية ، توفى سنة ٩٠ هـ .

(٦) هو المهلب بن أبى صفرة أمير فاتك جواد ، تولى خراسان من قبل عبد الملك بن مروان ، وقد توفى بها سنة ٨٣ هـ . (٧) الرحب : الواسع . (٨) دواعى الصدر : همومه ، وسليم دواعى الصدر حق سلم صدره من أسباب الشر .

(٤) وقال البحترى يصف قتله ذئباً :

فأتبعتُها أخرَى فأضللتُ نصلَها ... بحَيْثُ يكُون اللُّبُّ والرُّعْبُ والجِقْدُ[1]

(٥) وقال آخر فى رثاء من مات بعِلَّةٍ فى صدره :

وديَّت فى موْطِنِ الحِلْمِ عِلَّةٌ ... لها كالصِّلال الرُّقْشِ شرٌّ دَبِيبِ[2]

(٦) ووصف أعرابى امرأة فقال : تُرخى ذيلها على عُرْقُوبَىْ نعامة .

(٥)

بيِّن نوع الكنايات الآتية ، وبيِّن منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ وما لا يصحُّ :

(١) وصف أعرابى رجلاً بسوء العِشرَة فقال :

كان إذا رآنى قرَّب مِن حاجبٍ حاجباً .

(٢) وقال أبو نواس فى المديح :

فما جازه جُودٌ وَلاَ حل دونَهُ ... ولكنْ يَسِيرُ الجودُ حيثُ يَسِير

(٣) وتكنِّى العربُ عمن يجاهر غيرَه بالعداوة بقولهم :

لَبِس له جِلْدَ النَّمِرِ ، وجِلْد الأَرْقَم[3] ، وقَلَبَ له ظَهْرَ المِجَنّ[4] .

(٤) فلان عريض الوِساد[5] ، أغمُّ القفَا[6] .

(١) ضمير أنيمتها يعود على الظبية ، وأضللت : أخفيت ، والنصل : حديدة السيف ، واللب : العقل ، والرعب : الفزع والخوف . (٢) الصلال جمع صل بالكسر : ضرب من الحيات صغير أسود لا نجاة من لدغته ، والرقش جمع رقشاء وهى التى فيها نقط سوداء فى بياض والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء . (٣) الأرقم : الحية فيها سواد وبياض .

(٤) المجن : الترس ؛ قلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد .

(٥) عريض الوساد : أى طويل العنق إلى درجة الإفراط ، وهذا مما يستدل به على البلاهة وقلة العقل . (٦) القفا : غزارة الشعر حتى تضيق منه الجبهة أو القفا ، وكان يزعم العرب أن ذلك دليل على الغباوة .

(٥) قال الشاعر :

نجُول خلاخِيلُ النِّساء ولاَ أرَى ... لِرَمْلةَ خَلْخَالاً يَجُولُ وَلاَ قُلْبا[1]

(٦) وتقول العرب فى المديح : الكرم فى أثناء حُلَّته ، ويقولون فلان نفخ شِدْقَيْهِ ، أى تكبر ، ووَرِم أنْفُه إذا غضب .

(٧) قالت أعرابية لبعض الولاة : أشكو إليك قِلَّةَ الجُرْذَان[2] .

(٨) وقال الشاعر :

بِيضُ المَطابِخِ لاَ تَشْكُو إمَاوُهُمُ ... طَبْخَ القُدُورِ ولاَ غَسْلَ المَنَادِيل

(٩) وقال آخر :

مَطْبَخُ دَاوُدَ فى نَظَافَتِهِ ... أشْبَهُ شَىْء بِعَرْش بِلْقِيس[3]

ثِيابُ طبَّاخِهِ إذَا اتَّسَخَتْ ... أنْقَى بَيَاضاً مِنَ القَراطِيس

(١٠) وقال آخر :

فَتًى مُخْتَصَرُ المأْكُو ... لِ والمَشْرُوبِ والعِطْرِ

نَقِىُّ الكَأْس والقَصْعَـ ... ـةِ والمِنْدِيل والقِدْر

(٦)

اشرح البيت الآتى وبيِّن نوع الكناية التى به :

فلَسْنَا عَلَى الأَعْقاب تَدْمَى كُلُومُنَا ... ولكِنْ على أقْدَامِنا تَقْطُرُ الدِّمَا[4]

(١) رملة : اسم امرأة ، والقلب بالضم : السوار . (٢) الجرذان : جمع جرذ وهو ضرب من الفأر . (٣) بلقيس بكسر الباء . ملكة سبأ ، وسبأ : عاصمة قديمة لبلاد اليمن . (٤) الأعقاب : جمع عقب وهو مؤخر القدم ، والكلوم : الجراح ، يقول : نحن لا نولى فنجرح فى ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا ، ولكنا نستقبل السيوف بوجوهنا فإن جرحنا قطرت الدماء على أقدامنا .

بلاغة الكِناية

الكناية مَظْهَر من مظاهر البلاغة ، وغاية لا يَصِل إليها إلا من لَطف طبعُه وصَفَتْ قريحته ، والسِّرُّ فى بلاغتها أنها فى صور كثيرة تُعطِيكَ الحقيقة مصحوبة بدليلها ، والقضية وفى طَيِّها بُرْهَانُها ، كقول البحترى فى المديح :

يَغُضُّونَ فَضْلَ اللَّحْظِ مِنْ حيثُ مَا بَدَا لهُم عنْ مَهيبٍ فى الصُّدور محَبَّبِ

فإنه كَنَى عن إكبار الناس للممدوح وَهَيْبتِهِمْ إيَّاه بغَضِّ الأبصار الذى هو فى الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال ، وتظهر هذه الخاصة جليةً فى الكنايات عن الصفة والنسبة .

ومن أسباب بلاغة الكناية أنها تَضَع لك المعانى فى صور المُحَسَّات ، ولا شك أنَّ هذه خاصة الفنون فإن المصوِّر إذا رسم لك صورة للأمل أو اليأس بَهرَك وجَعَلك ترى ما كنت تَعْجزُ عن التعبير عنه واضحاً ملموساً .

فمثل «كثير الرّماد» فى الكناية عن الكرم و «رسول الشرّ» فى الكناية عن المزاح وقول البحترى :

أوَمَا رأيْتَ المَجْدَ ألْقَى رَحْلَهُ فِى آل طَلْحَةَ ثم لَمْ يتَحَوَّلِ

فى الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة ، كلُّ أولئك يُبرِزُ لك المعانى فى صورة تشاهدها وترتاح نفسُك إليها .

ومن خواص الكناية أنها تمكِّنك من أن تَشْفِىَ غُلَّتك من خصْمك من غير أن تجعل له سبيلاً ؛ ودون أن تَخْدِشَ وجه الأدب ، وهذا النوع يسمى بالتعريض ، ومثاله قول المتنبى فى قصيدة يمدح بها كافوراً ويُعرِّض بسيف الدولة :

رحلتُ فكَمْ باكٍ بأجْفانِ شادِنٍ عَلَىَّ وكم باكٍ بأجفانِ ضَيْغَمِ[1]

(١) الشادن : ولد الغزال ، والضيغم : الأسد ، أراد بالباكى بأجفان الشادن المرأة الحسناء ، وبالباكى بأجفان الضيغم ، الرجل الشجاع ، يقول كم من نساء ورجال بكوا على فراقى وجزعوا لارتحالى .

وَمَا ربة القُرْطِ المَليح مكانُهُ بأَجْزَعَ منْ رَبِّ الحسَام المصَمِّم[1]

فَلَوْ كان ما بى مِنْ حَبيبٍ مُقَنَّعٍ عذَرْتُ ولكنْ من حبيبٍ مُعَمَّمِ

رَمى واتقى رَمْيى ومنْ دُونِ ما اتَّقَى هَوًى كاسرٌ كَفَّى وقوسى وأسْهُمى

إذا ساء فِعْلُ المرء ساءت ظُنُونُه وَصَدَّقَ مـا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

فإنه كنى عن سيف الدولة أولاً بالحبيب المعَمَّم ، ثم وصفه بالغدر الذى يدَّعى أنه من شِيمةِ النساء ، ثم لامه على مبادهته بالعدوان ، ثم رماه بالجبن لأنه يَرْمى ويتقى الرمى بالاستتار خلف غيره ، على أن المتنبى لا يجازيه على الشرِّ بمثله لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً يكسِر كفه وقوسَه وأسْهُمَه إذا حاول النضال ، ثم وصفه بأنه سيِّ الظن بأصدقائه لأنه سيِّئ الفعل كثير الأوهام والظنون حتى ليظن أن الناس جميعاً مثلهُ فى سوء الفعل وضعف الوفاء . فانظر كيف نال المتنبى من سيفِ الدولة هذا النيل كلَّه من غير أن يذكر من اسمه حرفاً .

هذا ، ومن أوضح ميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسيغُ الآذان سماعَه ، وأمثلة ذلك كثيرة جدًّا فى القرآن الكريم وكلام العرب ، فقد كانوا لا يعبِّرون عما لا يحسن ذكره إلاَّ بالكناية ، وكانوا لشدَّة نخْوتهم يَكْنُون عن المرأة بالبَيْضَة والشاة .

ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب :

ألاَ يا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكِ ورَحمَةُ اللهِ السَّلامُ[2]

فإنه كَنَّى بالنخلة عن المرأة التى يحبها .

ولعلَّ هذا المقدار كاف فى بيان خصائص الكناية وإظهار ما تضمنته من بلاغة وجمال .

(١) القرط : ما يعلق فى شحمة الأذن ، والحسام : السيف القاطع ، والمصمم : الذى يصيب المفاصل ويقطعها ، يقول : لم تكن المرأة الحسناء بأجزع على فراق من الرجل الشجاع .

(٢) ذات عرق : موضع بالبادية وهو مكان إسراع أهل العراق .

أثر علم البيان فى تـأدية المعانى

ظهر لك من دراسة علم البيان أنَّ معْنًى واحدًا يستطاع أداؤهُ بأساليب عِدَّة وطرائقَ مختلفة . وأنّه قد يوضع فى صورة رائعة من صور التشبيه أو الاستعارة ، أو المجاز المرسل ، أو العقلى ، أو الكناية .

فقد يصف الشاعر إنساناً بالكرم فيقول :

يريد المُلوكُ مَدى جَعْفرٍ ولاَ يَصْنَعونَ كما يَصْنَعُ
وَلَيْس بأَوْسعِهِمْ فِى الغِنَى ولكِنَّ مَعـرُوفَه أَوسَعُ

وهذا كلامٌ بليغ جدًّا مع أنه لم يُقْصَد فيه إلى شبيه أو مجاز ، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته ، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل ، مع أنه ليس بأغنى منهم ولا بأكثر مالاً .

وقد يعمِد الشاعر عند الوصف بالكرم إلى أسلوب آخر فيقول :

كالْبَحْرِ يَقْذِف للقَرِيب جواهِرًا جودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبَا

فيشبِّه الممدوحَ بالبحر ، ويَدْفَعُ بخيالك إلى أن يضَاهِى بين الممدوح والبحر الذى يقذِف الدرر للقريب ويُرسل السحائب للبعيد .

أو يقول :

هو الْبَحْرُ مِنْ أىِّ النواحى أَتَيْتَهُ فلُجَّتُهُ المعْروفُ وَالجُود سَاحِلُهْ

فيدعى أنه البحر نفسه وينكر التشبيه نُكراناً يدل على المبالغة وادعاء المماثلة الكاملة .

أو يقول :

علا فَما يَسْتَقِرُّ الْمال فى يدِه وكَيْف تمْسكُ ماء قُنَّةُ الجَبَلِ

فيرسل إليك التشبيه من طريق خفىّ ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى فى البلاغة ، وليجعل لك من التشبيه الضمنىّ دليلاً على دعواه ، فإنه ادعى

٨ – ألمـا على معن وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعا بعد مربع[1]

٩ – قال الخطيئة :

ندمت على لسان كان مني فنيت بأنه في جوف عكم

المبحث الخامس في الاستعارة ومنزلها في البلاغة

قال الإمام في «أسرار البلاغة»: اعلم أن الاستعارة أمد ميداناً وأشد افتناناً وأوسع سمة وأبعد غوراً وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً[2] من أن تجمع شعبها وشعوبها وتحصر فنونها وضروبها ، ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعاني حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها ، إن شئت أرتك المعاني التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون ، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون ، انتهى .

وللاستعارة إطلاقان :

١ – المعنى المصدري ، وهو فعل المتكلم ، أعني استعمال لفظ المشبه بـه في المشبه بقرينة صارفة عن الحقيقة .

وأركانها بهذا المعنى ثلاثة: مستعار وهو اللفظ، ومستعار منه وهو المشبه به ومستعار له وهو المشبه .

٢ – المعنى الاسمي ، وهو اللفظ المستعمل في غير المعنى الموضوع له لمناسبة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة تصرف عـن إرادة المعنى الأصلي ، كقولك : رأيت أسـداً ، تعني رجلاً شجاعاً ، وبحراً تريد جواداً ، وشمساً تريد إنساناً مضيء الوجه متهللاً ، وسللت سيفاً على العدو تقصد رجـلاً ماضياً في نصرتك .

فأنت بهذا قد استعرت اسم الأسد للرجل الشجاع ، فأفدت بهذه الاستعارة المبالغة في وصفه بالشجاعة وإيقاعك منه في نفس السامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وشدته ، الى غير ذلك من المعاني المركوزة في طبيعته الدالة على الجرأة،

(١) الغوادي جمع غادية ، السحابة تنشأ غدوة ، والربـع : المطر في الربيـع .
(٢) الغور الأول: القعر ، والثاني: الوادي .

وأفدت باستعارة البحر له سعته في الجود وفيض الكف ، وباستعـارة السيف له إعطائه ما لها من البهاء الحسن الذي يبهر العيون ويملأ النواظر ، وباستعارة السيف له إعطائه ما له من الحدة والمضاء .

وهي تشبيه حذف أحد طرفيه وأداته ووجه الشبه ، لكنها أبلغ منه لأننا مهما بالغنا في التشبيه فلا بد من ذكر الطرفين وهذا اعتراف بتباينهما وأن العلاقة بينهما ليست إلا التشابه والتداني فـلا تصل حد الاتحاد ، إذ جعلك لكل منهما اسماً يمتاز به دليل على عدم امتزاجهما واتحادهما، بخلاف الاستعارة فإن فيها دعوى الاتحاد والامتزاج ، وأن المشبه والمشبه بـه صار شيئاً واحداً يصدق عليهما لفظ واحد ، فإن قلت : رأيت بحراً يعطي البائس والمحتاج ، كنت قد جعلت الجواد والبحر شيئاً واحداً حتى صح أن تسمي أحدهما باسم الآخر ، ولولا ما أقمت من الدليل (القرينة) على مـا تريد ، لما خطر ببال المخاطب غير البحر الذي تعورف بهذا الاسم .

ومن قبل هذا اشترط فيها تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، فلا يذكر وجه الشبه ، ولا أداته ، لا لفظاً ولا تقديراً ، كما لا يجمع فيها بين الطرفين على وجه ينبىء عن التشبيه بأن يكون المشبه به خبراً[1] عن المشبه أو في حكم الخبر[2] كما في بابي كان ، وإن المفعول الثاني[3] في باب ظن، أو حالا[4]، أو صفة[5]، أو مضافاً كلجين[6] الماء، أو مصدراً مبيناً لنوعه[7]

(١) كقوله عليه السلام للانصار : « أنتم الشعار والناس الدثار » .
(٢) نحو : ان محمداً قذى في عين إبراهيم ، وقول البحتري :
بنت بالفضل والعلو فأصبحت سمـاء وأصبح الناس أرضا
(٣) كقوله عليه السلام : « لا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق » .
(٤) كقوله :
بدت قمراً ومالت حوط بان وفاحت عنبراً ورنت غزالا
(٥) كقولك : هذه امرأة قمر .
(٦) في قوله :
والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين المـاء
(٧) نحو : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » .

أو مبيناً بالمشبه صريحاً ، أو ضمناً كقوله [1] تعالى : ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ [2] ، فقد بيّن الخيط الأبيض بالفجر صريحاً ، وفي ضمنه تبيين الخيط الأسود بالليل ، فكل هذا تشبيه محذوف الأداة .

قال الإمام عبدالقاهر في بيان هذا : اذا دلت القرينة على تشبيه شيء ، فهذا على ضربين :

١ – أحدهما أن يسقط ذكر المشبه من البين حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته ، كقولك : عنت لنا ظبية ، وأنت تريد امرأة ، ووردنا بحراً ، وأنت تريد الممدوح ، وهذا تقول : إنه استعارة ولا تتحاشى البتة .

٢ – أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدراً ، وحينئذ فالمشبه به إن كان خبراً أو في حكم الخبر ، فالوجه أن يسمى تشبيهاً ولا يسمى استعارة ، لأن الاسم اذا وقع هذه المواقع كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما يعتمد عليه ، أو نفيه عنه فإذا قلت : زيد أسد ، فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له ، فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه ، فيكون خليقاً بأن يسمى تشبيهاً إذا كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى ، فإن الاسم فيها لم يجتلب لإثبات معناه للشيء ، كما اذا قلت : جاءني أسد ، ورأيت أسداً ، فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرؤية واقعاً منك عليه لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه وصار قصد التشبيه مكنوناً في الضمير لا يعلم إلا بعد الرجوع الى شيء من النظر والتأمل .

(إذا افترقت الصورتان هذا الافتراق ناسب أن يفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة بأن نسمي احداهما تشبيهاً ، والأخرى استعارة) .

---

(١) وقول بعضهم :

فما زلت في ليلين شعر وظلمة ... وشمسين من خمر ووجه حبيب

وقول شوقي :

ودخلت في ليلين فرعك والدجى ... وشمت كالصبح المنور فيلك

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

ثم قال : فإن أبيت إلا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون المشبه به معرفة كقولك : زيد الأسد ، فإنه يحسن أن يقال : زيد كالأسد ، وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في إطلاقه ، وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة كقولك : زيد أسد ، فإنه لا يحسن أن يقال : زيد كأسد ، ويحسن أن يقال : كأن زيد أسداً ، ووجدته أسداً ، وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير صورة الكلام كان إطلاقه أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه ، وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به كقولك : هو بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب ، وكقوله :

شمس تألق والفراق غروبها ... عنا وبدر والصدود كسوفه

فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة إلا بتغيير صورته كقولك : هو كالبدر إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنه لا تغيب ، وكالشمس المتألقة إلا أن الفراق غروبها ، وكالبدر إلا أن الصدود كسوفه . انتهى بتصرف واختصار كثير .

والتشبيه الذي يجب تناسيه هو الذي من أجله وقعت الاستعارة لا كل تشبيه فليس بمحظور أن تقول : رأيت أسداً في الحمام مثل الفيل في الضخامة ، ولا : جاورت ليثاً كأنه بحر متلاطم الأمواج .

ومن اشتراط ادعاء دخول المشبه في المشبه به يتضح لك أنه لا بد أن يكون المشبه به كلياً كاسم الجنس وعلم الجنس ، فلا تتأتى الاستعارة في الأعلام الشخصية لعدم تصور الشركة فيها حتى يمكن ادعاء دخول شيء في حقائقها إلا اذا تضمنت أوصافاً بها يصح أن تعتبر كأنها أجناس كتضمن حاتم الجود ، ومادر البخل ، وقس الفصاحة ، وباقل العي والفكاهة ، فتقول : رأيت اليوم حاتماً أو قساً ، وتدعي كلية حاتم ، أو قس ، ودخول المشبه في جنس الجواد والفصيح ، حتى كأن حاتماً موضوع لمن اتصف بالجود سواء أكان هو ذلك الطائي المشهور أم غيره ، وإن كان إطلاقه على الطائي حقيقة وعلى غيره ادعاء ، وكذا القول في قس ، وكل ما كان من هذا الضرب فسبيله هذه السبيل .

المبحث السادس في الاستعارة
أمجاز لغوي هي أم مجاز عقلي

يرى الجمهور أن الاستعارة مجاز لغوي وأيده الإمام في « أسرار البلاغة » ، وحجتهم على ذلك أنا إذا أجرينا اسم الأسد على الرجل الشجاع ، فإننا لا ندعي له صورة الأسد وشكله وعباله عنقه وغالبه ، ونحو ذلك من الأوصاف الظاهرة التي تبدو للعيون وتشاهد بالحواس ، وإنما ندعي له ذلك من أجل اختصاصه بالشجاعة التي هي من أخص أوصاف الأسد وأمكنها .

ومن الجلي الواضح أن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها ، بل لها في مثل تلك الجثة وهاتيك الصورة والهيئة ، ولو كانت وضعته للشجاعة وحدها لكان صفة لا اسماً ، ولكان كل شيء يبلغ في شجاعته الى هذا الحد جديراً بهذا الاسم على جهة الحقيقة ، لا على طريق التشبيه والتأويل .

ويرى آخرون أنها مجاز عقلي بمعنى أن التصرف[1] فيها في أمر عقلي لا لغوي واختاره الإمام في « دلائل الإعجاز » ودليلهم على ذلك أنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به ، لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة كيزيد ويشكر تستحق هذا الاسم ، ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة ، لأنه لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه .

وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان مستعملاً فيما وضع له ، ومن ثم صح التعجب في قول ابن العميد[2] يصف غلاماً له جبلاً :

قامت تظللني من الشمس ... نفس أعز عليّ من نفسي
قامت تظللني ومن عجب ... شمس تظللني من الشمس

كما صح النهي عنه في قول الحسن بن طباطبا :

(١) في هذا إشارة الى أنه لا يراد بالعقل هنا المجاز العقلي الآتي ، إذ هنا المجاز في الكلمة ، وفيما سيأتي المجاز في الاسناد ، بل المراد بالعقلي المتصرف فيه هو المعاني الحقيقية والتصرف فيها جعل بعضها نفس البعض الآخر ، وإن لم يكن كذلك في الحقيقة .

(٢) هو أبو الفضل محمد بن الحسين كاتب « ديوان الرسائل » للملك نوح بن نصر من الدولة البويهية .

يا من حكى الماء فرطُ رقته ... وقلبه في قساوة الحجر
يا ليت حظي كحظ ثوبك من ... جسمك يا واحداً من البشر
لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زرّ أزراره على القمر[1]

فلولا أن ابن العميد ادعى لغلامه معنى الشمس الحقيقي لما كان لهذا التعجب وجه ، إذ ليس ببدع ولا منكر أن يظلل إنسان حسن الوجه إنساناً ويقيه وهج الشمس بشخصه ، ولولا أن أبا الحسن جعل صاحبه قمراً حقيقياً لما كان للنهي عن التعجب معنى لأن الكتان إنما يسرع اليه البلى حين يلابس القمر الحقيقي لا إنساناً بلغ الغاية في الحسن .

وأنت إذا أنعمت النظر رأيت حجة الجمهور دامغة وأنها أحرى بالقبول ، بيان هذا أن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرجه عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له ، وأما صحة التعجب والنهي عنه فلبناء الاستعارة على تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه به عين المشبه حتى تتم المبالغة ، إذ من الواضح أن أسداً في قولك : رأيت أسداً ، مستعمل في الشجاع ، والمعنى الموضوع له الأسد الحقيقي لا الادعائي ، فكأنك ادعيت أن للأسد صورتين ، إحداهما متعارفة وهي التي لها الإقدام والبطش في الهيئة المعروفة للحيوان المعروف ، وثانيتهما غير متعارفة وهي التي لها الجرأة والقوة ، لكن لا مع تلك الصورة ، بل مع صورة أخرى على النحو الذي ادعاه المتنبي في عد نفسه وجماعته من جنس الجن ، وعد جماله من جنس الطير حين يقول :

نحن ركبٌ ملجن في زي ناس ... فوق طير لها شخوصُ الجمال

مستشهداً لدعواه بما يتخيل عرفاً من نحو حكمهم اذا رأوا إنساناً لا يقاومه أحد ، إنه ليس بإنسان ، وإنما هو أسد ، أو هو أسد في صورة إنسان .

والقرينة التي تنصب في الكلام تنفي المتعارف الذي يسبق الى الفهم ، وهو المعنى الأول ، وتعين ما أنت تستعمل له الأسد ، وهو الثاني المعنيين .

(١) البلى من بلى الثوب وقدم ، والغلالة ثوب صغير صبق الكمين كالقميص ، وزررت القميص عليه شددت أزراره ، وقد قيل : إن هذا تشبيه لا استعارة ، لأن المشبه مذكور ، وهو الضمير في : غلالته ، وأزراره .

(تنبيه) الفرق بين الاستعارة والكذب من وجهين :

(أ) بنـــاء الدعوى فيها على التأويل ، أي تأويل دخول المشبه في جنس المشبه به .

(ب) نصب القرينة على أن المراد بهـا خلاف ظاهرها ، أما الكاذب فيتبرأ من التأويل ، ويركب كل صعب وذلول لترويج مـا يدعيه وإيهام أن ليس الحق إلا ما يقول ولا ينصب دليلاً على خلاف ما يزعم ، وعلى هذا فليس ببدع أن تقع في كلام الله تعالى وكلام رسوله .

المبحث السابع في قرينة الاستعارة

الاستعارة نوع من المجاز ، فلا بد لها من قرينة تفصح عن الغرض ، وترشد الى المقصود ، ويمتنع معها إجراء الكلام على حقيقته ، وهي قسمان :

١ – حالية ، تفهم من سياق الحديث ، نحو : رأيت قمراً يخطب .

٢ – مقالية ، سواء أكانت معنى[1] واحداً ، نحـو : يرمي بالسهام ، من قولك : لرأيت أسداً يرمي بالسهام ، أو أكثر ، نحو :

فإن تعافوا العدل والإيمانا فإن في إيماننـا نيرانا[2]

فكل من العدل والإيمان باعتبار تعلق الإعاقة بـه قرينة على أن الغرض من النيران السيوف ، إذ هو دليل على أن جواب الشرط محذوف ، يقدر بنحو : تحاربون أو تلجئون الى الطاعة .

أو معاني ملتئمة ، مربوطاً بعضها ببعض ، بحيث تكون كلها قرينة ، لا كل واحد منها ، كما في قول البحتري :

وصاعقة من نصله تنكفي بهـا على أرؤوس الأقران خمس سحائب

فإذا نظرت الى ما صنع رأيته قد استعار السحائب الخمس لأنامل يمين الممدوح

---

(١) سواء أكان من ملائمات المشبه كما في التصريحية ، أم من ملائمات المشبه به ، كما في المكنية .

(٢) المعنى أنكم إن كرهتم العدل والانصاف وملتم الى الجور والخلاف فان في أيدينا سيوفاً تلمع كشعل النيران فلجئتكم بها الى الطاعة .

كما هي عادتهم في تشبيه الجواد بالبحر الخضم طوراً ، وبالسحاب الهطال طوراً آخر ، وتخيل لما أراد ، فذكر أن هناك صاعقة وبيّن أنها من نصل سيفه ، ثم قال إنها على رؤوس الأقران تفتك بهم ، ثم قـال : خمس ، وهي عدد أنامل اليد ، فاستبان السامع من كل هذا غرضه ، واتضح له مقصده .

المبحث الثامن في انقسام الاستعارة الى عنادية ووفاقية

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين الى قسمين :

١ – وفاقية ، وهي التي يمكن اجتماع طرفيها المستعار منه والمستعار له في شيء واحد ، وسميت بذلك لما بين طرفيها من الوفاق .

٢ – عنادية ، وهي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد ، وسميت بذلك لتعاند الطرفين ، وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿ أو مَن كان ميتاً فأحييناه ﴾[1] أي مَن كان ضالاً فهديناه ، استعير الإحياء من معناه الحقيقي وهو جعل الشيء حياً للهداية التي هي الدلالة على الطريق الموصل الى المطلوب ، والاحياء والهداية مما يمكن اجتماعها إذ لا يوصف الميت بالضلال .

ومن العنادية الاستعارة التهكمية والتمليحية[2] ، وهما ما نزل فيهما التضاد منزلة التناسب لأجل التهكم والاستهزاء ، أو لأجل الملاحة والظرافة ، نحو : ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾[3] استعيرت للبشارة ، وهي الخبر بما يسر للإنذار الذي هو ضدها بإدخاله في جنس البشارة هزؤ وسخرية بهم ، ونظيره كلمة نعاتبه في قول بشار :

إذ الملك الجبار صعر خده أتينا اليه بالسيوف نعاتبه[4]

والتحية في قول عمرو بن معد يكرب (تحية بينهم ضرب وجيع) والثواب في قولهم ما ثوابه إلا السيف .

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٢ .

(٢) الفارق بينهما أنه إن كان الغرض الحامل على استعمال اللفظ في ضد معناه المزو والسخرية بالمقول فيه كانت تهكمية وإن كان الغرض بسط السامعين وإزالة السآمة عنهم بواسطة الاتيان بشيء مستملح مستظرف كانت تمليحية .

(٣) سورة الانشقاق الآية ٢٤ .

(٤) صعر خده : أماله عن الناس كبراً .

ومنها أيضاً استعارة اسم الموجود للمعدوم الذي بقيت آثاره الجميلة أو المعدوم أو لا شيء للموجود، اذا لم تنتج منه فائدة، ولم يحل منه بطائل من قبل أنه شارك المعدوم في عدم غنائه ونفعه كما قال أبو تمام :

هب من له يريـــد حجابه ما بالُ لا شيء عليه حجاب

المبحث التاسع في انقسامها باعتبار الجامع الى داخل وخارج

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع وهو الوجه الذي يقصد اشتراك الطرفين فيه الى قسمين :

١ – ما يكون الجامع فيها داخلاً في مفهوم الطرفين كاستعارة النثر لإسقاط المنهزمين وتفريقهم في قول أبي الطيب :

نثرتهم فوق الأحيدب نـثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم[1]

إذ النثر أن تجمع أشياء في كف أو وعاء ، ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة من غير ترتيب ولا نظام ، وقد استعاره لما يتضمنه ذلك التفرق على الوجه المخصوص وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين في الحرب دفعة بلا ترتيب ولا نظام ، ونسبه الى الممدوح لأنه سببه .

٢ – ما لا يكون داخلاً في مفهومها ، كقولك : وردت بحراً يتهلل وجهه ، وأنت تريد إنساناً جواداً ، فالجامع ، وهو الجود ، غير داخل في مفهومها .

المبحث العاشر في انقسامها باعتبار الجامع أيضاً الى عامية وخاصية

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع الى:

١ – عامية مبتذلة لاكتها الألسن لظهور الجامع فيها، كقولك: رأيت شمساً ووردت بحراً ، وأنت تعني إنساناً جميل المحيا وجواداً كريماً .

٢ – خاصية غريبة وهي التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة ، كقول طفيل الغنوي :

وجعلت كوري فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرحل[2]

(١) الأحيدب : جبل .

(٢) الكور : الرحل ، والناجية : الناقة السريعة ، تنجو براكبها .

انظر تر عجباً ، ألا تراه قد استعار الاقتيات لإذهاب الرحل شحم السنام ، وساعده التوفيق فيما عناه من قبل أن كان الشحم مما يصلح للقوت ، وأن الرحل أبداً ينتقص منه ويذيبه .

والغرابة على ضروب ، منها :

١ – أن تكون في الشبه نفسه ، كما في قول يزيد بن مسلمة عبد الملك يصف فرساً له بالأدب :

عودته فـيا أزور حبائبي إهمـــاله وكذاك كل مخاطر

وإذا احتبى قربوسه بعنانه علك الشكيم الى انصراف الزائر[1]

فقد شبه[2] هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتداً الى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب في موقعه من ركبتي المحتبي ممتداً الى جانبي ظهره، ثم استعار الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره لوقوع العنان في قربوس السرج ، فجاءت الاستعارة غريبة كما ترى لغرابة الشبه .

٢ – أن تحصل بتصرف الاستعارة العامية ، كقول ابن المعتز :

سألت عليه شعاب الحي حين دعا أنصـــاره بوجوه كالدنانير[3]

فهذا تشبيه معروف ، لكنه تصرف فيه بأن أسند الفعل الى الشعاب دون ووجوههم، وعدي الفعل الى ضمير الممدوح بعلى، فأفاد اللطف والغرابة من حيث أبان أن الشعاب امتلأت من الرجال وغصت بها من كل ناحية وجانب .

٣ – أن تحصل بالجمع بين عدة استعارات لإلحاق الشكل بالشكل ، كقول امرىء القيس :

فقلت له لمـــا تمطى بصلبه وأردف اعجازا وناء بكلكل

فقد أراد وصف الليل بالطول، فاستعار له اسم الصلب وجعله متمطياً لما هو مشاهد من أن كل ذي صلب يزيد طوله شيئاً ما عند التمطي ، ثم ثنى واستعار

(١) القربوس مقدم السرج ، والعلك المضغ ، والشكيم الشكيمة الحديدة المعترضة في فـم الفرس ، وعنى بالزائر نفسه ، دلالة على تأدب فرسه ، حيث يقف مكانه وإن طال مكثه .

(٢) ووجه الشبه إحاطة شيء بشيئين ، ضاماً أحدهما الى الآخر ، على أن أحدهما أعلى والآخر أسفل ، والتشبيه بين مفردين باعتبار ما تضمنه كل منهما من الهيئة لا أنه واقع بين هيئتين .

(٣) يريد أن الممدوح مطاع في حيه اذا دعاهم ليوا نداءه زرافات ووحداناً .

الإعجاز لثقله وبطء سيره، وبالغ في ذلك حتى جعل بعضها يردف بعضاً، ثم ثلث فاستعار الكلكل لمعظم الليل ووسطه آخذاً له من كلكل البعير وهو ما يعتمد عليه إذا برك ، وزاده مبالغة بأن جعله ينوء ويثقل ، لمـــا في الليل من التعب والنصب على كل قلب ساهر ، وبذا تم له ما أراد من تصوير الليل بصورة البعير على أبلغ وجه وأدقه .

المبحث الحادي عشر في انقسامها باعتبار الطرفين والجامع

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع الى ستة [1] أقسام :

١ – استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي، نحو: (وتركنا بعضهم[2] يموج في بعض) استعير الموجان وهو حركة الماء للاضطراب والاختلاط الناشئين عن الحيرة والجامع بينهما الحركة الشديدة والاضطراب .

٢ – استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي ، نحو: ﴿ وآيةٌ لهم الليلُ نسلخ منه النهارَ ﴾[3] فالمستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها، والمستعار له إزالة الضوء عن ظلمة الليل وملقى ظله وهما حسيان، والجامع بينهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر كترتب ظهور اللحم على كشط الجلد وإزالته وترتب ظهور الظلمة على كشف الضوء [4] عن مكان الليل ، وهذا الترتب أمر عقلي .

٣ – استعارة محسوس لمحسوس والجامع مختلف بعضه حسي وبعضه عقلي ، كما تقول : رأيت شمساً ، وأنت تريد إنساناً كالشمس في حسن الطلعة ، وهو حسي ، ونباهة الشأن ورفعة القدر ، وهي عقلية .

٤ – استعارة معقول لمعقول ، نحو : ﴿ مَن بعثنا من مرقدنا ﴾[5].

---

(١) لأن المستعار منه والمستعار له إما حسيان أو عقليان أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي أو بالعكس فتصير أربعة ، والجامع في الثلاثة عقلي لا غير لمـــا تقدم في التشبيه وفي القسم الأول، إما حسي أو عقلي أو مختلف؛ فهذه أقسام ستة .

(٢) الضمير يعود للانس والجن .

(٣) سورة يس الآية ٣٧ .

(٤) لأن الظلمة هي الأصل والنور طارىء عليها يسترها، فعند غروب الشمس يسلخ النهار من الليل وكأنه يكشط ويزال كما يكشط عن الشيء الشيء الطارىء عليه الساتر له .

(٥) سورة يس الآية ٥٢ .

استعير الرقاد وهو النوم للموت، والجامع عدم ظهور الفعل، والجميع عقلي ، ونظيره : ﴿ تكاد تميّز من الغيظ ﴾[1] ، فقد استعير الغيظ للحالة المتوهمة للنار ، لإرادة الانتقام من العصاة .

٥ – استعارة محسوس لمعقول ، نحو: ﴿ فاصدع بما تؤمَر ﴾[2] فقد استعير صدع الزجاجة ، وهو كسرها ، وهذا حسي لتبليغ الرسالة بجامع التأثير[3] ، وهما عقليان .

ونحوه: ﴿ فنبذوه وراء ظهورهم ﴾[4]، فقد استعير النبذ، وهو إلقاء الشيء باليد للأمر المتناسي حاله ، والجامع عدم العناية فيهما .

٦ – استعارة معقول لمحسوس ، نحو : ﴿ إنا لما طغى الماءُ ﴾[5] فقد استعير الطغيان ، وهو التكبر والعلو لظهور الماء وكثرته ، والجامع الخروج عـــن حد الاعتدال والاستعلاء المفرط ، فالمستعار منه والجامع عقليان .

المبحث الثاني عشر في تقسيم الاستعارة الى مصرحة ومكنية

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر المشبه به أو ذكر ما يخصه الى قسمين :

١ – مصرحة أو مصرح بها أو تصريحية، وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به كقول شوقي :

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان

شبهت الدلالة بالقول بجامع إيضاح المراد وإفهام الغرض في كل منهما واستعير اللفظ الدال على المشبه بـــه للمشبه ، واشتق من القول بمعنى الدلالة قائل بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية، والقرينة نسبة القول الى الدقات ، ونظيره قول الوأواء الدمشقي :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ... ورداً وعضّت على العناب بالبرد

---

(١) سورة الملك الآية ٨ .

(٢) سورة الحجر الآية ٩٤ .

(٣) التأثير المراد هنا نوع مخصوص لا يعود معه المؤثر فيه الى حاله الأولى، وهو في كسر الزجاجة أقوى وأبين، فكأنه قبل وضح الأمر وضوحاً لا يزول أو كما لا يلتئم صدع الزجاجة.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٧ .

(٥) سورة الحاقة الآية ١١ .

شبه الدموع باللؤلؤ، والعيون بالنرجس، والخدود بالورد، والأنامل بالعناب، والأسنان بالبرد ، وقول الحريري :

فزحزحت شفقاً غشّى سنا قمر ... وتساقطت لؤلؤاً من خاتم عُطر[1]

فقد شبه الخمار بالشفق لحمرته والوجه بالقمر والكلام باللؤلؤ والفم بالخاتم .

٢ ـ مكنية ، وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه ، نحو ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾[2] شبه الذل بطائر بجامع الخضوع واستعير الطائر للذل، ثم حذف ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو الجناح ، على طريق الاستعارة بالكناية ، وإثبات الجناح للذل استعارة تخييلية ، وهي قرينة المكنية، ويجعل الطائر مستعاراً للمخاطب(أي للولد في معاملة والديه) والأصل واخفض لهما جناحك ذلاً ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾[3] ، وقول الكميت :

خفضت لهم مني جناحي ... الى كنف عطفاه أهلٌ ومرحب

ونحو ﴿ ينقضون عهد الله ﴾[4] قال في «الكشاف» : سيغ استعمال النقض في إبطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من إثبات الوصلة بين المتعاهدين ، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرموزا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ، ونحوه قولك : شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يغترف منه الناس ، فقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر، انتهى .

(تنبيهه) علمت أن إثبات اللازم كالجناح للذل أو للمخاطب بلين الجانب للوالدين ، والمأمور أن يذل لهما ، وإثبات النقض للعهد يسمى استعارة تخييلية ، وهي قرينة الاستعارة المكنية ، وسمي ذلك الاثبات استعارة لأجل أن متعلقة وهو الأمر المختص بالمشبه به قد استعير ونقل عما يناسبه ، واستعمل مع ما شبه

(١) وقبله : سألتها حين زارت تحت برقعها الثاني وإيداع سمعي أطيب الخبز وساقطه الحديث أن يتكلم واحد ويسكت الآخر ، ثم يتكلم الساكت ، وهكذا دواليك .
(٢) سورة الإسراء الآية ٢٤ .
(٣) سورة الشعراء الآية ٢١٥ .
(٤) سورة البقرة الآية ٢٧ .

ونحوه قوله عز اسمه : ﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾[1] ، شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن في كل، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف فاستعير لفظ (في) الموضوع لجزئي من جزئيات الظرفية لمعنى على الموضوع للاستعلاء على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ومدار قرينة الاستعارة التبعية في الأفعال والصفات المشتقة منها على نسبتها الى الفاعل نحو : نطقت الحال بكذا ، أو الى المفعول الأول كقول ابن المعتز :

جمع الحق لنا في إمام ... قتل البخل وأحيا السماحا

فالذي دل على استعارة قتل وأحيا ، إنما إسنادهما الى البخل والسماح ، إذ لو قال: قتل الأعداء وأحيا الأحياء ، لم يكن هناك سبيل للاستعارة فيهما ، أو الى المفعول الثاني ، كقول القطامي :

لم تلق قوماً هم شرٌ لإخوتهم ... منا عشية يجري بالدم الوادي
نقريهم لهذميات نقد بها ... ما كان خاط عليهم كل زراد[2]

فإسناد القرى الى اللهذميات قرينة على أن تقريهم استعارة ، أو الى المفعولين الأول والثاني ، كقول الحريري :

وأقرى المسامع إما نطقت ... بياناً يقود الحرون الشموسا[3]

فإن تعلق أقرى بكل من المسامع والبيان دليل على أنه استعارة ، أو الى المجرور ، نحو : ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾[4] ، فذكر العذاب دليل على أن بشر استعارة تبعية تهكمية .

(تنبيهات) أولها كما تكون المصرحة أصلية وتبعية تكون المكنية كذلك[5].

(١) سورة طه الآية ٧١ .
(٢) تقريهم من قريت الضيف ، واللهذم من الأسنة القاطع واللهذميات منسوبة اليها ، والقد: القطع ، وضمن خاط معنى قد ، فعداه بعلى ، وزرد الدرع وسردها نسجها .
(٣) الحرون من الخيل ما لا يسهل قياده والشموس منها ما يمنع ظهره من المركوب .
(٤) سورة الانشقاق الآية ٢٤ .
(٥) لكن لا تجري التبعية بجميع أقسامها في المكنية إذ أنها لا بد فيها من إثبات لازم المشبه به للمشبه ووضع الفعل واسمه ، والحرف يقتضي ألا يثلث لمعناها شيء لوجه ما لا بالإسناد اليه ، ولا بالايقاع عليه ولا الإضافة اليه .

ثانيها – إنما سميت الاستعارة في القسم الثاني تبعية لأنها تابعة لاستعارة أخرى إذ هي في المشتقات تابعة لجريانها في المصدر أولاً ، كما أن معاني الحروف جزئية لا تتصور الاستعارة فيها إلا بواسطة كلي مستقل بالمفهومية ليتأتى كونها مشبهاً ومشبهاً بها فلا بد من إجراء التشبيه أولاً في متعلق معاني الحروف ، ثم تتبعها الاستعارة في المعاني الجزئية .

ثالثها – قال السكاكي: لو لم يجعلوا في الفعل والحرف استعارة تبعية بل جعلوا في مدخولها استعارة مكنية بقرينتها حكما فعلوا في : أنشبت المنية أظفارها ، لكان أقرب للضبط .

المبحث السادس عشر في تقسيمها الى مرشحة ومجردة ومطلقة

تنقسم الاستعارة باعتبار اقترانها بما يلائم المستعار منه أو المستعار له أو عدم اقترانها بما يلائم أحدهما الى ثلاثة أقسام ، مرشحة ومجردة ومطلقة :

١ – فالمرشحة هي التي تقترن بما يلائم المستعار منه ، كما تقول : رأيت في الميدان أسداً دامي الأنياب طويل البراثن ، وكما قال كثير عزة :

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ... ظواهر جلدي وهو للقلب جارح[1]

فقد استعار السهم للنظر بجامع التأثير في كل ثم رشح الاستعارة بذكر الريش الملائم للسهم ، وكما قال ابن هانيء المغربي:

وجنيتم ثمر الوقائع يانعاً ... بالنصر من ورق الحديد الأخضر

٢ – والمجردة هي التي تقترن بما يلائم المستعار له كما تقول : رأيت أسداً في خومة الوغى يجندل الأبطال بنصله ويشك الفرسان برمحه ، وكما قال كثير يمدح عمر ابن عبد العزيز :

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً ... غلقت لضحكته رقاب المال[2]

(١) المعنى : أنها رمته بسهم نظرها الفاتك الذي ريشه الكحل ، فجرحت قلبه ، ولم تضر ظواهر جلده .

(٢) يريد أنه كثير العطاء سخي ، والمعنى أنه اذا ضحك وسر وهب ماله وفرقه وعنى برقاب الأموال أنفسها ، وعبر عنها بالرقاب كقولهم : أعتق رقبة ، أي عبداً .

فقد استعار الرداء للمعروف ، لأنه يصون عرضه كما يصون الرداء ما يلقى عليه من مكروه والقرينة تتمة البيت ، ثم وصفه بالغمر الذي هو وصف للمعروف لا للرداء على سبيل التجريد .

٣ – والمطلقة هي التي لم تقترن بصفة معنوية ولا تفريع يلائم أحد الطرفين ، والفرق بينها أن الملائم إن كان من تتمة الكلام الذي فيه الاستعارة فهو الصفة ، كما في قوله : تبسم ضاحكاً ، وإن كان كلاماً مستقلاً جيء به بعد تمام الاستعارة وبني عليها فهو التفريع ، نحو : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ [1] ، بعد قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ [2] .

(تنبيهات) أولها أنه اذا اجتمع الترشيح والتجريد كانت الاستعارة في حكم المطلقة كقول زهير :

لدى أسد شاكي السلاح مقذف ... لـــه لبدٌ أظفاره لم تقلم

فشاكي السلاح هو حادة تجريد ، لأنه يناسب المشبه وهو الشجاع ، والمقذف إن أريد به في الوقائع والحروب كان تجريداً أيضاً ، وإن أريد به المرمى باللحم كناية عن عظم الجثة والضخامة ، لم يكن لا تجريداً ولا ترشيحاً لأنه يلائم كلا منهما ، وله لبد وهي الشعر المتراكم بين كتفي الأسد ترشيح ، وكذلك أظفاره لم تقلم لأن الأسد الحقيقي هو الذي ليس من شأنه تقليم الأظفار ، والقرينة كلمة لدى ، أو القرينة حالية ، ولدى تجريد إذ التجريد أو الترشيح إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها ، ولذا لا تسمى قرينة الاستعارة التصريحية تجريداً ولا قرينة المكنية ترشيحاً .

(ثانيها) : الترشيح أبلغ [3] وأقوى من الإطلاق والتجريد ، لاشتماله على تقوية المبالغة وكمالها ، فإن المحور الذي يدور عليه الترشيح إنمـــا هو تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه ، وكأن الاستعارة غير موجودة ، ألا ترى أن الناثر أو الشاعر يجدّ في إنكارها ، ويخيل الى السامع أن الأمر على ما يقول حقيقة ، ومن ثم وضع أبو تمام كلامه في علو المنزلة والرقي في خلال الشرف وضعه في علو المكان حين يقول :

(١ و٢) سورة البقرة الآية ١٦ .

(٣) الأبلغ في الحقيقة هو الكلام المشتمل على الترشيح لا الترشيح نفسه .

ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السما

فلولا أنه قصد تناسي التشبيه وعقد العزيمة على جحده ولم يأل جهداً في إنكاره فجعله صاعداً في السماء حيث المسافة المكانية ، لما كان لهذا الكلام وجه .

ونحوه قول بشار :

أتتني الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلكا

وقول المتنبي :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

ولم أر قبلي من مشى البدر نحوه ولا رجلاً قامت تعانقه الأسد

ومن هذا ما سبق من التعجب والنهي عنه ، وإذا جاز البناء على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه [1] في نحو قول العباس بن الأحنف :

هي الشمس مسكنها في السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا

فان تستطيع اليها الصعود ولن تستطيع اليك النزولا

فلأن يجوز مع جحده وإنكاره في الاستعارة أولى .

(ثالثها) : المطلقة أبلغ من المجردة ، لأن التجريد يذكر بالتشبيه ، فيضعف دعوى الاتحاد .

المبحث السابع عشر في حسن الاستعارة وقبحها

لا تحسن الاستعارة ولا تقع الموقع الملائم إلا إذا حازت الشروط الآتية :

١ — رعاية حسن التشبيه [2] ، إذ هو أساسها الذي تبنى عليه ، خلا أنه مما يستطاب هنا قوة الشبه بين الطرفين بعكس باب التشبيه ، ومن ثمة تحسن الاستعارة فيما يقوي فيه الشبه بينهما بحيث يصير الفرع كأنه الأصل ، ولا يحسن التشبيه ، ألا ترى أن الرجل يقول إذا فهم مسئلة : حصل في قلبي نور ، ولا يقول : كأن العلم الذي حصل في قلبي نور ، ويقول لمن أوقعه في شبهة : أوقعتني في ظلمة ، ولا يقول : كأن الشبهة التي أوقعتني فيها ظلمة .

(١) فان قوله هي الشمس تشبيه ، وفيه اعتراف بالمشبه ، ومع ذلك بني الكلام على المشبه به أعني الشمس .

(٢) قال الجرجاني : ملاك الاستعارة قرب التشبيه ومناسبة المستعار للمستعار له وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر .

٢ — غرابة وجه الشبه ولطفه وكثرة التفصيل فيه وبعده من الابتذال وعدم خفائه الى الغاية حتى لا يكون تعمية وألغازاً ، ومن ثم لا يحسن استعارة الأسد لإنسان أبخر لخفاء وجه الشبه في مجرى العادة في مثل هذا .

٣ — ألا يشم منها رائحة التشبيه لفظاً ، ومن ثم ضعفت الاستعارة في قوله : قد زر أزراره على القمر [1] .

٤ — بعدها عن الحقيقة بترشيحها تقوية لدعوى الاتحاد فيها ، ومن أجل هذا قدمت المرشحة على المطلقة والمجردة في اعتبار البلغاء ، فإن خلت الاستعارة مما سبق ذكره انحطت رتبتها واستهجنت كقول أبي نواس :

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح

يريد أن المال تظلم من إهانته إياه بتمزيقه بالعطايا ، وهذا معنى حسن ، لكن العبارة عنه قبيحة لا تروق في نظر البلغاء ويأباها ذوو الفطر السليمة [2] .

وقوله أيضاً وهو أسخف من الأول :

ما لرجل المال أضحت تشتكي منك الكلالا

فأين هذا من قول مسلم بن الوليد في هذا المعنى :

تظلم المال والأعداء من يده لا زال للمال والأعداء ظلاما

وقول أبي تمام :

بلوناك أما كسب عرضك في العلا فعال وأمسا خد مالك أسفل

مراده أن عرضك مصون ومالك مبتذل ، لكنه قد ساقه مستكرهاً ، وأخرجه مخرجاً مستهجناً ، وكقول بشار :

وجذت رقاب الوصل أسياف هجرنا وقدت لرجل البين نعلين من خدي

قال في «العمدة» : فما أهجن رجل البين وأقبح استعارتها ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها ، وكذلك رقاب الوصل .

(١) إذ الضمير في أزراره لمحبوبه ولم يكن هذا من التشبيه لما تقدم من أن المشبه لم يذكر على وجه ينبي عن التشبيه بأن يكون المشبه به خبراً عنه أو حالاً أو صفة ، بل فيه رائحة الأشعار فقط .

(٢) إذ أي شيء أبعد استعارة من صوت المال ، فكيف به اذا بح من الشكوى والصياح ، مع أنه ليس له صوت حين يعطى .

أسرار البلاغة في الاستعارة

الاستعارة بجميع ضروبها وتعدد مذاهبها وشعوبها ، أعلى مرتبة من التشبيه ، وأقوى في المبالغة منه ، لما فيها من تناسي التشبيه ، وادعاء الاتحاد بين المشبه والمشبه به ، كأنهما شيء واحد ، يطلق عليهما لفظ واحد ، انظر الى قول المتنبي:

ترنو إليّ بعين الظبي مُجهشة ... وتمسح الطل فوق الورد بالعنم[1]

ترنو وقد تمثلت له محبوبته ظبية تنظر اليه وهي حيرى تمسح طلاً فوق خدها بأصابعها وهي كالعنم لينا وحمرة ، واختبأ عن عينيه مظهر التشبيه ، وظهر له ذلك بمظهر الحقيقة ، ورأينه وقد حجبه الخيال فرأى الطل يسقط على الورد ، فهل يؤدي التشبيه مثل هذا؟ وهل تصل فيه المبالغة الى ما تصل اليه الاستعارة؟ فهيه قال : تمسح الدموع التي تشبه الطل والخدود التي هي كالورد والأصابع التي تشبه العنم ، أتراه يصل الى مثل ما قال ؟ إنك لتحس بأن هذا أدنى من المعنى المجازي وأقل منه مبالغة ، فإن في التشبيه جمعاً بين المشبه والمشبه به ، وهذا إقرار بأنهما متقاربان ، وتأمل قول أبي الحسن التهامي :

يا كوكباً ما كان أقصر عمره ... وكذاك عمر كواكب الأسحار

يتبين لك فيه صورة النجوم وقد أفلت بعد طلوعها ، وكواكب الأسحار وقد غادرت بعد ظهورها .

وقد استعمل العرب الاستعارة في كلامهم تقريباً للمعنى الى ذهن السامع ، واستثارة لخياله واختلاباً لبه ، ليقنع بما يقال له ويلقى في روعه .

تدريب أول

اجعل التشبيهات الآتية استعارة مصرحة أو مكنية مع بيان القرينة :

١ – استذكرت كتاباً كالصديق في المؤانسة .
٢ – اللسان كالسيف في الإيذاء .
٣ – انتثرت في السماء نجوم كالدرر .
٤ – في البحر سفن كالجبال في العلو .

(١) العنم : شجر لين الأغصان ، تشبه به الأصابع .

٥ – على الأشجار بلابل كالقيان في حسن الصوت .
٦ – في الغرفة ذرات كهربائية كالشمس في الإضاءة .
٧ – الكتاب صديق .
٨ – لفلانة أسنان كالبرد في البريق والنصاعة .
٩ – علي كالغيث في العطاء .
١٠ – هند كالبدر في الحسن والبهاء .

الاجابة

استعارة تصريحية	القرينة
١ – استذكرت صديقاً مطبوعاً	استذكرت
٢ – احذر سيفاً بين فكيك	بين فكيك
٣ – انتثرت درر في السماء	في السماء
٤ – رأيت جبالاً تخر في البحار	تخر في البحار
٥ – صدحت قيان على الأشجار	على الأشجار
٦ – في الغرفة شموس مغلفة بالزجاج	في الغرفة
٧ – هندي صديق في القمطر	في القمطر
٨ – في فم فلانة برد منضد	في فم
٩ – رأيت غيثاً يعطي الدراهم والدنانير	يعطي الدراهم
١٠ – طلع علينا بدر بين أترابه	بين أترابه

استعارة مكنية	القرينة
١ – استذكرت كتاباً مؤنساً	مؤنساً
٢ – احذر اللسان الغضب	الغضب
٣ – نثرت نجوم مثقوبات في السماء	مثقوبات
٤ – رأيت سفناً تتوجها الثلوج	تتوجها الثلوج
٥ – صدحت بلابل تعزف بألحان مطربة	تعزف بألحان
٦ – في الغرفة ذرات تشرق وتغرب	تشرق وتغرب

٧ – عندي كتاب سميح — سميح

٨ – لفلان أسنان بقدر قيمتها الجوهري — يقدر قيمتها الجوهري

٩ – رأيت هنداً تتلألأ بين أترابها — تتلألأ

تدريب ثان

اجر الاستعارة فيما يلي وبيّن نوعها وقرينتها :

١ – فتى كلما فاضت عيون قبيلة — دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

٢ – ﴿ إنا لنراكَ في ضلال مبين ﴾ [1]

٣ – اذا انتضل القوم الأحاديث لم يكن — عيباً ولا ربا على من يقاعد

٤ – قسموا والفجر يضحك — في الشرق البنا مبشراً بالصباح

٥ – لسنا وإن أحسابنا كرمت — يوماً على الاحساب نتكل

٦ – سأبكيك للدنيا ولليدين إنني — رأيت يد المعروف بعدك شلت

الاجابة

١ – في فاضت العيون وضحكت الأحاديث استعارتان ، إما تصريحيتان أو مكنيتان، فعلى الأول يقال : شبه نزول الماء متدفقاً بفيضان النهر بجامع الكثرة في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من الفيضان بمعنى صب الماء الكثير فاض بمعنى صب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، ودما تجريد لأنها تناسب العيون ، وشبهت المسرة والابتهاج بالضحك بجامع أريحية النفس في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة حالية ، وعلى الثاني يقال: شبهت العيون بالأنهار بجامع جريان الماء الكثير من كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه، وهو فاض على طريق الاستعارة المكنية الأصلية ، والقرينة نسبة الفيضان الى العيون وهي الاستعارة التخييلية ودماً تجريد أيضاً ، وشبهت الأحاديث بناس فرحين بجامع الأريحية والسرور لكل عند حصول ما يسر ، واستعير اللفظ

(١) سورة الأعراف الآية ٦٠ .

الدال على المشبه به للمشبه ، وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو ضحك على طريق الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة .

٢ – شبه مطلق ارتباط بين متلبس بالضلالة ومتلبس به بمطلق ارتباط بين ظرف ومظروف بجامع التمكن في كل ، فسرى التشبيه من الكليين (مطلق الارتباط) الى الجزئيات (معاني الحروف) فاستعيرت (في) من الظرفية الحقيقية للظرفية المنوية على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة على ذلك كلمة الضلال .

٣ – شبهت الأحاديث بالسهام بجامع التأثير ومباراة المتحادثين كما يتبارى الرماة في كل منهما ، ثم استعير لفظ السهام للأحاديث وحذف ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو انتضل على سبيل الاستعارة المكنية ، وكلمة عيباً تجريد ، لأنها تناسب الأحاديث .

٤ – شبه الفجر بإنسان يبتسم ، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة بجامع البريق واللمعان، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذفه وأشار اليه بشيء من لوازمه، وهو يضحك على طريق الاستعارة بالكناية، وإثبات الضحك للفجر استعارة تخييلية .

٥ – في كلمة على استعارة تصريحية تبعية، فقد شبه مطلق ارتباط بين متلبس ومتلبس به بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعل عليه بجامع التمكن والاستقرار في كل ، ثم استعيرت على من جزئي من جزئيات الأول الجزئي من جزئيات الثاني على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

٦ – شبه المعروف بإنسان له يد تعطي، والجامع البذل والعطاء في كل منهما استعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم حذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل المكنية الأصلية المرشحة بكلمة شلت وإثبات اليد للمعروف استعارة تخييلية .

تمرين اول

اجر الاستعارة وبيّن نوعها وقرينتها فيما يلي :

١ – سقاه الردى سيف اذا سل أو مضت — اليه نتايا الموت من كل مرقب

٢ – عوى الشعراء بعضهم لبعض — على فقد أصابهم انتقام

٣ – م صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا [١]

٤ – ﴿ فمحونا آية الليل وجعلنا النهار مبصرة [٢] ﴾

٥ – ﴿ فأنشرنا به بلداً ميتاً ﴾ [٣]

٦ – ﴿ ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ﴾ [٤]

٧ – والشمس لا تشرب خمر الندى في الروض إلا بكؤوس الشقيق

تمرين ثان

١ – ﴿ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ [٥]

٢ – ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ﴾ [٦]

٣ – مَن يزرع الشر يحصد في عواقبه ندامة والحصد الزرع إنسان

٤ – لا يمتطي المجد مَن لم يركب الخطرا ولا ينال العلا مَن قدم الحذرا

٥ – وما هي إلا خطرة ثم أقلعت بنا عن شطوط الحي أجنحة السفن

٦ – قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات ووحدانا

٧ – قال علي بن أبي طالب: « الدنيا مَن أمسى فيها على جناح أمن ، أصبح فيها على قوادم خوف » .

تمرين ثالث

١ – شمس وبدر ولدا كوكبا أقسمت بالله لقد أنجبنا

٢ – جاء النسيم الى الغصون رسولاً ومشى يجر على الرياض ذيولا

٣ – وذي رحم قلمت أظفار ضغنه بحلمي عنه وهو ليس له حلم

٤ – اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

(١) الأجدع : المقطوع الأنف ، دعا عليهم بالذل والصغار لصلبهم العبدي .
(٢) الاضافة في آية الليل والنهار للتبيين، أي آية هي الليل وآية هي النهار (سورة الاسراء).
(٣) أنشرنا : أحيينا (سورة الزخرف) .
(٤) سورة فصلت الآية ٥٤ .
(٥) سورة الذاريات الآية ٤١ .
(٦) سورة السجدة الآية ٢١ .

٥ – أتته الخلافة منقادة اليه تجر أذيالها

٦ – اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

٧ – وليلة بت أسقي في غيابها راحا تسل شبابي مريد الهرم
ما زلت أشربها حتى نظرت الى غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

المبحث الثامن عشر في المجاز المركب

المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل قصداً وبالذات في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، فخرج بقولنا قصداً ، وبالذات ما اذا تجوز بجزء من أجزاء المركب ، فإنه قد استعمل مجموعة في غير ما وضع له ، وليس ذلك مجازاً مركباً .

وهذا المجاز قسمان :

(أ) ما كانت علاقته غير المشابهة وهو المجاز المرسل المركب ، وهو أنواع :

١ – المركبات الخبرية المستعملة في المعاني الإنشائية ، إما للتحسر وإظهار الحزن ، نحو :

ذهب الشباب فما له من عودة وأتى المشيب فأين منه المهربُ

وإما للدعاء ، نحو : وفقك الله – نجح الله مقاصدنا .. الى غير ذلك من المقاصد التي يستعمل فيها الخبر ويكون غير مراد به الفائدة ولا لازمها ، والعلاقة في مثل هذا اللازمية إذ يلزم من الأخبار بذهاب الشيء المحبوب كالشباب مثلاً التحسر عليه ، وهكذا يقال في نظائره والقرينة حالية .

٢ – المركبات الإنشائية المستعملة في المعاني الخبرية ، نحو قوله ﷺ : « مَن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » بمعنى يتبوأ ، والعلاقة في نحو هذا السببية لأن إنشاء المتكلم هذه الجملة سبب لأخباره بما تتضمنه ، قال العيني في شرح البخاري : فليتبوأ أمر من التبوء وهو اتخاذ المباءة والمنزل ، وظاهره أمر ومعناه خبر .

٣ – الجمل الإنشائية ، فعلية كانت أو اسمية المأتى بها ، لما يتولد منها من الإنكار ونحوه ، والعلاقة في نحو هذا المجاورة ، نحو : ﴿ ألم نربك فينا وليداً ﴾ [١].

(١) سورة الشعراء الآية ١٨ .

(ب) ما كانت علاقته المشابهة بين الهيئة المستعار منها والهيئة المستعار لها بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين وأمور بالأخرى ، ثم يدعى أن الصورة المشبهة من جنس الصورة المشبهة بها فيطلق على الصورة المشبهة اللفظ الدال بالمطابقة على الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه ، كما كتب الوليد بن يزيد لما بويع بالخلافة الى مروان بن محمد حينما بلغه توقفه في البيعة له .. أما بعد : فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر [1] أخرى ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيها شئت والسلام ، فقد شبهت صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً وتارة لا يريد فيؤخرها مرة أخرى ، وكما يقال لمن يعمل فيما لا يجدي : أراك تنفخ في غير فحم ، وأراك تخط على الماء ، يراد أنه في عمله كمن يفعل ذلك .

وهذا القسم يسمى استعارة تمثيلية [2] واستعارة على سبيل التمثيل وتمثيلاً على سبيل الاستعارة أو تمثيلاً فقط ، ويمتاز عنها التشبيه المركب بأن يقال له : تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلي .

واذا اشتهرت الاستعارة التمثيلية وكثر استعمالها سميت مثلاً ولا يغير مطلقاً محافظة على الاستعارة فيخاطب به المفرد والمذكر وفروعها بطريقة واحدة [3] كقولهم : أحشفاً وسوء كيلة [4] ، يضرب مثلاً لمن يظلم من جهتين ، وبيان الاستعارة في مثل هذا أن يقال : شبهت هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل اشترى من آخر تمراً رديئاً وطفف له المكيال بجامع الظلم من جهتين ، واستعير التركيب الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية ، وهكذا يقال في سائر الأمثال

(١) مفعول تؤخر محذوف أي وتؤخرها أي تلك الرجل المتقدمة ، وقوله أخرى نعت لمرة أي مرة أخرى ، وإنما لم نجعل أخرى نعتاً للرجل لئلا يفيد الكلام أن الرجل المؤخرة غير المتقدمة وليس ذلك صورة التردد كذا في ابن يعقوب .

(٢) وكل استعارة وإن كانت تمثيلاً أي تشبيهاً فقد خص اسم التمثيل بهذه الاستعارة لأنها منار فرسان البلاغة .

(٣) وذلك معنى قولهم الأمثال لا تغير .

(٤) الحشف : الردىء ، والكيلة : هيئة الكيل .

النثرية والنظمية نحو : إن البغاث بأرضنا يستنسر [1] ، ما يوم حليمة بسر [2] .

وقولهم :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

(تنبيه) هذه الاستعارة أبلغ أنواع المجاز مفرداً ومركباً ، إذ مبناها تشبيه التمثيل ، وقد عرفت دقة مسلكه من قبل أن وجه الشبه فيه يكون هيئة منتزعة من أشياء متعددة ، فالاستعارة المبنية عليه تكون أدق أنواع الاستعارات إذ من الصعوبة بمكان أن تعمد الى صورتين مركبتين من أجزاء عدة فتحاول الربط بينها وتحصر جهات اتحادها وتشبه إحداها بالأخرى فلا يخفى ما أنت محتاج اليه في المهارة حينئذ ، كما لا ينكر الأثر الذي تراه في مخاطبك اذا أدليت اليه في معرض كلامك بمثل ، فكم تجد لديه من الأريحية ، وكيف يخفي إيجاز المثل عن الشرح والإسهاب ؟ ..

تـــدريب

بيّن أنواع المجاز المركب فيما يلي :

١ – افعل ما بدا لك ، تقوله تهديداً لمخاطبك .

٢ – أنت تصرخ في واد ، تقول ذلك لمن يعمل ما لا فائدة فيه .

٣ – لك الحمد والشكر ، تقول ذلك بعد الأكل مثلاً .

٤ – أهذا الذي أطنبت في مدحه ، تقول ذلك متهكماً .

٥ – سلام على الدنيا اذا لم يكن بها صديق صدوق يصدق الوعد منصفاً .

٦ – أخذت من شبابي الأيام وقوى الصبا عليه السلام .

الاجابـــة

١ – في هذا المركب مجاز مرسل مركب علاقته المجاورة ، فقد استعمل الأمر في التهديد لا في الطلب .

٢ – في هذا المركب استعارة تمثيلية ، فقد شبهت صورة من يعمل ما لا فائدة

(١) يضرب للضعيف يصير قوياً .

(٢) يضرب لكل أمر متعارف مشهور .

فيه بصورة مَن يصرخ في واد يجامع عدم الفائدة في كل، واستعير المركب الدال على هيئة المشبه به لهيئة المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

٣ – في هذا المركب مجاز مرسل ، علاقته السببية ، لأنه استعمل الخبر في الإنشاء لإرادة الدعاء .

٤ – في هذا المركب مجاز ، علاقته المجاورة ، لأنه استعمل الاستفهام في التهكم .

٥ – استعمل هذا المركب في إنشاء التحسر والأسف على فقدان الصديق ، مجازاً مرسلاً ، علاقته السببية .

٦ – هذا المركب كسابقه .

تمريـــن

بيّن نوع المجاز المركب ، واذكر علاقته فيما يلي :

١ – ومَن قصد البحر استقل السواقيا ، يقال لمن يطمح الى العظيم ولا يرضى .

٢ – تلوغ العقرب وتصيء [1] ، يقال للظالم يشكو كأنه مظلوم .

٣ – قد كنت عدّتي التي أسطو بها ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي

٤ – ليس التكحل في العينين كالكحل ، يقال لمن يتكلف ما ليس من طبعه .

٥ – وليس يصح في الأذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

٦ – أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع ؟

المبحث التاسع عشر في المجاز بالحذف [2] أو الزيادة

كما توصف الكلمة بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي، كما تقدم، كذلك توصف بالمجاز بطريق الاشتراك اللفظي اذا تغير حكم إعرابها الأصلي بواسطة حذف لفظ أو زيادته .

(١) صأى الفرخ والعقرب صاح وصاء مقلوب عنه .

(٢) اطلاق المجاز على هذا النوع من طريق الاشتراك اللفظي فلفظ مجاز وضع لمضمين أحدهما الكلمة المستعملة في غير ما وضعت لعلاقة وقرينة ، وثانيهما الكلمة التي تغير حكم إعرابها الأصلي بحذف لفظ أو زيادته ، وهذا النوع من المجاز يمكن رده الى المجاز العقلي أو المجاز المرسل .

فالحذف كقوله تعالى : ﴿ واســـأل القرية ﴾ [1] ، إذ الأصل أهل القرية ، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل هو الجر فحذف المضاف وأعطى المضاف اليه إعرابه ، ونظيره (وجاء ربك) أي أمر ربك .

والحكم بالحذف يكون لأحد أمرين :

١ – لأمر يرجع الى غرض [2] المتكلم ، نحو : سل القرية ، ألا ترى أنك لو قرأته أو سمعته في غير التنزيل لم تقطع بأن ها هنا محذوفاً ، إذ من المحتمل أن يكون كلام رجل مرّ على قرية خربت وباد أهلها ، فأراد أن يقول مذكراً نفسه أو صاحبه على سبيل العظة والاعتبار : سل القرية عن أهلها وقل لها ماذا صنعوا، كما قال الرقاشي : سل الأرض مَن شق أنهارك وغرس أشجارك فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً .

٢ – لأن الكلام لا يصح بدون المحذوف، كما اذا حذف أحد جزأي الجملة ، نحو: (فصبر جميل) .

والزيادة كقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيءٌ ﴾ [3] ، أي ليس مثله شيء ، فإعراب مثله في الأصل النصب ، فلما زيدت الكاف سار جراً .

ونحوه : ﴿ فاضربوا فوق الأعناق ﴾ [4] . وقول لبيد :

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومَن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

يريد : ثم السلام عليكما .

ومما تقدم تعلم أن الحذف والزيادة إذا لم يوجبا تغير الإعراب لا توصف الكلمة من أجلها بالمجاز ، نحو : ﴿ أو كصيّبٍ من السماء ﴾ [5] ، إذ الأصل : أو كمثل ذوي صيب ، فحذف ذوي لدلالة يجعلون أصابعهم على هذا المحذوف ،

(١) سورة يوسف الآية ٨٢ .

(٢) للجزم بأن المقصود من الآية سؤال أهل القرية للاستشهاد بهم فيجيبون بما يصدق أو يكذب لا سؤالها هي لأن الشاهد لا يكون جماداً ، ويحتمل أن تكون القرية مجازاً عن أهلها من اطلاق اسم المحل على الحال فلا يكون مما نحن فيه .

(٣) سورة الشورى الآية ١١ .

(٤) سورة الأنفال الآية ١٢ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٩ .

وحذف لفظ مثل لدلالة قوله تعالى : ﴿ كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ [1] عليه ، ونحوه : ﴿ فبما رحمة من الله لنتَ لهم ﴾ [2].

المبحث العشرون في المجاز العقلي أو المجاز الحكمي [3]

هذا ضرب آخر من الاتساع والتجوز ، غير ما قدمنا لك الكلام عليه ، فإن ما مضى كانت تذكر فيه الكلمة ولا يراد معناها ولكن ما هو ردف للمعنى أو شبيه به ، فالتجوز كان يكون في اللفظ نفسه .

أما ما هنا فإن الكلمة ماركة على ظاهرها ومعناها مقصود في نفسه ، وإنما التجوز في حكم يجري عليها ، كقولهم : نام ليلي ، وقوله تعالى : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ ، ففي هذا مجاز لكنه ليس في ذوات الألفاظ ، فإن الليل والتجارة مستعملان في حقيقتها ، بل في أن جعلتها فاعلين لنام وربح .

ومن هذا تفهم ما قالوه في تعريف هذا المجاز بأنه إسناد الفعل أو ما في معناه الى غير ما هو له في الظاهر من حال المتكلم لملابسة مع قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد الى ما هو له ، وما في معنى الفعل هو المصدر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة ، ومعنى كونه غير ما هو له أنه ليس من حقه أن يسند اليه لأنه ليس بوصف له ، ومعنى الملابسة العلاقة .

وهذا التعريف يشمل إسناد الفعل المبني للفاعل وما في حكمه كاسم الفاعل الى غير فاعله كالمفعول والمصدر والزمان والمكان والسبب مما له علاقة بالفاعل ، وإسناد الفعل المبني للمفعول وما في حكمه كاسم المفعول الى غير نائب الفاعل مما له علاقة به ، كالفاعل والمصدر ونحوهما ، وإيضاح هذه العلاقات مما يلي :

١ – إسناد ما بني للفاعل الى المفعول نحو : عيشة راضية [4] وماء دافق .

---

(١) سورة البقرة الاية ١٧ .
(٢) سورة آل عمران الاية ١٥٩.
(٣) البحث عن هذا المجاز من حيث كيفية الدلالة من البيان ومن حيث تحصل بـه المطابقة لمقتضى الحال من المعاني، والحق أن ذكره في المعاني كما فعل القزويني في الايضاح كان استطراداً.
(٤) أصل الكلام رضي الرء عيشته فأسند الفعل للمفعول من غير أن يبني له فصار: رضيت العيشة ، ثم أخذ من الفعل المبني للفاعل اسم فاعل وأسند الى ضمير العيشة فآل الأمر إلى أن صار المفعول فاعلا وهكذا يقال في نظائره .

وقول الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتهـا ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقد أسند راضية ودافق وطاعم وكاس وهي مبنية للفاعل إلى ضمير لعيشة مع أن الراضي صاحبها وكذلك الماء مدفوق والشخص مطعوم مكسو .

٢ – إسناد ما بني للمفعول الى الفاعل نحو : ﴿ إنه كان وعده مأتياً ﴾ [1]، وسيل مفعم [2] ، لأن الوعد آت والسيل مفعم أي ماليء .

٣ – إسناد الفعل الى المصدر ، نحو قول أبي فراس :

سيذكرني قومي اذا جد جدهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

فقد أسند الجد الى الجد ، أي الاجتهاد ، وهو ليس بفاعل له بل فاعله الجاد وفاعله جد الجاد جداً ، أي اجتهد اجتهاداً ، فحذف الفاعل الأصلي وهو الجاد وأسند الفعل الى الجد .

٤ – الإسناد الى الزمان ، نحو: نهاره صائم ، وليله قائم ، وقوله :

هي الأمور كما شاهدتها دول ... مَن سره زمن ساءته أزمان

فقد أسند الصوم الى النهار والقيام الى الليل والإساءة والسرور الى الزمان ، وكل هذه أزمنة للأفعال لا واقعة منها .

٥ – الإسناد الى المكان ، نحو : ﴿ وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ﴾ [3] ، فقد أسند الجري الى الأنهار ، وهي أمكنة المياه وليست هي الجارية بل الجاري ماؤها ، ونحوه بيت ساكن .

٦ – الإسناد الى السبب ، نحو:

إني لمن معشر أفنى أوائلهم ... قيل الكماة ألا أين المحاموقا ؟

فقد نسب الإفناء الى قول الشجعان: هل من مدافع، وليس ذلك القول بفاعل ولا بمؤثر وإنما هو سبب فقط .

---

(١) سورة مريم الآية ٦١ .
(٢) أفعم الأناء : ملأه .
(٣) سورة الأنعام الآية ٦ .

وقد يجيء [1] هذا المجاز في النسبة الإضافية بأن يضاف الى ملابس ما هو له نحو : جري الأنهار ، ومكر الليل ، وغراب البين ، فنسبة الجري الى الأنهار مجاز علاقته المكانية ، والمكر الى الليل مجاز علاقته الزمانية ، والبين الى الغراب مجاز علاقته السببية على النحو الذي يزعمون .

قال الشاعر :

مشائين ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها

كما قد يجيء في النسبة الإيقاعية بأن يوقع الفعل على ملابس ما هو له كقوله تعالى : ﴿ وأطيعوا أمري ﴾ [2] ، وكما جاء في جميع ما مضى في الإثبات ، فقد جاء أيضاً في النفي ، كقوله عز وعلا : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ [3] ، أي خسرت [4] ، ونحو : ما نام ليلي ، أي سهر ، ونحو : تجري الريح بما لا تشتهي السفن ، أي بما تكره .

أقسامه ، باعتبار الطرفين طرفا هذا المجاز ، وهما المسند اليه والمسند ، إما :

١ – حقيقتان ، نحو : وشيب أيام الفراق مفارقي .

٢ – وإما مجازان نحو : أحيا الأرض شباب الزمان ، إذ المراد بإحياء الأرض إحداث النضارة والخضرة فيها مما ينتج عن تهيج القوى المنمية فيها ، كما أن المراد من شباب [5] الزمان ابتداء حرارته وازدياد قواه .

٣ – وإما مختلفان ، نحو : أهلك الناس الدينار والدرهم ، فقد جعلت الفتنة إهلاكاً ، ثم أثبت الإهلاك فعلاً للدينار والدرهم .

ونحو قول أبي الطيب :

وتحيي له المال الصوارم والقنا ويقتل ما تحيي التبسم والجدا

(١) أي فالتعريف المتقدم غير جامع لكل أنواع المجاز إلا أن تراد بالاسناد مطلق النسبة ، سواء كانت كالاسنادية أو غير تامة كالاضافية والايقاعية .
(٢) سورة طه الاية ٩٠ .
(٣) سورة البقرة الاية ١٦ .
(٤) أي اذا قصد إثبات النفي لا نفي الاثبات .
(٥) أصل الشباب كون الحيوان في زمن قوته .

فقد جعل الزيادة والوفور حياة للمال وتفريقه في العطاء قتلاً له ، ثم أثبت الإحياء فعلاً للصوارم والقتل فعلاً للتبسم ، مع أن كلاً منهما لا يصح منه الفعل .

وقد وقع هذا المجاز في التنزيل نحو : ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ [1] ، فقد نسبت الزيادة الى الآيات لكونها سبباً ، ونحو : (يذبح أبناءهم) نسب الذبح الى فرعون لأنه الآمر به والسبب فيه ، ونحو : ﴿ يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾ [2] ، فقد أسند الفعل الى الظرف لوقوعه فيه .

(قرينته) قرينة هذا المجاز إما لفظية ، كقول أبي النجم العجلي :

ميز عنه قنزعا عن قنزع جذب الليالي أبطئي أو أسرعي [3]

فقد استدللنا على أن إسناد ميز الى جذب الليالي مجاز بقوله بعده :

أفناه قيل الله للشمس اطلعي حتى اذا واراك أفق فارجعي

فإنه يدل على أن ذلك فعل الله ، وأنه هو المفني ، فيكون إسناده الى جذب الليالي من الاسناد الى الزمان .

وإما غير لفظية ، كاستحالة صدور المسند من المسند اليه ، أو قيامه به عقلاً ، نحو : محبتك جاءت بي اليك ، أو عادة نحو : بنى الوزير القصر ، وكصدور الكلام من الموحد ، كما في إسناد الاشادة والافناء الى مكر الغداة في قوله الصلتان العبدي :

أشاب الصغير وأفنى الكبير مكر الغداة ومر العشي
اذا ليلة هرمت يومها أتى بعد ذلك يوم فتى

(تنبيهات) الأول قال عبد القاهر : هذا الضرب من المجاز ، على حدته ، كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان ، ولا يغرنك من أمره أنك ترى الرجل يقول : أتى بي الشوق الى لقائك ، وسار بي الحنين الى رؤيتك ، وأقدمني بلدك حق لي على إنسان ،

(١) سورة الأنفال الاية ٢ .
(٢) سورة المزمل الاية ١٧ .
(٣) ميز : فصل ، وعنه أي عن رأسه ، والقنزع : الشعر المجتمع في نواحي الرأس ، وجذب الليالي : مشيها وتعاقبها ، وابطئي أو أسرعي حال من الليالي على تقدير القول .

وأشباه ذلك، مما تجده لشهرته يجري مجرى الحقيقة، فليس هو كذلك، بل بدق ويلطف حتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأنق لها .

(الثاني) قال الإمام أيضاً : واعلم أنه ليس بواجب في هذا المجاز أن يكون الفعل فاعل في التقدير اذا أنت نقلت الفعل اليه عدت به الى الحقيقة ، مثل أن تقول في ربحت تجارتهم :ربحوا في تجارتهم، فإن ذلك لا يأتي في كل شيء، ألا ترى أنه لا يمكنك أن تثبت للفعل في قولك : أقدمني بلدك حق لي على إنسان، فاعلاً سوى الحق ، وكذلك لا تستطيع في قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً

وقول ابن البواب :

وصيرني هواك وبي لحيني يضرب المثل

أن تزعم أن ليزيد قائلاً قد نقل عنه الفعل فجعل للوجه ، ولا لصيرني فاعلاً غير الهوى ، فالاعتبار إذاً بأن يكون المعنى الذي يرجع اليه الفعل موجوداً في الكلام على حقيقته ، معنى ذلك أن القدوم في المثال المتقدم موجود على الحقيقة ، وكذلك الزيادة والصيرورة موجودتان على الحقيقة ، وإذا كان معنى اللفظ موجوداً على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه بل لا محالة في الحكم .

(الثالث) هذا المجاز كما يجري في الخبر كما سلف يجري في الإنشاء ، كقوله تعالى: ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿ فأوقد لي هامان على الطين فاجعل لي صرحاً ﴾ [2] ، وقوله عز وجل: ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ [3]، وقوله عز وعلا : ﴿ أصلاتك تأمرك ﴾ [4]، فإن البناء والابقاء فعل العملة وهامان سبب آمر ، وهكذا يقال فيما بعده .

(الرابع) أنكر السكاكي هذا المجاز وقال : الذي عندي نظمه في سلك الاستعارة بالكناية يجعل الربيع مثلاً في قولك : أنبت الربيع البقل ، استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه، وجعل نسبة الإثبات اليه

(١) سورة غافر الآية ٣٦ .
(٢) سورة القصص الآية ٣٨ .
(٣) سورة طه الآية ١١٧ .
(٤) سورة هود الآية ٨٧ .

قرينة الاستعارة على ما سبق لك في بيان مذهبه في الاستعارة بالكناية، وقد رد هذا بأنه يستلزم ألا تصح الإضافة نحو: فما ربحت تجارتهم، لبطلان إضافة الشيء الى نفسه ، وألا يكون الأمر بالبناء لهامان في قوله : يا هامان ابن لي صرحاً ، لأن المراد به حينئذ العملة أنفسهم ، وأن يتوقف جواز التركيب في نحو : أنبت الربيع البقل، على السمع ، لأن أسماء الله تعالى توقيفية، وكل هذه اللوازم منتفية فتنتفي ملزوماتها .

تتمة وفيها مهمات

١ – المجازات[1] اللغوية المفردة يجب إقرارها حيث وردت ولا يجوز تعديها إلا بإذن وتوقيف من اللغة ، فإذا استعير لفظ الأسد للشجاع لما يربطهما من معنى الشجاعة يجب إقراره، ولا يجوز تعديته واستعارته للرجل الأبخر لعلاقة المشابهة بينهما ، ولفظ نخلة اذا استعير للرجل الطويل يجامع الطول في كل ، لا يصح أن تعديه ، ونطلقه على الحبل من أجل طوله .

أما المجازات العقلية فيجوز تعديها الى غير محالها التي وردت فيها ، فكما ورد قوله تعالى : ﴿ أخذت الأرض زخرفها ﴾ [2] ، قيل : تكاثرت أشواقي وأسقمني فقدك وأحيتني مشاهدتك ، الى غير ذلك مما لا يكاد يضبط في الرسائل والمواعظ والخطب كما قال ابن نباتة الخطيب : إنه الموت حسام أزهق النفوس ذبابه [3] ، كذا في الطراز .

٢ – المجاز خلاف الأصل ، فلا يصار اليه إلا لباعث يرجع إما الى اللفظ ، وإما الى المعنى ، وإما اليهما جميعاً :

(أ) فما يرجع الى اللفظ أن يكون المجاز أخف على اللسان من الحقيقة كما نشعر بذلك في مثل لفظ الخنفقيق (الداهية)، أو يكون صالحاً للقافية أو السجع وهي لا تصلح لذلك ، أو يكون مألوف الاستعمال والحقيقة غريبة وحشية .

(ب) ومما يرجع الى المعنى ، قصد التعظيم ، كما تقول : سلام على المجلس،

(١) وهي كون مثل هذا استعارة بالكناية .
(٢) سورة يونس الآية ٢٤ .
(٣) الذباب : طرف السيف الذي يضرب به .

إذ هو لا يعتقد ذلك ، وإنما يعتقد أن الأفعال الاختيارية مخلوقة بكسب العبد واختياره .

٣ – ما يطابق الاعتقاد دون الواقع كقول الطبيب ، المنكر لوجود الإله شفى الطبيب المريض ، وعليه قوله تعالى ، حكاية عن بعض الكفار : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ [1].

٤ – ما لا يطابق شيئاً منهما كالأقوال الكاذبة التي يكون المتكلم عالماً بحالها دون المخاطب ، كما تقول : سافر محمد ، وأنت تعلم أنه لم يسافر ، فلو علم المخاطب كما علمه المتكلم لما تعين كونه حقيقة لجواز[2] أن يجعل المتكلم علم السامع بأنه لم يسافر قرينة على عدم إرادة ظاهره ، فلا يكون إسناداً الى ما هو له عند المتكلم في الظاهر .

المبحث الثالث في تعريف المجاز وأقسامه

المجاز مفعل واشتقاقه من الجواز وهو التعدي من قولهم: جزت موضع كذا، اذا تعديته ، سمي به المجاز الآتي بيانه لأنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً .

وفي الاصطلاح قسمان : مجاز عقلي ، ولغوي ، والأول سنتكلم عنه بعد ، والثاني ضربان : مفرد ومركب ، فالمركب سيأتي بيانه .

والمفرد هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب لملاحظة علاقة [3] بين الثاني والأول مع قرينة [4] تمنع إرادة المعنى الأصلي ، كالأسد المستعمل في الشجاع ، والغيث المستعمل في النبات ، فخرج بقولنا : الكلمة المستعملة الكلمة قبل الاستعمال ، فلا هي حقيقة ولا مجاز ، وبقولنا :

(١) سورة الجاثية الآية ٢٤ .

(٢) فيكون مجازاً عقلياً إن كان الاسناد الى محمد للابسة كان كان محمد سبباً في سفر المسافر حقيقة ، أو يكون حقيقة كاذبة إذا كان المتكلم لم يجعل علم السامع قرينة على أنه لم يرد ظاهره .

(٣) هي بفتح العين على الأفصح ، وسميت كذلك لأن بها يتعلق ويرتبط المعنى الثاني بالمعنى الأول .

(٤) هي ما يفصح عن المراد من اللفظ وسيأتي أنها تارة تكون لفظاً وتارة تكون غيره .

في غير ما وضعت له الحقيقة ، وبقولنا في اصطلاح التخاطب الحقيقة التي لها معنى آخر في اصطلاح التخاطب كالزكاة إذا استعملها المتكلم باصطلاح اللغة في النماء ، فإنها يصدق عليها أنها كلمة مستعملة في غير ما وضعت له لكن باصطلاح آخر ، وهو اصطلاح الشرع لا اصطلاح المتكلم ، وهو اللغة ، فلولا هذا القيد لأمكن دخول هذه الحقيقة في تعريف المجاز ، وبقولنا الملاحظة : علاقة ، وهي المناسبة الخاصة بين المعنى المنقول عنه والمنقول اليه ، الغلط كالكتاب اذا استعمل في المسطرة غلطاً في نحو قولك : خذ الكتاب ، مشيراً الى مسطرة ، فإنه ليس فيه علاقة ملحوظة ، وبقولنا : مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي الكناية فإن قرينتها لا تمنع من إرادة الموضوع له .

وينقسم الى : مجاز مرسل واستعارة ، لأن العلاقة المصححة للتجوز إن كانت غير المشابهة فمجاز مرسل ، وإلا فاستعارة .

المبحث الرابع في المجاز المرسل[1]

هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة ومناسبة غير المشابهة كاليد اذا استعملت في النعمة ، لما جرت به العادة من صدورها عن الجارحة ، وبواسطتها تصل الى المقصود بها .

ويجب أن يكون في الكلام دلالة على رب تلك النعمة ومصدرها بنسبتها اليه ومن ثم لا تقول : اقتنيت يداً ، ولا اتسعت اليد في المد ، كما تقول : اقتنيت نعمة ، وكثرت النعمة في البلد ، وإنما تقول : جلست بدد عندي ، وكثرت أياديه لدي ، أو ما شابه ذلك .

ومن هذا قوله ﷺ لأزواجه : « أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً » ، إذ المراد بسط اليد بالعطاء والبذل .

ونظير ذلك اليد اذا استعملت في القدرة ، لأن أجلى مظاهرها وأحكمها في اليد ، ألا ترى أن بها البطش والتنكيل والأخذ والقطع والرفع والوضع ، الى غير ذلك من أفاعيلها التي ترشدك الى وجوه القدرة ومكانها .

(١) سمي بذلك لإرساله وإطلاقه عن التقييد بعلاقة خاصة .

ومن هذا النمط الأصبع في قولهم لراعي الإبل إن له عليها إصبعاً ، أي أثراً حسناً ، كما قال الراعي يصف راعياً

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

دلوا على أثر المهارة والحذق بالأصبع من قبل أنهما لا يظهران في عمل اليد إلا في حسن التصريف الأصابع وخفة رفعها ووضعها كما يظهر ذلك في الخط والنقش وغيرهما من دقائق الصناعات .

وعلاقات هذا المجاز كثيرة ، أشهرها :

١ – السببية ، وهي كون الشيء المنقول عنه سبباً ومؤثراً في شيء آخر ، نحو : رعى جوادي المطر ، أي الكلأ ، الحادث بالغيث .

٢ – المسببية ، وهي كون المنقول عنه مسبباً ومتأثراً من شيء آخر ، نحو: أمطرت السماء نباتاً ، أي ماء ، به يوجد النبات ، وتناولت كأس الشفاء ، أي الدواء ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وينزّل لكم من السماء رزقاً ﴾ (١) ، أي مطراً يسبب الرزق ، وقوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ (٢) ، أي سلاح يحدث القوة والمنعة .

٣ – الكلية ، وهي كون الشيء متضمناً لشيء آخر ولغيره ، كالأصابع المستعملة في الأنامل في قوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم ﴾ (٣) ، أي رؤوس أناملهم ، ونحو : شربت ماء النيل ، أي بعضه ، والقرينة : شربت ، وسكنت مصر ، أي منزلاً من منازلها ، والقرينة : سكنت .

٤ – الجزئية ، بمعنى أن الشيء يتضمنه وغيره شيء آخر كإطلاق العين على الربيئة (٤) لكونها هي المقصودة في كون الرجل ربيئة ، لأن ما عداها لا يغني شيئاً مع فقدها ، فصارت كأنها الشخص كله ، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ قم الليل إلا قليلاً ﴾ (٥) أي صلّ ، وقوله تعالى : ﴿ لا تقم فيه أبداً ﴾ أي لا تصلّ .

(١) سورة غافر الآية ١٣ .
(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٩ .
(٤) هو الشخص يطلع على عورات العدو في مكان عال ، وهو أيضاً الجاسوس .
(٥) سورة المزمل الآية ٢ .

وقولهم : قال فلان اليوم كلمة نالت استحسان الجميع ، أي كلاماً مفيداً .

وشروط هذه العلاقة أمران :

(أ) أن يكون الكل مركباً تركيباً حقيقياً .

(ب) أن يستلزم انتفاء الجزء انتفاء الكل عرفاً كما في إطلاق الرقبة ، أو الرأس ، على الإنسان دون إطلاق الظفر أو الأذن مثلاً ، أو أن يكون زائد الاختصاص بالمعنى المطلوب من الكل كما في إطلاق اليد على المعطى والعين على الربيئة ، أو أن يكون أشرف أجزائه ، كما في إطلاق القافية على القصيدة في قول معن بن أوس :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني (١)

٥ – الملزومية ، وهي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر ، كما في إطلاق الشمس على الضوء في قولك : دخلت الشمس من الكوة ، والقرينة على ذلك : دخلت .

٦ – اللازمية (٢) ، وهي كون الشيء يلزم وجوده عند وجود شيء آخر ، كما في إطلاق الحرارة على النار ، وإطلاق الضوء على الشمس في قولك : انظر الحرارة ، أي النار ، وطلع الضوء ، أي الشمس ، والقرينة على ذلك : انظر وطلع .

٧ – اعتبار ما كان ، وهو النظر الى الشيء بما كان عليه في الزمن الماضي ، نحو : شربت بناً جيداً ، تريد قهوة بن ، ونحو : مشيت اليوم في شارع بُلاق ، تريد شارع ٢٦ يوليو قبل تغيير الاسم ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ (٣) ، سمي الذين أمرنا بإيتائهم أموالهم حال البلوغ : يتامى ، لما كانوا عليه من اليتم ، ونحوه : ﴿ إنه من يأت ربه مجرماً ﴾ (٤) ، سماه مجرماً باعتبار الدنيا ، والقرينة على ذلك : شربت ، واليوم ، وآتوا ، ويأت .

(١) استد من السداد في الرأي أي استقام .
(٢) المعتبر هنا اللزوم الخاص وهو عدم الانفكاك .
(٣) سورة النساء الآية ٢ .
(٤) سورة طه الآية ٧٤ .

٨ – اعتبار ما سيكون ، وهو النظر الى الشيء عا سيكون عليه في الزمن المستقبل ، نحو : غرست اليوم شجراً ، وأنت تعني بذوراً ، وطحنت خبزاً ، أي قمحاً ، وعليه قوله تعالى . ﴿ ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ [١] أي صائراً الى الكفر والفجور ، وقوله تعالى : ﴿ إني أراني أعصر خمراً ﴾ [٢] أي عنباً يؤول عصيره الى الخمرية ، والقرينة على ذلك حالية في الأول ومقالية في الباقي ، وهي طحن ويلد وأعصر .

٩ – الحالية ، وهي كون الشيء حالاً في غيره نحو: نزلت بالقوم فأكرموني أي بدارهم ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ [٣] ، أي في الجنة التي هي محل الرحمة ، والقرينة : نزل و (هم فيها خالدون) .

١٠ – المحلية ، وهي كون الشيء يحل فيه غيره ، نحو : انصرف الديوان ، أي عماله ، وحكمت المحكمة أي قضاتها ، وأقرت المدرسة توزيع الجوائز على النابغين أي ناظرها ، والقرينة على ذلك : انصرف ، وحكمت ، وأقرت .

وقوله تعالى : ﴿ فليدعُ ناديه ﴾ [٤] ، أي أهل النادي ، وقوله تعالى : ﴿ بيده الملك ﴾ [٥] أي القدرة ، وقوله تعالى: ﴿ لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ﴾ [٦] أي عقول ، وقوله تعالى : ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ [٧] أي ألسنتهم ، والقرينة : انصرف وحكمت ويدعو وبيده ويفقهون ويقولون .

١١ – الآلية ، وهي كون الشيء آلة لإيصال أثر شيء الى آخر ، نحو : يتكلم فلان خمس ألسن ، أي خمس لغات ، ونحو : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ [٨] ، أي بلغة قومه .

(١) سورة نوح الآية ٢٧ .
(٢) سورة يوسف الآية ٣٦ .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٧ .
(٤) سورة العلق الآية ١٧ .
(٥) سورة الملك الآية ١ .
(٦) سورة الأعراف الآية ١٧٩ .
(٧) سورة آل عمران الآية ١٦٧ .
(٨) سورة إبراهيم الآية ٤ .

وقوله تعالى: ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ [١] أي ذكراً جميلاً ، والقرينة : يتكلم ، وأرسلنا ، واجعل .

١٢ – العموم ، وهو كون الشيء شاملاً لكثيرين ، كقوله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس ﴾ [٢] أي محمداً ﷺ ، وقوله عز من قائل : ﴿ الذين قال لهم الناس ﴾ [٣] يعني نعيم بن مسعود الأشجعي ، والقرينة على ذلك أن الحسد ما كان إلا له ، وأن القائل ما كان إلا نعيما .

١٣ – الخصوص ، كاطلاق اسم الشخص على القبيلة ، نحو: ربيعة ، ومضر ، وقريش ، وتميم .

١٤ – البدلية ، وهي كون الشيء بدلاً وعوضاً من شيء آخر ، نحو: قضيت الدين في موعده ، أي أديته ، وفي ملك فلان ألف دينار ، أي متاع يساوي ألفاً ونحو : ﴿ إذا قضيتم الصلاة ﴾ [٤] أي أديتم ، والقرينة : في موعده في الأول وحالية في الثاني والثالث .

١٥ – المبدلية ، أي كون الشيء مبدلاً من شيء آخر نحو: أكلت دم القتيل أي ديته ، كما قال عروة الرحال ، يخاطب امرأته متوعداً :

أكلت دماً إن لم أرُعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر [٥]

١٦ – المجاورة ، وهي كون الشيء يجاور غيره ، فيطلق عليه اسمه كاطلاق الراوية على القربة ، والثياب على النفس في قول عنترة :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرّم

وقد تكون المجاورة في الذكر فقط ، وتسمى المشاكلة ، نحو : اطبخوا لي جبة وقميصاً .

(١) سورة الشعراء الآية ٨٤ .
(٢) سورة النساء الآية ٥٤ .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٣ .
(٤) سورة النساء الآية ١٠٣ .
(٥) مهوى القرط : طول العنق ، قاله يتوعد زوجه بالزواج بأخرى حسنة جميلة ، وقبله :

أما لك عمر إنما أنت حية ... إذا هي لم تقتل تعش آخر العمر
ثلاثين حولاً لا أرى منك راحة ... لمنك في الدنيا لباقية العمر

١٧ ـ الدالية ، وهي كون الشيء يدل على شيء آخر ، نحو : فهمت الكتاب أي معناه ، كما قال المتنبي :

فهمت الكتاب أبو الكتب ... فسمعت لأمر أمير العرب

١٨ ـ المدلولية ، وهي كون الشيء مدلولاً لغيره ، نحو : قرأت معناه مشفوعاً بتقبيل ، تريد لفظه .

١٩ ـ إقامة صيغة مقام أخرى ، وتسمى هذه العلاقة بالتعلق الاشتقاقي ، ويندرج تحت هذا أنواع :

(أ) إطلاق المصدر على اسم المفعول نحو : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ [١] أي معلومه .

(ب) إطلاق اسم المفعول على المصدر ، نحو : ﴿ بأيكم المفتون ﴾ [٢] ، أي الفتنة .

(ج) إطلاق اسم الفاعل على المصدر ، نحو : ﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾ [٣] ، أي تكذيب ، أو على اسم المفعول نحو : ﴿ من ماء دافق ﴾ [٤] ، أي مدفوق ، ﴿ ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا مَن رَحِمَ ﴾ [٥] ، أي لا معصوم .

(د) إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل نحو : ﴿ إنه كان وعده مأتيا ﴾ [٦] أي آتياً ، ﴿ وحجاباً مستوراً ﴾ [٧] أي ساتراً .

تنبيهات

(١) ليس المقصود من العلاقة إلا بيان الارتباط ، فالفطن اللبيب يعرف ما يناسب كل مقام فيصح أن يعتبر في إطلاق الدال على المدلول علاقة المجاورة بأن يتخيل أن الدال مجاور للمدلول ، أو علاقة الحالية نظراً الى أن الدال محل

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .
(٢) سورة القلم الآية ٦ .
(٣) سورة الواقعة الآية ٢ .
(٤) سورة الطارق الآية ٦ .
(٥) سورة هود الآية ٤٣ .
(٦) سورة مريم الآية ٦١ .
(٧) سورة الإسراء الآية ٤٥ .

المدلول ، كما يقولون : الألفاظ قوالب المعاني ، أو علاقة السببية والمسببية ، أو نحو ذلك ، بحسب ما يهدي اليه الذوق ، ويرشد اليه الوجدان الصادق .

(٢) قد يكون اللفظ الواحد صالحاً لأن يكون بالنظر الى معنى واحد مجازاً مرسلاً واستعارة باعتبارين ، فإذا جاز مراعاة علاقتين أو أكثر فالمعول عليه هو ما لاحظه المتكلم ، فإن لم يعرف مقصده ، صح للمخاطب أن يعتبر ما يشاء ، ولكن بعد أن ينعم النظر ويرجح أكثرها قوة وأشدها ملاءمة للغرض ، ومن ثمة يرجح علاقة المشابهة على غيرها ، والمشابهة الحقيقية على الصورية ، فمثلاً المشفر اذا أطلق على شفة الإنسان ، فإن لوحظ في إطلاقه عليها المشابهة في الغلظ ، فهي استعارة ، وإن لوحظ أنه من إطلاق اسم المقيد على المطلق كان مجازاً مرسلاً .

(٣) قسم الإمام عبد القاهر هذا المجاز الى قسمين : خال من الفائدة ومفيد ، فالخالي منها ما استعمل في شيء بقيد مع كونه موضوعاً في أصل اللغة لذلك الشيء بقيد آخر من غير قصد التشبيه كالمرسن الذي أصله للحيوان والشفة التي أصلها للإنسان ، والجحفلة التي أصل وضعها للفرس ، اذا استعمل شيء منها في غير الجنس الذي وضعت له ، كقول العجاج : وفاحماً ومرسنا مسرجاً ، يريد أنفا كالسراج ، وقول الآخر :

فبتنا جلوساً لدى مهرنا ... نتزّع من شفتيه الصفارا [١]

أما المفيد فما عدا هذا الضرب والاستعارة كما اذا قصد التشبيه في الأمثلة الماضية ، كقولهم في الذم إنه لغليظ الجحافل وغليظ المشافر ، فإنه بمنزلة أن يقال كان شفتيه في الغلظ مشفر البعير ، وعليه قول الفرزدق :

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ... ولكن زنجي غليظ المشافر

يريد : ولكنك زنجي ، كأنه لا يسمو فكره الى معرفة شرفي .

(٤) يلاحظ مما سبق أن اسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التي تذكر في الجملة ، فإن كانت الجزء جعلت العلاقة الجزئية ، وإن كانت الكل جعلت الكلية ، وهكذا .

(١) شفتيه : اسم لإحدى شفتي البعير . الصفار : يطلق على ما يبقى في أصول أسنان الدابة لا تبين ونحوه .

أسرار البلاغة في المجاز المرسل

المجاز المرسل ضرب من التوسع أساليب اللغة وفن من فنون الإيجاز في القول انظر قوله :

كفى بالمرء عيباً أن تراه ... له وجه وليس له لسان

تراه قد سلك طريقاً أرشد بها السامعين الى أن مَن فقد الفصاحة والبيان ، فكأنه فقد اللسان جملة ، وفي هذا من كمال المبالغة ما أنت تشعر به وتتذوقه .

وهكذا تشاهد مثل هذا الخيال الرائع اذا أنت تأملت قوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

فإنك لتستبين منه أنه رعى الغيث ، وكأن النبات كله ماء .

وفي هذا كبير دلالة على أن النبات لا يحيا بدون الماء ، وعلى أن عليه حياة الحيوان على وجه الأرض ، وأنه بدونه لا يعيش .

تدريب أول

بيّن المجاز المرسل ، وعلاقته فيما يلي :

١ – إن العدو وإن تقادم عهده ... فالحقد باق في الصدور مغيب

٢ – ﴿ فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون ﴾ (١)

٣ – وإن حلفت لا ينقض النأي عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمين

٤ – ولم يبق سوى العدوا ... ن دناهم كما دانوا

٥ – مكثنا في (النعيم المقيم)

٦ – ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾ (٢)

٧ – ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ (٣)

٨ – ﴿ إنما يأكلون في بطونهم ناراً ﴾ (٤)

---

(١) سورة الأنعام الآية ٥ .
(٢) سورة الزمر الآية ٦٧ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٧٨ .
(٤) سورة النساء الآية ١٠ .

الاجابة

(١) في الصدور مجاز مرسل مفرد ، علاقته المحلية : لأن الصدور محل القلوب التي تتأثر بالحقد وغيره .

(٢) في الأنباء مجاز مرسل ، علاقته : التعلق الاشتقاقي ، إذ الوعيد ليس بالنبأ بل بالمنبأ به ، أي المخبر به .

(٣) في كلمة البنان مجاز علاقته الجزئية ، إذ المراد الكف ، وكذا في يمين مجاز علاقته السببية ، إذ المراد : ليس لها وفاء بالحلوف عليه .

(٤) في دناهم مجاز مرسل علاقته المسببية ، إذ المراد: جاز بناهم كما في المثل كما تدين تدان ، أي كما تفعل تجازى .

(٥) في كلمة يحيته ، مجاز مرسل علاقته المحلية ، إذ المعنى: بقوته وقدرته .

(٦) في كلمة القتلى ، مجاز مرسل علاقته ما سيكون ، إذ المراد : فيمن سيقتلون .

(٧) في كلمة ناراً ، مجاز مرسل علاقته المسببية ، لأن أكل هذه الأموال يوصل الى النار .

تدريب ثان

١ – « ذلك بما قدمت أيديهم »

٢ – « فظلت أعناقهم لها خاضعين »

٣ – ناولني الطبيب جرعة الشفاء

٤ – « وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم »

٥ – بلادي وإن جارت عليّ عزيزة ... وأهلي وإن ضنوا عليّ كرام

٦ – لك القلم الأعلى الذي بشباته ... يصاب من الأمر الكلي والمفاصل (١)

٧ – ﴿ وكم من قرية أهلكناها ﴾

٨ – ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾

---

(١) الشباة : حد السيف ونحوه ، والمراد هنا : حد القلم ، وإصابة الكلى كناية عن إصابة الصواب .

الكلمة	المراد	العلاقة	الكلمة	المراد	العلاقة
أيديهم	قدموا هم	الجزئية	أضعفهم	ظلوا هم	جزئية
زرعة الشعراء	حرفة الدواء	الحالية	الأبهار	بها	محلية
بلادي	أهلها	المحلية	شتته	ما تكنه	لابسة
أمنكناها	أردنا إهلاكها	السببية	فاعتدوا عليه	جاوره	السببية

تمرين أول

بيّن المجاز المرسل ، وعلاقته ، فيما يلي :

(١) تنبت أرض مصر ذهباً .

(٢) هذا خلق الله .

(٣) ﴿ لا مبدل لكلمات الله ﴾

(٤) حفرنا الماء (البئر)

(٥) قرأت شعر أبي العلاء

(٦) ركبت القطار

(٧) ﴿ ومن الليل فاسجد له ﴾

(٨) يتخرج في المدرسة رجال نافعون

تمرين ثان

١ – أصدق كلمة قالها لبيد : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » .

٢ – اذا الكماة تنحوا أن يصيبهم حدّ الظبات وصلناها بأيدينا [1]

٣ – كفى بالمرء عيباً أن تراه له وجه وليس له لسان

٤ – أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان إحسان

٥ – ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

٦ – وليست أيادي الناس عندي غنيمة ورب يد عندي أشد من الأسر

٧ – تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

(١) الظبات : جمع ظبة ، حد السيف ، والمراد هنا : السيف جميعه .

٨ – ألفيا على ممن وقولا لقيره سقتك الغوادي مربعا بعد مربع [1]

٩ – قال الحطيئة :

ندمت على لسان كان مني فليت بأنه في جوف عكم

المبحث الخامس في الاستعارة ومنزلها في البلاغة

قال الإمام في «أسرار البلاغة» : اعلم أن الاستعارة أمد ميداناً وأشد افتناناً وأوسع سعة وأبعد غوراً وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً [2] من أن تجمع شعبها وشعوبها وتحصر فنونها وضروبها ، ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعاني حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر ، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها ، إن شئت أرتك المعاني التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون ، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون ، انتهى .

وللاستعارة إطلاقان :

١ – المعنى المصدري ، وهو فعل المتكلم ، أعني استعمال لفظ المشبه بـه في المشبه بقرينة صارفة عن الحقيقة .

وأركانها بهذا المعنى ثلاثة : مستعار وهو اللفظ ، ومستعار منه وهو المشبه به ومستعار له وهو المشبه .

٢ – المعنى الاسمي ، وهو اللفظ المستعمل في غير المعنى الموضوع له لمناسبة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة تصرف عـن إرادة المعنى الأصلي ، كقولك : رأيت أسـداً ، تعني رجلاً شجاعاً ، وبحراً تريد جواداً ، وشمساً تريد إنساناً مضيء الوجه منهلاً ، وسللت سيفاً على العدو تقصد رجـلاً ماضياً في نصرتك .

فأنت بهذا قد استعرت اسم الأسد للرجل الشجاع ، فأفدت بهذه الاستعارة المبالغة في وصفه بالشجاعة وإيقاعك منه في نفس السامع صورة الأسد في بطشه وإقدامه وشدته ، الى غير ذلك من المعاني المركوزة في طبيعته الدالة على الجرأة ،

(١) الغوادي جمع غادية ، السحابة تنشأ غدوة ، والمربع : المطر في الربيع .

(٢) الغور الأول : القعر ، والثاني : الوادي .

الباب الثالث في الكناية

وفيه أربعة مباحث وخاتمة

المبحث الأول في تعريفها

الكناية لغة أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وقد كنوت بكذا عن كذا ، أو كنيت اذا تركت التصريح به ، أنشد الجوهري :

وإني لأكنو عن قذور بغيرها وأعرب أحياناً بها وأصارح

وفي الاصطلاح تطلق على معنيين :

١ – المعنى المصدري الذي هو فعل المتكلم ، أعني ذكر اللفظ الذي يراد به لازم معناه مع جواز إرادته [١] معه .

٢ – اللفظ المستعمل فيما وضع لـه ، لكن لا ليكون مقصوداً بالذات ، بل لينتقل منه الى لازمه المقصود لما بينهما من العلاقة واللزوم العرفي ، وعلى هذا التعريف فهي حقيقة لاستعمال اللفظ فيما وضع له ، لكن لا لذاته ، بل لينتقل منه الى لازمه فمعناه مراد لغيره مع استعمال اللفظ فـيما وضع له ، واللازم مراد لذاته ، لا مع استعمال اللفظ فيه ، فهو مناط الإثبات والنفي والصدق والكذب [٢] .

تفسير هذا أن العرب تلفظ أحياناً بلفظ لا تريد منـه معناه الذي يدل عليه بالوضع ، بل تريد منه ما هو لازم له في الوجود بحيث اذا تحقق الأول تحقق الثاني عرفاً وعادة ، فتقول : فلان رحب الصدر ، وتقصد أنـه حليم من قبل أن الحليم يكون ذا أناة وتؤدة ولا يجد الغضب اليه سبيلاً ، لما في صدره من السعة لاحتمال

---

(١) أي مع جواز إرادة المعنى الحقيقي مع اللازم كما ستعلم بعد .

(٢) فقولك : فلان طويل النجاد تريد طول القامة يكون الكلام صحيحاً وإن لم يكن له نجاد قط بل قد يستحيل المعنى الحقيقي كما سيأتي .

كثير من الحفائظ والأضغان كما يحتمل الصندوق الواسع كثيراً من المتاع والماعون، وتقول : فلانة تؤوم الضحى ، وتقصد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها من الخدم والحشم ، فهم يقومون بتدبير شؤون المنزل ، وقضاء الحوائج البيتية ، فلا تحتاج الى القيام مبكرة من النوم فأولئك قد كفوها مؤونة التعب والنصب .

(الفرق بينها وبين المجاز) مما سلف تعلم الفرق بين الكناية والمجاز هو أن الأولى لا يمتنع معها إرادة المعنى الأصلي ، فيسوغ في المثالين المتقدمين أن تريد أنه واسع الصدر حقيقة وأنها تنام حقاً الى وقت الضحى، وقد تمتنع إرادة المعنى الأصلي فيها أحياناً لخصوص الموضوع ، نحو: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[1] كناية عن الاستيلاء والملك ، ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾[2] كناية عن قوة التمكن وتمام القدرة ، الى غير ذلك[3] .

أما قرينة المجاز فتمنع من إرادة المعنى الأصلي ، فلا يسوغ إرادة الأسد المفترس في قولك: رأيت أسداً في الميدان يضرب يميناً وشمالاً .

المبحث الثاني في أقسامها من حيث المكنى عنه

تنقسم الكناية من حيث المكنى عنه الى ثلاثة أقسام :

١ ـ كناية يطلب بها صفة من الصفات كالجود والكرم ودماثة الأخلاق ، الى غير ذلك ، وهي ضربان :

(أ) قريبة ، وهي ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بلا واسطة سواء أكانت واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل النجاد[4] ، وقول الحماسي :

أبت الروادف والثدى لقمصها ... مسّ البطون وأن تمسّ ظهوراً

كنى عن كبر الإعجاز ونهود الثدى بارتفاع القميص عن أن يمس بطناً أو ظهراً .

---

(١) سورة طه الآية ٥ .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٧ .

(٣) فهذان ونحوهما كنايات من غير لزوم كذب لأن استعمال اللفظ في معناه الحقيقي وطلب دلالته عليه إنما هو لقصد الانتقال منه الى لازمه المراد .

(٤) النجاد : حمائل السيف ، وقد اشتهر استعمال طويل النجاد في طويل القامة .

وهذا من بديع الكناية، أم خفية يتوقف الانتقال منها الى اللازم على التأمل وإعمال الرؤية ، كقولهم كناية عن الأبله هو عريض القفا ، إذ يزعمون أن عرض القفا وعظم الرأس اذا أفرطا دلا على الغباوة ، أو ما ترى ، الى قول طرفة :

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد

(ب) بعيدة، وهي ما ينتقل منها الى المطلوب بها بواسطة كقولهم في الكناية عن المضياف : هـو كثير الرماد ، فإنه ينتقل الذهن من كثرة الرماد الى كثرة الطبائخ ، ومنها الى كثرة الرماد ، ومنهـا الى كثرة الضيفان ، ثم الى المضيافة ، وهي المقصودة ، ونظيره قول الآخر :

وما بك في من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

فإن الذهن ينتقل من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يقصد داراً هو مقيم على حراستها والعس دونها ، مع أن ذلك ليس من طبعه ، الى أنه قد دام زجره وتأديبه حتى تغير عن مجرى عادته ، ثم الى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه ، ومن ذا الى كونه ملجأ للقاصي والداني ، ومن ذا الى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف .

وكذا ينتقل من هزال الفصيل الى فقـد الأم ، ومن ذا الى قوة الداعي الى نحرها مع كمال عنايتهم بالنوق ، خصوصاً المثالي [1] منها ، ومن هذا الى صرفها الى الطبائخ ، ومن ذا الى أنه مضياف .

٢ ـ كناية ، يطلب بها موصوف ، نحو قولك كناية عن الأسد: قتلت ملك الوحوش ، وشرطها الاختصاص بالمكنى عنه ليحصل الانتقال منها اليه ، وهي ضربان :

(أ) ما هي معنى واحد بأن يتفق في صفة اختصاصها بموصوف معين فتذكر تلك الصفة ليتوصل بهـا الى ذلك الموصوف كمجامع الأضغان كناية عن القلوب في قوله :

الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان [2]

---

(١) المثالي من أثلت الناقة اذا تلاها ولدها .

(٢) الضاربين منصوب على المدح وكذا الطاعنين ، والأبيض: السيف ، والمخذم: القاطع .

ونحوه قول البحتري في قصيدته التي وصف فيها قتلة للذئب :

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد[1]

ففي الشطر الثاني ثلاث كنايات ، كل منهـا مستقل بإفادة الغرض ، لا كناية واحدة ، فقوله : بحيث يكون اللب، الرعب، الحقد، ثلاثتها عن كناية القلب ، إذ هو محل العقل والخوف والضغينة .

(ب) مـا هي مجموع معان بأن تؤخذ صفة فتضم الى صفة ثانية ، ثم ثالثة ، فتكون جملتها ممـا يختص بالموصوف ، فمتى ذكرت توصل بها اليه كقولهم كناية عن الإنسان : إنه حي مستوي القامة عريض الأظفار ، فمجموع هذه الأوصاف هو الثلاثة المختص بالإنسان لا كل واحد[2] منها .

٣ – كناية ، يطلب بهـا نسبة[3] ، أي ثبوت أمر لأمر، أو نفيه عنه ، كما يقولون : المجد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه[4] ، فهم لم يصرحوا بثبوت المجد والكرم لـه ، بل كنوا عن ذلك بكونهما بين بُرْديه وبين ثوبيه ، وكقول زياد الأعجم في مدح عبد الله بن الحشرج وكان أمير نيسابور :

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

فإنه أراد أن يثبت هذا الصفات خلالاً للممدوح لكنه لم يصرح بذلك فيقول: إنها مجموعة فيه ، أو مقصورة عليه ، أو نحو ذلك ، بل عدل الى ما أنت تراه فجعلها في قبة مضروبة عليه لتمكنه أن يثبتها للممدوح بطريق الكناية ، لأنـه اذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبت له ، ومثل هذا وإن كان في حلة أبدع ووشى أغرب قول حسان :

بنى المجد بيتاً فاستقرت عماده علينا فأعيا الناس أن يتحولا

وقول أبي نواس :

فمـا جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

---

(١) ضمير أتبعتها يعود الى الطعنة ، والنصل حديدة السيف .

(٢) ويسمى هذا خاصة مركبة .

(٣) ضابطها أن يصرح بالصفة ويقصد باثباتها لشيء له صلة بالموصوف وارتباط به الكناية عن إثباتها للمراد وهو الموصوف بها بخلاف كناية الصفة فانه لا يصرح فيها بالصفة المرادة .

(٤) هما الأزار والرداء وهما الثوبان .

وقول الآخر : « وحيثما يك أمر صالح تكن » .

ففي كل هذا توصل الى إثبات للممدوح بإثباتها في المكان الذي يحل فيـــه ، ولزومها بلزومه حيثما كان ، وعلى هذا المسلك يحمل قولهم : مثلك لا يبخل .

قال في «الكشاف» : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية ، لأنهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي : العرب لا تخفر الذمم ، فإنه أبلغ من قولك : أنت لا تخفر ، انتهى .

المبحث الثالث في أقسامها من حيث الوسائط

تنقسم الكناية باعتبار الوسائط الى أقسام أربعة :

١ — تعريض[1] وهو خلاف التصريح واصطلاحاً ما أشير به الى غير المعنى بدلالة السياق ، كما تقول : المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ، فالمعنى الأصلي انحصار الاسلام فيمن سلم الناس من يده ولسانه ، والمعنى الكنائي اللازم للمعنى الأصلي انتفاء الاسلام عن المؤذي مطلقاً ، وهو المعنى المقصود من اللفظ ، ويشير بسياقه الى نفي الاسلام عن المؤذي الذي تكلمت عنده .

ومن لطيف ذلك ما كتبه عمر بن مسعدة وزير المأمون الى المأمون يوصيه على بعض أصحابه : أما بعد ، فقد استشفع بي فلان الى أمير المؤمنين ليتطول[2] في إلحـاقه بنظرائه ، فأعلمته بأن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك بعد عن طاعته ، فوقع المأمون في كتابه : قد عرفنا نصيحتك له وتعريضك لنفسك وأجبناك اليها .

٢ — تلويح ، وهو لغـة أن تشير الى غيرك من بعد واصطلاحاً كناية كثرت فيها الوسائط بين اللازم والملزوم ، نحو : (أولئك قوم يوقدون نارهم في الوادي) كناية عن بخلهم ، فقد انتقل من الايقاد في الوادي المنخفض ، الى إخفاء النيران ، ومن هـذا الى عدم رغبتهم في اهتداء ضيوفهم اليها ، ومن ذا الى بخلهم ، ونحوه ما تقدم من قولهم : هو جبان الكلب ، ومهزول الفصيل .

---

(١) قد يكون التعريض كناية كما في هذا المثال ، وقد يكون مجازاً .

(٢) يتطول : أي يتكرم من الطول ، وهو الفضل والزيادة .

٣ – رمز وهو لغة أن تشير الى قريب منك خفية بشفة ، أو حاجب ، كما قال :

رمزت إلي مخافة من بعلهـــا من غير أن تبدي هناك كلامها

واصطلاحاً هو كناية قلت وسائطها مع خفاء اللزوم نحو: هو غليظ الكبد، كناية عن القسوة، إذ ذلك تتوقف على معرفة ما كان يعتقده العرب من أن الكبد موضع الاحساس والتأثر فيلزم من رقته اللين ومن غلظه القسوة، ونحوه ما سبق.

٤ – إيماء وإشارة ، وهي كناية قلت وسائطها ، مع وضوح الدلالة ، كقول أبي تمام يصف إبله مادحاً أبا سعيد [١] :

أبين فما يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد

وقول البحتري يمدح آل طلحة :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحـة ثم لم يتحول

ومن لطيف ذلك وعجيبه قول بعضهم في رثاء البرامكة :

سألت الندى والجود مالي أراكما تبـدلتما ذلاً بعـز مؤبـد
وما بال ركن المجد أمسى مهدماً فقالا أصبنا بابن يحيى محمـد
فقلت : فهلا متما عنـد موته فقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا : أقمنا كي نعزي بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غـد

المبحث الرابع في حسن الكناية وقبحها

الكناية تكون حسنة إن جمعت بين الفائدة ولطف الإشارة كما تقدم لك من الأمثلة ، وقبيحة اذا خلت ممـــا ذكر ، كقول الشريف الرضي يرثي امرأة : (إن لم تكن نصـلاً فغمد نصال) ، فهذا من رديء الكنايات ، إذ هذا لا يفيد ما قصده من المعنى ، بل ربما جرّ الى ما يقبح من تهمتها بالريبة .

ونحوه قول أبي الطيب :

إني على شغفي بما في خُمْرها لأعف عمـا في سراويلاتها

قال ابن الأثير: فهذه كناية عن النزاهة والعفة ، إلا أن الفجور أحسن منها ،

---

(١) هو أبو سعيد بن يوسف الثغري .

وما ذاك إلا من سوء تأليفها وقبح تركيبها، وقد أجاد الشريف فيما زلت فيه قدم أبي الطيب فجاء به على وصف حسن وقالب عجيب حيث قال :

أحن الى ما يضمن الخز والحلى وأصدف عما في ضمان المآزر

وقريب من بيت المتنبي قول الآخر:

وما نلت منها محرماً غير أنني اذا هي بالت بلت حيث تبول

خاتمـــة

اتفقت كلمة البلغاء على:

١ – أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح ، لأن الانتقال فيهما من الملزوم الى اللازم فهو كدعوى الشيء ببينة .

٢ – وعلى أن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، ومن المجاز المرسل ، لما فيها من دعوى الاتحاد ، وأن أبلغ أنواعها الاستعارة التمثيلية ، ثم المكنية ، لاشتمالها على المجاز العقلي الذي هو قرينتها .

٣ – وعلى أن الاستعارة سواء أكانت تمثيلية أم مكنية أم غيرهما ، أبلغ من الكناية ، لأنها كالجامعة بين كناية واستعارة .

وليس معنى الأبلغية في كلا من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيدها خلافه ، بل المراد زيادة التأكيد في الاثبات .

قال الإمام عبد القاهر : فليست فضيلة قولنا رأيت أسداً على قولنا رأيت رجلاً لا يتميز عن الأسد في جرأته وشجاعته ، أن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة له لم يفده الثاني ، وسر هذه المزية والفخامة أنك اذا قلت : رأيت أسداً كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول، وكالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده ، وذلك أنه اذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة ، وكالمستحيل والممتنع أن يعرى عنها واذا صرحت بالتشبيه فقلت: رأيت رجلا كالأسد، كنت قد أثبتها إثبات الشيء يترجح بين أن يكون وألا يكون ، ولم يكن من حديث الوجوب في شيء .

٣ – رمز وهو لغة أن تشير الى قريب منك خفية بشفة ، أو حاجب ، كما قال :

رمزت إلي مخافة من بعلهـــا من غير أن تبدي هناك كلامها

واصطلاحاً هو كناية قلت وسائطها مع خفاء اللزوم نحو: هو غليظ الكبد، كناية عن القسوة، إذ ذلك تتوقف على معرفة ما كان يعتقده العرب من أن الكبد موضع الاحساس والتأثر فيلزم من رقته اللين ومن غلظه القسوة، ونحوه ما سبق.

٤ – إيماء وإشارة ، وهي كناية قلت وسائطها ، مع وضوح الدلالة ، كقول أبي تمام يصف إبلا مادحاً أبا سعيد [1] :

أبين فما يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد.

وقول البحتري يمدح آل طلحة :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحـة ثم لم يتحول

ومن لطيف ذلك وعجيبه قول بعضهم في رثاء البرامكة :

سألت الندى والجود مالي أراكما تبـدلتما ذلاً بعـز مؤبـد
وما بال ركن المجد أمسى مهدماً فقالا أصبنا بابن يحيى محمـد
فقلت : فهلا متما عنـد موته فقد كنتما عبديه في كل مَشهد
فقالا : أقمنا كي نعزي بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غـد

المبحث الرابع في حسن الكناية وقبحها

الكناية تكون حسنة إن جمعت بين الفائدة ولطف الإشارة كما تقدم لك من الأمثلة ، وقبيحة اذا خلت ممـــا ذكر ، كقول الشريف الرضي يرثي امرأة : (إن لم تكن نصـلاً فغمد نصال) ، فهذا من رديء الكنايات ، إذ هذا لا يفيد ما قصده من المعنى ، بل ربما جرّ الى ما يقبح من تهمتها بالريبة .

ونحوه قول أبي الطيب :

إني على شغفي بما في خُمْرها لأعف عمـا في سراويلاتها

قال ابن الأثير: فهذه كناية عن النزاهة والعفة ، إلا أن الفجور أحسن منها ،

---

(١) هو أبو سعيد بن يوسف الثغري .

وما ذاك إلا من سوء تأليفها وقبح تركيبها، وقد أجاد الشريف فيما زلت فيه قدم أبي الطيب فجاء به على وصف حسن وقالب عجيب حيث قال :

أحن الى ما يضمن الخمر والحلى وأصدف عما في ضمان المآزر

وقريب من بيت المتنبي قول الآخر:

وما نلت منها محرماً غير أنني اذا هي بالت بلت حيث تبول

خاتمـــة

اتفقت كلمة البلغاء على:

١ – أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح ، لأن الانتقال فيهما من الملزوم الى اللازم فهو كدعوى الشيء ببينة .

٢ – وعلى أن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، ومن المجاز المرسل ، لما فيها من دعوى الاتحاد ، وأن أبلغ أنواعها الاستعارة التمثيلية ، ثم المكنية ، لاشتمالها على المجاز العقلي الذي هو قرينتها .

٣ – وعلى أن الاستعارة سواء أكانت تمثيلية أم مكنية أم غيرهما ، أبلغ من الكناية ، لأنها كالجامعة بين كناية واستعارة .

وليس معنى الأبلغية في كلا من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيدها خلافه ، بل المراد زيادة التأكيد في الاثبات .

قـال الإمام عبد القاهر : فليست فضيلة قولنا رأيت أسداً على قولنا رأيت رجلاً لا يتميز عن الأسد في جرأته وشجاعته ، أن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفـاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة له لم يفده الثاني ، وسر هذه المزية والفخامة أنك اذا قلت : رأيت أسداً كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول، وكالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده ، وذلك أنـه اذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة ، وكالمستحيل والممتنع أن يعرى عنها واذا صرحت بالتشبيه فقلت: رأيت رجلا كالأسد، كنت قد أثبتها إثبات الشيء يترجح بين أن يكون وألا يكون ، ولم يكن من حديث الوجوب في شيء .

وليست فضيلة قولنا: جم الرماد على قولنا كثير القرى أن الأول أفاد زيادة لقراه لم يفدها الثاني بل هي أن الأول أفاد تأكيد الإثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني ، وذلك أن كل عاقل يعلم أن إثبات الصفة بإثبات دليلها آكد وأبلغ في الدعوة من أن تجيء اليها فتثبتها هكذا ساذجاً عقلاً ، وذلك أنك لا تدعي دليل الصفة إلا والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يشك فيـــه ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط ، كذا في «دلائل الإعجاز» مع اختصار.

أسرار البلاغة في الكناية

الكناية فن من التعبير توخاه العرب استكثاراً للألفاظ التي تؤدي ما يقصد من المعاني ، وبها يتنوفون في الأساليب ، ويزينون ضروب التعبير ، ويكثرون من وجوه الدلالة ، انظر الى امرىء القيس تجده كنى عـن المرأة ببيضة الخدر في قوله :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

وإلى حميد بن ثور نراه كنى عنها بالسَّرْحة في قوله :

أبى الله إلا أن سرحة مالك على كل أفنان العضاه[1] تروق
فيا طيب رياها وبرد ظلالها اذا حان من حامي النهار وديق[2]

وإلى النبي ﷺ وقد كنى عنها بالقارورة في قوله لأنجشه وهو يحدو بنسائه: « رفقاً بالقوارير » ، وبها ينصبون الدليل على كل قضية ويقيمون البرهان على كل مدعي ، انظر الى المتنبي وهو يذكر وقيعة سيف الدولة بأعدائه:

فمسّاهم وبُسطهم حـرير وصبّحهم وبُسطهم تراب

تجده قد أراد أن يبين أنـه قهرهم وأذلهم بعد أن كانوا أعزة ، لكنه تلطف في التعبير ونصب الدليل على صحة دعواه ، فأشار الى عزتهم أولاً بافتراشهم بسط الحرير ، ثم الى ذلتهم بعد بافتراشهم بسط التراب.

وتأمل قول أبي تمام يمدح أبا سعيد بن يوسف الثغري ويذكر كرمه :

أبين فما يزرن سـوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد

---

(١) شجر عظيم شائك .
(٢) شدة الحر في الهاجرة .

تره قد أبان كرم أبي سعيد بغاية الوضوح من حيث أبان أن إبله أبت إلا أن تزور الكرماء ، ويكفيها أن تزور من بينهم أبا سعيد .

وليس بالخفي ما للكناية من فضيلة في إلباس المعقول ثوب المحسوس ، أتراك تشاهد لطف التعبير ودقة التصوير اذا تأملت الكناية بحمالة الحطب عن النمامة التي تفسد ذات البين وتهيج الشر في قوله تعالى يصف امرأة أبي لهب : ﴿ وامرأته حمالة الحطب ﴾ (١) فإنك وأنت تقرؤها يخيل اليك أنها ممسكة حطبها بيديها ، ومشعلة ناراً لتوقد العداوة والبغضاء بين قوم ، وتؤلب بعضهم على بعض .

الى ما فيها من حيلة بترك بعض ألفاظ الى ما هو أجمل في القول وآنس للنفس ، ألا ترى اليهم وهم يكنون عن الموت بقولهم : «فلان قد استوفى أكله» أو بقولهم: «لحق باللطيف الخبير» وعن الصحراء بالمفازة وهي مهلكة .

الى ما فيها من حسن التلطف في إطراح الألفاظ المستهجنة كما جاء في القرآن الكريم من الكنايات التي تتعلق بالنساء كالنهي عن أخذ المهور مع ذكر السبب في قوله تعالى : ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ (٣) .

الى أنها قد تكون طريقاً من طرق الايجاز والاختصار كقوله تعالى كناية عن كثير من الأفعال : ﴿ ولبس ما كانوا يفعلون ﴾ (٤) وقولهم كناية عن الجامع لكل شيء (هو سفينة نوح) .

وأنك لترى فيها من العجب العجاب ومن غريب الصنعة ومن بديع السحر اذا كانت في باب الصناعات الخسيسة والأشياء الحقيرة بذكر منافعها ، كما قيل لحائك : ما صناعتك ؟ قال : زينة الأحياء ، وجهاز الموتى .

وقال ابن باقلاني (بائع فول) :

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره ... وإن نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً الى ضوء ناره ... فمنهم قيام حوله وقعود

---

(١) سورة المسد الآية ٤ .
(٢) سورة النساء الآية ٢١ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٩٧ .
(٤) سورة المائدة الآية ٧٩ .

نموذج أول

بيّن الكناية وأنواعها باعتبار المكنى عنه وباعتبار الوسائط فيما يلي :

١ – وإن حلفت لا ينقض النأي عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

٢ – قال الحجاج: إن أمير المؤمنين نثر كنانته عوداً عوداً فوجدني أمرها ضرب عوداً وأصابها مكسراً فرماكم بي، والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم غرائب الإبل .

٣ – ولا زال بيت الملك فوقك عاليا تشيد أطناب له عمود

٤ – تقول التي من بيتها خف محملي عزيز علينا أن نراك تسير

٥ – أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من القطن

٦ – يبيت بمنجاة من اللؤم بيتها اذا ما بيوت بالملامة حلت

الاجابة

١ – في مخضوب البنان كناية عن موصوف، وهي المرأة، إذ هذه من صفاتها الخاصة بها ، من نوع الإيماء لأن الذهن ينتقل الى ذلك بلا واسطة .

٢ – في هذه العبارة كنايات ثلاث :

(أ) ففي قوله : نثر كنانته الى قوله فرماكم بي كناية عن صفة هي البحث والتفتيش عن الأصلح حتى عثر عليه وهي من نوع التلويح لأن الذهن ينتقل من نثر الكنانة الى البحث والتفتيش عن أصلح سهامها ومن ذا الى العثور على ذلك الأصلح ومن ذا الى اختياره من بينها ثم إرساله اليهم لتدبير شئونهم .

(ب) وفي قوله : لأحزمنكم حزم السلمة كناية عن صفة هي الضغط عليهم والبطش بهم من نوع الإيماء .

(ج) وفي قوله: لأضربنكم الخ كناية عن صفة هي القسوة في معاملتهم والتنكيل بهم ، وهي من نوع الإيماء .

٣ – في هذا البيت كناية عن نسبة هي اتصافه بالملك ، لأن الذهن ينتقل من ملازمته بيت الملك وحلوله في ذلك المكان الى كونه ملكاً ، وهي من نوع الإيماء .

٤ – كنى أبو نواس بقوله من بيتها خف الخ عن موصوف ، وهي امرأته ، لأن الراحلة إنما تخف من بيت صاحبها في العادة ، فهي كناية عن موصوف ، وهي امرأته لأن الراحلة إنما تخف من بيت صاحبها في العادة فهي كناية عن موصوف من نوع الإيماء لعدم الوسائط .

٥ – في قوله : أخلاهم من الفطن كناية عن موصوف وهم الجهال ، وهي من نوع الإيماء .

٦ – في هذا البيت كناية عن نسبة هي إثبات النزاهة لها ونفي الفجور عنها ذلك أنه نبه بنفي اللوم عن بيتها على انتفاء أنواع الفجور عنها ، ومن ذا الى براءتها من كل ما يشينها ، وهي من نوع الايماء .

نموذج ثان

بيّن أنواع الكناية من حيث المكنى عنه ومن حيث الوسائط :

١ – قال زياد بن أبيه : وإني لأقسم بالله لآخذنّ الولي بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمطيع بالعاصي ، حتى يلقي الرجل قاتل أبيه فيقول : « انج سعد فقد هلك سعيد »[١] ، أو تستقيم لي قناتكم[٢].

٢ – ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودُسُر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كُفر ﴾[٣].

٣ – وأقبلت يوم جد البين في حلل ... سود تعض بنان النادم الحصر[٤]

٤ – أريد بسطة كفّ أستعين بها ... على قضاء حقوق للعُلا قبلي

٥ – لا أمتع العوذ بالفصال ولا ... أبتاع إلا قريبة الأجل[٥]

٦ – فصبّحهم وبسطهم حرير ... ومسّاهم وبسطهم تراب

---

(١) مثل أصله أسعد أم سعيد يضرب للفشل أو الظفر بالبغيه .
(٢) القناة الرمح ، والعصا المستوية .
(٣) الدسر جمع دسار وأصله خيط من ليف تشد به ألواح السفينة (سورة القمر) .
(٤) الحصر : البخيل .
(٥) العوذ جمع عائذ الحديثة النتاج من الظباء والابل ، والفصال جمع فصيل ولد الناقة .

الاجابـــة

١ – في هذه المقالة كنايات عدة، فقد كنى بقوله: انج سعد الخ، عن الفرار والهرب، وهي نوع من التلويح لكثرة الوسائط فيها إذ ينتقل الذهن من قولهم هذا الى السبب الباعث على ذلك، وهو الخوف من الفتك بهم، ومن ذا الى أخذ عدتهم للهرب، تباعداً عن التنكيل بهم، الى الهرب وهو المراد، وكنى باستقامة القناة عن حسن سيرهم واعتدالهم في أمورهم، وهي كناية عن صفة من نوع الرمز.

٢ – كنى الله تعالى بذات الألواح والدسر عن السفينة، إذ ذاك وصف خاص بها، فهي كناية عن موصوف من نوع الإيماء، وكنى بقوله: تجري بأعيننا عن شمول لطفه وعنايته بها، وهي كناية عن صفة من نوع التلويح لوجود الوسائط إذ ينتقل الذهن من النظر اليها، الى مراقبتها، ومن ذا الى الاهتمام بها، ومنه الى العناية بها.

٣ – كنى بعض بنان الندم عن الأسف على فوات المرغوب فيه، فهو كناية عن صفة من نوع الإيماء.

٤ – كنى ببسطة الكف عن الغنى، فهو كناية عن صفة من نوع الإيماء، إذ ينتقل الذهن من بسطة الكف، الى مثلها بالمال، الى الغنى.

٥ – في هذا البيت كنايتان عن صفتين من نوع التلويح، الأولى كناية عن نحو الفصال، والثانية كناية عن أنه مضياف، ذاك أن الذهن ينتقل من عدم امتناعها الى أنه لا يبقى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر اليها، ومن ذا الى نحرها، وكذا ينتقل من قرب أجلها الى نحرها، ومن ذا الى أنه مضياف.

٦ – في هذا البيت كنايتان عن صفتين، وهما العز والذل، من نوع التلويح إذ كنى بكون بسطهم حريراً عن عزتهم إذ ينتقل الذهن من إحرازهم الرياش والأثاث الفاخر الى غناهم ومن ذا الى كونهم أعزاء، وكنى بكون بسطهم تراباً عن ذلهم، إذ ينتقل الذهن من افتراش التراب الى ضياع ما يملكون، ومن ذا الى كونهم أذلاء.

تمرين أول

بيّن الكناية باعتبار المكنى عنه وباعتبار الوسائط فيما يلي :

١ – بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا [١]

٢ – أبيني أفي يمني يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شمالك [٢]

٣ – ﴿ أو مَن يُنشأ في الحلية وهو في الخصام غيرُ مبين ﴾ [٣]

٤ – ﴿ ولا يكلمهمُ اللهُ يومَ القيامة ولا يُزكيهم ﴾ [٤]

٥ – روي أن امرأة وقفت على قيس بن سعد فقالت : أشكو اليك قلة الفأر في بيتي فقال : ما أحسن ما روت عن حاجتها ، املئوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً .

٦ – ومَن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

٧ – تشتكي ما اشتكيت من ألم الشو ق اليها حيث النحول

تمرين ثان

١ – قوم ترى أرحامهم يوم الوغى مشغوفة بمواطن الكتمان

٢ – وإن ذكر المجد ألفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى

٣ – ولست بخالع درعي وسيفي الى أن يخلع الليل النهار

٤ – ﴿ سنشدُّ عضدكَ بأخيك ﴾ [٥]

٥ – تعرضت عجوز لسليمان بن عبد الملك فقالت : يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي ، فقال لها : ألطفت في السؤال ، لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود ، وملأ بيتها حباً .

٦ – اللابس المجد لم تنسج غلائله إلا يد الصانعين السيف والقلم

٧ – ولما سقط في أيديهم

---

(١) الصنائع : جمع صنيعة وهي الاحسان ، والمرابع : جمع مربع الموضع يقيمون فيه زمن الربيع ، والمواضي السيوف .

(٢) فان الشيء النفيس يحتفظ به في اليد اليمنى عادة ، والذي لا يؤبه له يوضع في اليسرى.

(٣) ينشأ يربى ، والخصام الجدل (سورة الزخرف) .

(٤) سورة البقرة الآية ١٧٤ .

(٥) سورة القصص الآية ٣٥ .

نموذج عام في البيان

١ – جاء في بعض الجرائد أن ظفر الزعيم سعد زغلول في الانتخابات يسيل له لعاب ساسة الغربيين ، فجميع الروابي التي نشهدها في جميع الأقطار لا تبلغ سفح هذا الجبل .

٢ – وإن حلفت لا ينقض النأي عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

الاجابة

١ – في جملة يسيل الخ ، كناية عن صفة هي الشوق اليه من نوع التلويح ، إذ ينتقل الذهن من سيل اللعاب الى الشيء ، الى شهوته وميل النفس اليه ومحبتها له ، وفي الروابي استعارة تصريحية أصلية مجردة فقد شبه الزعماء بالروابي بجامع العظم وجلالة القدر في كل والقرينة حالية ، وفي قوله : تبلغ سفح هذا الجبل ، استعارة تصريحية مرشحة بكلمة سفح والقرينة حالية .

٢ – في نقض النأي مجاز عقلي علاقته السببية لأن البعد سبب النقض وخلف العهد ، وفي العهد استعارة بالكناية حيث شبه العهد بالحبل بجامع أن كلا يفيد الربط ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ، ثم حذف لفظ المشبه ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو النقض ، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية ، وإثبات النقض للعهد استعارة تخييلية وهي قرينة المكنية ، وفي البنان مجاز مرسل علاقته الجزئية لأن التي تخضب هي الكف كلها ، وفي يمين مجاز مرسل علاقته السببية إذ المراد وفاء باليمين وإنفاذ لما حلفت عليه ، وفي مخضوب البنان كناية عن موصوف وهي المرأة من نوع الإيماء والإشارة ، والشطر الثاني كله استعارة تمثيلية ، لأنه جار مجرى المثل .

مزايا دراسة البيان في صوغ مختلف الأساليب

رأيت فيما سلف ألواناً مختلفة من التعبير وضروباً متنوعة من البيان ، يستطيع المتكلم أن يجعلها قبلة أنظاره اذا أراد صياغة المعاني في القوالب التي يراها أليق بغرضه وأبلغ لمقصده ، ويحوك بها ما شاء أن يحوكه من شريف المعاني التي تجيش بخاطره وتعلق بصدره فإذا طرق باب المديح وأراد وصف ممدوحه بالكرم والجود أمكن أن ينحو نحو مسلم بن الوليد حين مدح زيد بن مسلم الحنفي من وائل فقال:

ولو أن في كبد السماء فضيلة　　لسما لها زيدُ الجوادُ فنالا
يا زيد آل يزيد ذكرك سؤدد　　باق وقربك يطرد الإمحالا
نفحات كفك يا ذؤابة وائل　　تركت عليك الراغبين عيالا

فيؤدي المعنى على حقيقته دون مبالغة ولا إغراق ، أو حين يمدح جعفر بن يحيى البرمكي فيقول :

تداعت خطوب الدهر عن جابر جعفر　　وأمسك أنفاس الرغائب سائله
هو البحر يغشى سرة الأرض سيبه　　وتدرك أطراف البلاد سواحله
فلو لم يكن في كفه غير روحه　　لجاد بها فليتق الله سائله

فهو قد شبهه بالبحر اللجي ، يعم فيضه الآفاق ، وتدرك سواحله أطراف البلاد ، أو نحو أبي نواس وهو يمدح الخطيب:

أنت الخطيب وهذه مصر　　فتدفقا فكلاكما بحر
ويحق لي اذا ضربت بينكما　　ألا يحل بساحتي فقر

فجعله كالبحر المتدفق الذي اذا حل ببلدة عمها الخصب وفارقها الجدب ، أو نحو قول البحتري يمدح يوسف بن محمد:

أدراهم الأولى بداره جُلجُل　　سقاك الحيا روحاته وبواكره
وجاءك يحكي يوسف بن محمد　　فروقك رباه وجادك ماطره

إذ لم يشأ إلا أن يجعل الغيث يشبهه في فيضه ، وبالغ في التشبيه ، وافتن في الأسلوب ، وعكس ما ألفه الناس من تشبيه الجواد بالغيث والبحر ، ثم انظر إلى قول الآخر :

إذ ما رأيت رأيت البحر يبسط كفه　　فلا تخش إقلالاً من الدهر أو عدما

فقد لجأ في وصف ممدوحه بالكرم الى الاستعارة المصرحة وهي كما تعلم أبلغ من التشبيه وأعلى كعباً لما فيها من دعوى الاتحاد بين المشبه والمشبه به ، وقول أبي العتاهية :

للجود باب في الأنام ولم تزل　　يمناك مفتاحاً لذاك الباب

فقد جعل للجود باباً مفتاحه في يد الممدوح اليمنى على سبيل الاستعارة المكنية وقول المتنبي في مدح كافور :

قواصـــد كافور توارك غيره ومَن قصد البحر استقل السواقيا

فصوّر لك مـا يلقاه قاصدو ممدوحه من الغنى والثروة ، وأن مَن لا يبغي سواه ، كما أن مَن قصد البحر تأبى همته أن ينظر الى الجداول والغدران .

وهذه استعارة تمثيلية لها أثرها من البهجة والجمال الذي تحس به وتتذوقه ، وقول أبي نواس في الفضل بن الربيع :

وكلت بالدهر عيناً غير غافلة من جود كفك تأسو كل ما جرحا

فأضاف الجود الى الكف ، والجود ينسب عادة الى الممدوح من قبيل إضافة ما للكل الى الجزء على سبيل المجاز المرسل ، وقول مسلم :

تظلم المال والأعداء في يده لا زال للمال والأعداء ظلاما

إذ كنى عن كثرة عطاياه وقتاله للأعداء وإفنائه إياهم بالتظلم من يده .

والكناية أثرهـــا البعيد في تثبيت المعنى في النفس وحسن تصويرها ، فهي تهش له وترتاح .

فها أنت ذا قد رأيت في وصف الجود ضروباً وألواناً مختلفة من التعبير وفنوناً شتى من القول ، وهكذا ينفسح مجال الكلام أمام البليغ ، وتتشعب طرقه في أي معنى من المعاني التي يقصد القول فيها ، ولكن بعضها كما رأيت أبلغ من بعض بالنظر الى مقتضيات الأحوال ، فما يصلح لمقام لا يصلح مثله لآخر ، وهذا هو سر البلاغة ، فقد يكون المقام داعياً الى التشبيه لا الاستعارة ، وقد يكون الأنسب العكس ، فقد يكون المقام يدعو الى الكناية .

فتلك الصوَر المختلفة والأساليب المتنوعة هي موضوع علم البيان الذي درست مسائله ، فـإذا أنت جعلتها رائدك في صوغ المعاني ، هدتك الصراط المستقيم ، وبلغت بك الغاية التي تسعى اليها .

ولكن دراسة العـلم وحدها ، والوقوف على شواهد يسيرة من كلام الفصحاء والبلغاء لا يبلغان بك الى المقصد ، كما لو درست قواعد الحساب مثـلاً وحللت مسائل قليلة لكل قاعدة ، فإن هذا لا يكسبك الملكة التي بها تستطيع أن تحل كثيراً من المسائل ، بل لا بد للملكة من التمرين وممارسة حل كثير من المسائل المختلفة ، حتى تتكون لديك .

البلاغة الاصطلاحية

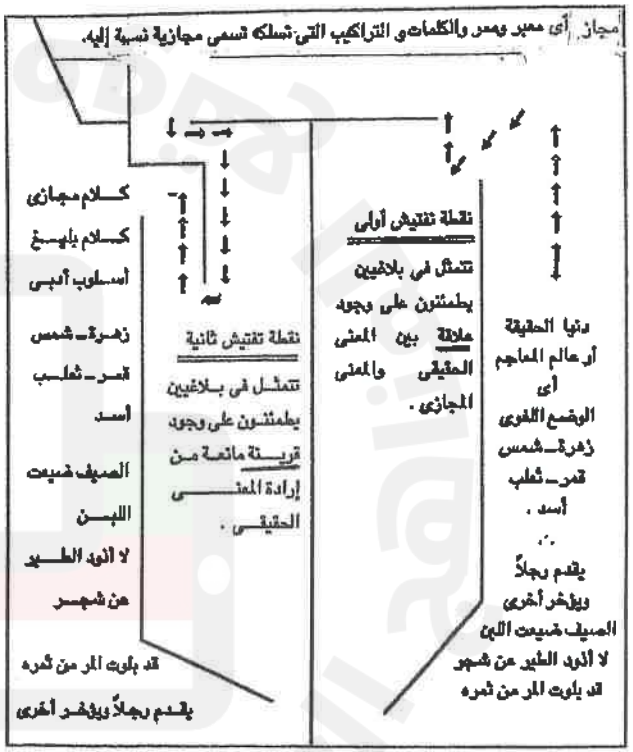

ويقول الله تعالى مشبهاً الهلال بسباطة البلح اليابسة المقوسة :

﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ .

والحق أن الطرافة الموجودة في هذه التشبيهات وأمثالها ليست غرضاً من أغراض التشبيه ، بل هي وصف له ، وهو وصف يطول .أي تشبيه في أي غرض ، وذلك إذا كان طريفاً حقاً .

الحقيقة والمجاز

الحقيقة والمجاز وصفان يتعاقبان على الكلمة والجملة .

فالمستعمل منهما طبق معناه في المعجم يسمى حقيقة لغوية .

والمستعمل منهما خلاف معناه في المعجم يسمى مجازاً لغوياً .

ولابد في المجاز اللغوي من وجود علاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي أي بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ، وهذه العلاقة قد تكون المشابهة وقد تكون غير المشابهة ، فإن كانت العلاقة المشابهة فالمجاز استعارة تصريحية أو مكنية في المفرد ، وتمثيلية في المركب .

وإن كانت العلاقة غير المشابهة فالمجاز مجاز مرسل وعلاقاته متنوعة .

وأيضاً لابد في المجاز اللغوي من وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي . وهذه القرينة قد تكون لفظية ، وقد تكون عقلية تفهم من السياق العام للكلام أو من ملابسات الخارجية .

هذا كان المجاز اللغوي أي الذي يجري في اللغة ، ويمكن تعريفه بأنه استعمال الكلمة أو الجملة في غير معناها الحقيقي لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي .

والمجاز اللغوي قسيم هو المجاز العقلي وهو إسناد الفعل أو ما في معناه من المشتقات إلى ما ليس حقه أن يسند إليه لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي .

والسبب في تسميته بالمجاز العقلي أنه يتم في الإسناد لا في اللغة ، ولما كان الإسناد يدرك بالعقل لا الوضع سمي مجازه مجازاً عقلياً .

أما المجاز اللغوي فالمعول عليه في إدراكه إنما هو العلم بالوضع اللغوي ، والوقوف على الدلالات الحقيقية للكلمات والجمل .

الإستعارة التصريحية

الاستعارة التصريحية ضرب من المجاز اللغوى .

وهى كلمة أو جملة لم تستعملها فى معناها الحقيقى ، بل فى معنى مجازى لعلاقة هى المشابهة بين المعنيين الحقيقى والمجازى ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى .

تقول : قابلنى صديقى خالد ومعه زُهرة من زهرات المجتمع .

فـ (زهرة) استعارة تصريحية . وأصل الكلام تشبيه بليغ هو (خطيبة خالد زهرة) ، طوينا فحذفنا منه طرفه الأول وهو المشبه (خطيبة خالد) وصرحنا فى مكانه بالمشبه به وهو (زهرة) ، ثم شفعناه بما يدل على قصدنا منه أى بالقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقى (الزهرة) وهذه القرينة هى (من زهرات المجتمع) .

وليس بلازم أن تكون القرينة لفظية كما فى المثال السابق ، بل قد تكون عقلية تفهم من سياق الكلام أو من دلائل الأحوال .

فكلمة (البدر) فى النشيد المدنى :

(طلع البدر علينا من ثنيات الوداع)

استعارة تصريحية قرينتها عقلية أو كما يقول البلاغيون حالية .

* * *

والاستعارة التمثيلية ضرب من الاستعارة التصريحية : ففيها نصرح بالمشبه به المذكور فى مكان المشبه ، ولا فرق بين الاستعارتين : (التصريحية والتمثيلية) إلا أن واحدة منهما تجرى فى المفرد والأخرى تجرى فى المركب .

نقول الفائز العائد منتصراً : (عاد السيف إلى جرابه) .

ونقول الطالب الذى أجهد نفسه فى المذاكرة قبيل الامتحان حتى اعتل ولم يمتحن :

« إن المثبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

وتنتهى المحاضرة ؛ لانتهاء وقتها وابتداء وقت غيرها فنقول :

« وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام !! ماح »

وقديماً قال المتنبى لعائب شعره :

وممن يك ذا فم مرٍّ مريض يجـــــد مراً به الماء الزلالا

ولما كانت الاستعارة التمثيلية تجرى أكثر ما تجرى فى الأمثال وبالأمثال ، لزم التنبيه على أن لكل مثل مورداً ومضرباً .

فمورد المثل هو أصله التاريخى أو الخرافى .

الأول مثل : « قطعت جهيزة قول كل خطيب » .

والثانى مثل : « كيف أعاودك وهذا أثر فأسك » .

أما مضرب المثل فهو ما نستعمله نحن فيه ونسوقه له .

وتطبيقاً على ما سبق نسوق هذا المثل : « أحشفاً وسوء كيلة » !!! مورده وهو أصله التاريخى أن رجلاً اشترى من آخر تمراً ، ولما عاد به إلى بيته ألفاه حشفاً وناقص الكيل ، فقال ما قال متعجباً وغاضباً وربما معاتباً .

ونوظف نحن مثله فنتمثل به أى نضربه لكل من يُظلم من وجهين سواء كان الظلم مادياً أو معنوياً ، وسواء كان المظلوم رجلاً أو امرأة .

والعملية البلاغية تتلخص فى أننا شبهنا حالة المظلوم من وجهين بحالة الرجل الذى اشترى تمراً فوجده حشفاً ناقص الكيل ، ووجه الشبه بين الطرفين هو هيئة التأثر الشديد بالظلم المزدوج ، ثم حذفنا التركيب الدال على المشبه وصرحنا فى مكانه بالتركيب الدال على المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية التمثيلية ، والقرينة حالية .

ولا تكون قرينة التمثيلية إلا حالية .

لماذا ؟

لأن الأمثال لا تُغير ، وبعبارة أخرى لأن ذواتها مصونة لا تمس ، ولا نملك إزاءها إلا أن نقولها كما وصلت إلينا دون زيادة أو نقص ، بل دون أدنى تغيير أو تحوير فى النص .

وسر بلاغة الاستعارة التصريحية فى المفرد وفى المركب شدة الإيجاز وشدة المبالغة ، مع ما فى التمثيلية من حيوية التعبير بتوظيف التاريخ ، وبث شئ من التراث فى الأدب الحديث .

الاستعارة المكنية
أو
الاستعارة بالكناية

تسميتان لمسمى واحد .

وهى أن تحذف المشبه به بعد أن تستبقى شيئاً من لوازمه تكنى عنه به ثم تسنده إلى المشبه المذكور فى الكلام .

تقول : تستيقظ فى الصباح على زئير الأب ، فتكون قد شبهت الأب بالأسد ثم حذفت المشبه به وهو الأسد ، لكن بعد أن أخذت الزئير وهو من خواصه فكنيت عنه به ثم أسندته إلى المشبه وهو الأب .

وقال أبو ذؤيب الهذلى :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كـــل تميمة لا تنفع

معنى البيت : إذا جاء الأجل تعطلت الحيل ، والصورة البيانية استعارة مكنية ، فقد شبه الشاعر المنية بالحيوان المفترس ، ثم حذف المشبه به وهو الحيوان المفترس ، لكن بعد أن استبقى وسيلته فى الفتك وهى الأظفار التى أثبتها للمشبه المنصوص عليه فى البيت وهو المنية .

وقالت حمدونة الأندلسية تصف وادياً :

نزلنا دوحه فحـــنا علينـــا حنو المرضعات على الفطيم

فى الشطرة الأولى شبهت حمدونة الأشجار بالأمهات ، ثم حذفت المشبه به وهو الأمهات ، لكن بعد أن رمزت إليهن وكنّت عنهن بأبرز خواصهن وهو الحنو ؛ ثم نسبت هذا الحنو إلى المشبه وهو الدوح .

أما (حنوّ المرضعات على الفطيم) فصورة بيانية أخرى هى التشبيه البليغ .

وقال زهير بن أبى سلمى :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

وعرى أفراس الصـــبا ورواحـــله

يخبر زهير أنه تاب إلى رشده وأقلع عن حبه لسلمى .

وقد شبه الصبا ـ وهو مرحلة من مراحل العمر تغلب عليها الرعونة والطيش ـ بجهة من جهات المسير ، ثم حذف الجهة لكن بعد أن كنى عنها بما تستلزمه من أفراس ورواحل ، ثم أثبت هذا اللازم للمشبه وهو الصبا .

وقال تعالى على لسان زكريا :

﴿ ربِّ إنى وهن العظم منّى واشتعل الرأس شيبا ﴾ .

شبه زكريا رأسه بالحطب ، ثم حذف المشبه به وهو الحطب ، بعد أن كنى عنه بأهم لوازمه وهو الاشتعال الذى أسنده إلى المشبه وهو الرأس .

قرينة المكنية استعارة تخييلية

تتحقق القرينة فى الاستعارة المكنية بإثبات لازم المشبه به المحذوف من الكلام للمشبه المذكور فى الكلام .

كإثبات الزئير للأب فى مثالنا .

وإثبات الأظفار للمنية فى بيت أبى ذؤيب .

وإثبات الحنو للدوح فى بيت حمدونة .

وإثبات الأفراس والرواحل للصبا فى بيت زهير .

وإثبات الاشتعال للرأس فى الآية الكريمة .

وهذا الإثبات يسميه البلاغيون (الاستعارة التخييلية) .

والبلاغيون محقون فى هذه التسمية .

أما أنه استعارة ، فلأن اللازم وهو الأمر المختص بالمشبه به المحذوف ، قد استعير للمشبه المذكور ، ودخل فى حوزته حتى كأنه له جبلة وخلقة .

ولما كان الأمر على خلاف ذلك حقيقة ، كان إسناده إلى المشبه من قبيل التخييل ، ووُصفت الاستعارة ـ لهذا ـ بأنها تخييلية .

وواقع الحال فى الاستعارة التخييلية يؤكد ما قلناه ويعمقه ؛ ذلك أن طرفيها مستعملان فيما وضعا له حقيقة :

فالأب والزئير في المثال الأول .

والمنية والأظفار في المثال الثاني .

والروح والمنوّ في المثال الثالث .

والصبا ، والأفراس والرواحل في المثال الرابع .

والرأس والاشتعال في المثال الخامس .

كلها مستعملة استعمالاً حقيقياً ، أما المجازي ، فهو إثبات بعضها لبعض ، إنه بكل تأكيد إثبات الشئ لما ليس له حقيقة ، هو أقرب إلى المجاز العقلي إذن .

وبناءً على ما سبق تكون قرينة الاستعارة المكنية استعارة تخييلية دائماً ، ويوسعنا أن نقول : إنهما متلازمتان ، فكما أن التخييلية لا توجد بدون المكنية ، لا تكون قرينة المكنية إلا تخييلية .

* * *

وسر بلاغة الاستعارة المكنية ما فيها من تشخيص وهبة حياة ، ذلك أن كمية الخيال فيها أكبر من كميته في الاستعارة التصريحية ، من حيث إن المكنية صورة خيالية أصلية ملحقة بها صورة خيالية فرعية هي قرينتها التخييلية .

ويمكن القول لهذا بأن الخيال في الاستعارة المكنية مركب ، أما في الاستعارة التصريحية فبسيط ! هذه واحدة .

والأخرى أن الاستعارة المكنية فيها الكناية عن المشبه به المحذوف بما استبقيناه منه دلالةً عليه ؛ وهذا يعني أنه قد اجتمع لنا في صورة بيانية واحدة هي الاستعارة المكنية مجاز وكناية معاً .

وإذا كان جمهور البلاغيين يقررون أن الانتقال في المجاز من اللازم إلى الملزوم ، وفي الكناية من الملزوم إلى اللازم ، فإن الأمرين هنا يكونان قد اجتمعا ، واجتماعهما مع اختلافهما طبيعةً وطريقةً يكسب النسيج الأدبي المكون منهما جمالاً وقوة ، لأنهما يكونان فيه كاللحمة والسدى ، أو كسلوك الطريق الواحد مرتين تماماً وجهة .

وإذا كانت الاستعارة المكنية تدل على اقتدار الأديب ، وعلى روعة إبداعه ، فإن على متلقي الأدب أن يكون يقظاً وهو يستقبلها ؛ ليقدر على مواكبة الأديب ، وعلى التحليق معه في أجوائه المحلقة بأريج الفنية .

الاستعارة الأصلية والاستعارة التبعية

تنقسم الاستعارة – باعتبار المشبه به – إلى أصلية وتبعية .

وتكون الاستعارة أصلية إذا جرت في اسم جامد يصدق على كثيرين حقيقة كأسد وثعلب ، أو تأويلاً كحاتم وعنترة .

ويستوي أن يكون الاسم الذي جرت فيه الاستعارة اسم ذات كما سبق أو اسم معنى كالحياة والموت .

تقول : يحضر المحاضرات معنا أسد أو حاتم ، ولأساتذتنا علينا فضل إحيائنا .

* * *

وقد صدر البلاغيون في تسمية هذه الاستعارة بالاستعارة الأصلية عن أن الأصل في الأشياء يعني الكثير الغالب منها ؛ ومن المسلم به أن الاستعارة الأصلية أكثر من الاستعارة التبعية .

أو عن الأصل الذي ينكر في مقابله الفرع ، وهذا حق ، فالاستعارة التبعية فرع عن الأصلية وتبع لها ، وسيأتي تفصيل ذلك .

* * *

أما الاستعارة التبعية فهي ما جرت في اسم مشتق أو في فعل أو في حرف .

مثالها في اسم مشتق وهو اسم فاعل : عملك ناطق بفضلك .

فـ (ناطق) استعارة تصريحية في المشتق .

شبهنا (دلالة العمل على الفضل) بـ (دلالة النطق عليه) .

واستعرنا الثاني للأول ، ثم اشتققنا من النطق بمعنى الدلالة (ناطق) بمعنى (دال) .

ومثالها في اسم مشتق وهو أفعل تفضيل قول الشاعر :

و لئن نطقت بشكر برك مفصحاً فلسان حالي بالشكاية أنطق

شبه الشاعر (دلالة الحال) بـ (النطق) واستعار النطق لدلالة الحال ثم اشتق من النطق بمعنى الدلالة (أنطق) بمعنى (أدل) استعارة تصريحية تبعية في المشتق .

* * *

ومثالها في اسم مشتق وهو اسم مكان قول الله تعالى : ﴿ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾ فالمرقد هنا هو القبر لاموضع رقاد النائم ، شبه الدفن بالرقاد ؛ واستعير الرقاد للدفن ، ثم اشتق من الرقاد بمعنى الدفن (مرقد) بمعنى (مدفن) أي مكان الدفن وهو القبر ، استعارة تصريحية تبعية في المشتق .

* * *

والاستعارة التبعية في الفعل تختلف فيما بينها ، لأنها إما أن تكون في مادة الفعل الدالة على معناه ، وإما أن تكون في صيغته الدالة على زمانه .

مثالها في مادة الفعل قول الله تعالى : ﴿ يحيي الأرض بعد موتها ﴾ .

فالإحياء بمعنى بث الروح في الجسد لا يناسب الأرض ، لكن يناسبها اهتزازها بالأشجار والزهور والثمار ، شبه ـ جل شأنه ـ إخراج النبات من الأرض بالإحياء ، واستعار الإحياء لإخراج النبات ، ثم اشتق من الإحياء بمعنى إخراج النبات (يحيي) بمعنى (يخرج النبات) استعارة تصريحية تبعية في مادة الفعل .

ومثالها في صيغة الفعل قول الله تعالى : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ .

أمر الله لم يأت بدليل « فلا تستعجلوه » فلماذا قال الله تعالى (أتى) بصيغة الماضي ولم يقل « يأتي أو سوف يأتي » ؟

الجواب أن في الكلام استعارة تصريحية تبعية هي :

شبه الله الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي ، ووجه الشبه بينهما هو تحقق وقوعهما ، وأن ما سيأتي في التأكد من وقوعه كأنه أتى فعلا ، ثم استعار الإتيان في الماضي للإتيان في المستقبل ، واشتق من الإتيان في الماضي بمعنى الإتيان في المستقبل (أتى) بمعنى (يأتي) .

وكما استعملت صيغة الماضي للمضارع ؛ استعملت صيغة المضارع للماضي قال تعالى على لسان إبراهيم مخاطباً ولده إسماعيل عليهما السلام : ﴿ يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك ﴾ .

فرؤية إبراهيم قد حصلت له قبل أن يخبر بها ولده ، وكان المنتظر أن يقول ، (إني رأيت) لكنه استبدل (أرى) بـ (رأيت) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية هكذا :

شبه الرؤية في الماضي بالرؤية في الحاضر ، إشارة إلى أن ما رآه ـ وهو بالنسبة للأب أمر صعب ـ لا يزال ماثلاً له كأنه لم يفارقه ، ثم استعار الرؤية في الحاضر للرؤية في الماضي ؛ واشتق من الرؤية الحاضرة بمعنى الرؤية الماضية (أرى) بمعنى (رأيت) .

أما الاستعارة التبعية في الحرف :

فمن أمثلتها قول الله تعالى : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا ﴾ .

وبيانها أن لام العلة في الآية مستعملة استعمالاً مجازيا ، لأن ما بعدها ، وإن كان مترتباً على ما قبلها ، ليس العلة الباعثة عليه ، فآل فرعون لم يلتقطوا موسى ليكون لهم عدواً وحزنا ، بل ليكون مصدر أنس وسعادة لهم. وتسجيلاً لهذه المفارقات شبه الله السعادة والأنس بالعداوة والحزن بجامع التضاد بين الطرفين تملحا وتهكما، أو بجامع الترتب على الالتقاط في الطرفين، مطلق ترتب شئ على شئ؛ وقد سرى هذا التشبيه إلى تشبيه ترتب السعادة والأنس على الالتقاط بترتب العداوة والحزن عليه، ثم استعار اللام الدالة- حقيقة- على ترتب الأنس والسعادة على الالتقاط.

نقول : استعارها لندل ـ مجازاً هذه المرة ـ على ترتب الحزن والعداوة عليه ، استعارة تصريحية تبعية في الحرف .

* * *

وكالآية السابقة قول الله تعالى : ﴿ لأصلبنكم في جذوع النخل ﴾ ، فالحرف (في) موضوع لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين ، وهذا يعني أنه مستعمل في الآية استعمالاً مجازياً ، لأن ما بعده لا يصلح ظرفاً لما قبله على الحقيقة ، لكن لما كانت الجذوع ، متمكنة من المصلوبين تمكن الظرف من المظروف ، شبهت الجذوع بالظرف الحقيقي في هذا التمكن ثم استعير لها الحرف (في) .

استعارة تصريحية تبعية في الحرف

وانطلاقاً من التشبيه الحاصل ،السراية استعيرت اللام الموضوعة لجزء من أجزاء المشبه به هو ترتب العداوة والحزن المتعلقين بموسى على التقاطه، لجزء من أجزاء المشبه هو ترتب المحبة والسرور المتعلقين بموسى على التقاطه، استعارة تصريحية تبعية فى الحرف.

والاستعارة التبعية هنا مازالت ـ كما كانت فى الرأى السابق ـ تابعة لتشبيه السراية وليست تابعة لاستعارة أصلية .

(٣) وفريق ثالث يجعل التشبيه فى متعلق معنى الحرف كسابقه ، ولكنه يزيد على سابقه باستعارة المشبه به الكلى للمشبه الكلى ، ثم يستفل التشبيه فى الأجزاء عن طريق السراية، فينقل الحرف المستعار من كلى المشبه به إلى كلى المشبه ، ففى آية الالتقاط لا أكثر من أن يقال بعد تقدير التشبيه فى الكليين :

ثم استعير اسم المشبه به الكلى للمشبه الكلى .

وبهذا تكون الاستعارة فى الحرف هذه المرة تابعة للاستعارة الأصلية فى كلى المشبه به وهى الاستعارة التى سبقت تشبيه السراية فى الجزئيات [1] .

* * *

والرأى عندى أن الاستعارة التبعية ولاسيما الاستعارة فى الحرف ، لا تستحق كل هذا الدوران واللف .

فالحس الأدبى لمتلقى الأدب يدرك وحده ، وبعيداً عن هذه الأكاديمية المعقدة ، ما أراد مبدع الأدب أن يقوله بدقائقه وإطائفه ، بل بدوافعه التى هدت إليه وجلبته .

أما مرسل الأدب فلا شك فى أنه لم يتكلم أولاً بالمصدر ولا بمتعلق معنى الحرف ولم يقصد إلى استعارة شئ منهما أصلاً ليبنى عليه استعارة شئ آخر تبعاً ، ولعله لم يحس بما قاله البلاغيون من سريان التشبيه من الكليات إلى الجزئيات إلى آخر ما هنالك من تقديرات وتحليلات ، لا تمت إلى البلاغة الاصطلاحية ولا إلى البلاغة بمعنى الكلام البليغ بأية صلة .

* * *

ومهما يكن من أمر الاستعارة التبعية تفسيراً وشرحاً ، فقد لاحظت أنها ـ من حيث وجودها أو عدمها ـ أطوع للبليغ فى الاستعارة التصريحية الجارية فى المفرد منها فى الاستعارة المكنية ؛ وهذا معقول .

---

(١) الإيضاح جـ ٥ ص ١٠٨ ـ ١١٠ شرح وتعليق خفاجى ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠م ، والمنهاج الواضح لحامد عونى جـ ١ ص ٢٦٠ ط ٢ سنة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م القاهرة .

وقد سميت الاستعارة التى تجرى فى المشتق أو فى الفعل أو فى الحرف استعارة تبعية ، لأن الأديب لم يمارسها ابتداء ، ولم يقصد إليها رأساً ، بل مارسها انتهاء ، وكان وصوله إليها من خلال استعارة أخرى سبقتها هى الاستعارة التصريحية الأصلية .

ولوضح ذلك أكثر فنقول :

الاستعارة التبعية إن كانت فى المشتق أو فى الفعل ، يتم التشبيه فى المصدر أولا ، ثم ينقل المصدر إلى غير معناه الحقيقى ثانياً ، وبعد ذلك يشتق منه ما تمت الاستعارة فيه من وصف أو فعل ؛ وبهذا تكون الاستعارة فيهما تابعة للاستعارة فى المصدر .

وإن كانت الاستعارة التبعية فى الحرف ، فإن البلاغيين قد اختلفوا فى تحليلها وتعليلها على الوجه الآتى :

(١) منهم من يجعل التشبيه فى المجرور بالحرف أصلا ، وفى معنى الحرف فرعاً ، وهو ما يسمونه التشبيه بالسراية ، ثم ينقل الحرف إلى المعنى المراد .

ففى المثال (محمد فى نعمة) نقول :

شبهوا النعمة على محمد بدار فيها محمد ، وقد جر التشبيه الأصلى إلى تشبيه فرعى ـ أو كما يقولون سرى إليه ـ هو تشبيه الحرف (على) بالحرف (فى) .

ثم استعاروا الحرف (فى) للحرف (على) وبدلاً من أن يقولوا (محمد منعم عليه) قالوا : (محمد فى نعمة) .

وبناءً على هذا الرأى تكون الاستعارة التبعية فى الحرف تابعة لتشبيه هو تشبيه السراية ، وليست تابعة لاستعارة أصلية .

(٢) ومنهم من يجعل التشبيه الأصلى فى متعلق معنى الحرف لافى المجرور بالحرف ، ويحلل آية ﴿ فالتقطه آل فرعون ﴾ هكذا .

شبه الله تعالى مطلق ترتب علة غائية كالمحبة والسرور على الالتقاط، بمطلق ترتب علة واقعية كالعداوة والحزن على الالتقاط بجامع ترتب شئ على شئ، وقد سرى التشبيه من هذين الكليين إلى جزئياتهما

هذا ما أمكن من تلخيص كلام الأصحاب في هذا الفصل .

ولو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية ، بأن قلبوا فجعلوا في قولهم : نطقت الحال بكذا ، الحال التي ذكرها عندهم قرينة الاستعارة بالتصريح ، استعارة بالكناية عن المتكلم بوساطة المبالغة في التشبيه على مقتضى المقام ، وجعلوا نسبة النطق إليه قرينة الاستعارة ، كما تراهم في قوله (وإذا المنية أنشبت أظفارها) يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ويجعلون الأظفار لها قرينة الاستعارة .

وهكذا لو جعلوا البخل استعارة بالكناية عن حي أبطلت حياته بسيف أو غير سيف فالتحق بالعدم ، وجعلوا نسبة القتل إليه قرينة ، ولو جعلوا أيضاً اللهذميات استعارة بالكناية عن المطعومات اللطيفة الشهية على سبيل التهكم وجعلوا نسبة لفظ القرى إليها قرينة الاستعارة ، لكان أقرب إلى الضبط فتدبره » .

وفي مكان آخر قال : « وإذ قد عرفنا الحقيقة في المفرد وفي الجملة ، وعرفنا تنوع المجاز إلى استعارة مصرح بها ومكنى عنها ، وعرفنا ما يتصل بذلك من التحقيقية والتخييلية والقطعية والاحتمالية ، ومن الأصلية والتبعية على رأي الأصحاب دون رأينا » [1] .

فإذا كان السكاكي أبو البلاغة الاصطلاحية لا يريد أن يثقل كاهلها بما جعله غيره استعارة تبعية ، وجعل أمثلتها كلها من المكنية ، فما بالنا نشق على أنفسنا وعلى بلاغتنا بتمحل التبعية في المكنية أو من المكنية ، وهي غير متصورة فيها ولا منها نظرياً مثلما هي غير واردة فيها ولا منها عملياً ؟ !

ولقد وقف الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني موقفاً وسطاً بين السكاكي ومن كان السكاكي يسميهم الأصحاب قال : « اعلم أن بعض أمثلة الاستعارة التبعية يمكن اعتبارها استعارة بالكناية ، ومثل لذلك بواحد من أمثلة السكاكي هو : (نطقت الحال بكذا) [2] .

وموقف اليازجي هو موقف الجارم ومصطفى أمين في هذه القضية ، فهما بعد أن مثلا التبعية بمثالين وحللاهما على أنهما من الاستعارة التبعية ، عادا فحللاهما على أنهما من الاستعارة المكنية ـ مثلما فعل السكاكي ـ وخلصا إلى أن كل استعارة تبعية يصح أن يكون في قرينتها استعارة مكنية ، غير أنه لا يجوز إجراء الاستعارة إلا في واحدة منهما لا في كليهما [3] .

ولعل هذا أن يكون الحل الأمثل لهذه المسألة علمياً وعملياً .

(١) مفتاح العلوم ص ١٨١ ، ١٩٦ .

(٢) مجموع الأدب في فنون العرب ص ١١٨ ط ١٣ بيروت سنة ١٩٤٨ م .

(٣) البلاغة الواضحة ص ٨٤ .

فهي تأتي بالتصرف في المشبه به المصرح به في الكلام في الاستعارة التصريحية وهو محذوف في الاستعارة المكنية .

وفي حدود اطلاعي لم أجد من القدماء من أثار هذه المسألة ، ومن المحدثين : رأى المرحوم علي الجارم ومصطفى أمين أن التبعية تأتي في المكنية كما تأتي في التصريحية قالا في الهامش رقم (١) ص ٨٤ من « البلاغة الواضحة » :

« وتقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية عام في الاستعارة سواء أكانت تصريحية أم مكنية ، ومثال الاستعارة المكنية التبعية (أعجبتني إراقة الضارب دم الباغي) .

فقد شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء في كل ، واستعير القتل للضرب الشديد ، واشتق منه قاتل بمعنى ضارب ضرباً شديداً ، ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو الإراقة على طريق الاستعارة المكنية التبعية » [1] .

* * *

ونلاحظ أن ما مثل به المؤلفان الفاضلان للاستعارة المكنية التبعية لم يزد على مثال واحد ، وقد جاء على هامش الموضوع لا في صلبه ، ومع هذا فهو ـ كما نرى ـ بادي الاصطناع والتكلف ، ونضيف أن السكاكي نفسه غير مرتاح إلى الاستعارة التبعية في التصريحية .

فهو بعد أن يوردها ويمثل لها ، يقترح إلغاءها وتحويل أمثلتها إلى الاستعارة المكنية ويزيد فيخرجها على أنها استعارات مكنية ؛ وهذا هو نص كلامه في ختام ما جعل عنوانه :

(القسم السادس في الاستعارة التبعية) : « واعلم أن مدار قرينة الاستعارة التبعية في الأفعال وما يتصل بها على نسبتها إلى الفاعل كقولك (نطقت الحال) ، أو إلى المفعول الأول كقول ابن المعتز : (قتل البخل وأحيا السماحا) أو إلى الثاني المنصوب كقول الآخر : (نقريهم لهذميات) ، أو إلى المجرور كقوله علت كلمته : (فبشرهم بعذاب أليم) ، أو إلى الجميع كقوله :

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة
إذا سرى النوم في الأجفان إيقاظا

(١) الطبعة السابعة ، دار المعارف بمصر ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤ .

الاستعارات : المرشحة والمجردة والمطلقة

: تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر الملائم لأحد طرفيها أو لكليهما إلى هذه الأقسام الثلاثة :

المرشحة : هي التي تأتي فيها مع القرينة بما يلائم المشبه به .

كقولك : قابلني صديقي ومعه زهرة من زهرات المجتمع تملأ الأفق شذاً فـ (تملأ الأفق شذاً) يلائم المشبه به وهو الزهرة .

وكقوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ﴾. استعار سبحانه وتعالى الاشتراء للاختيار ، والفاء بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء.

وكقول الشاعر :

يا زهـــني ردائي عبد عمرو ... رويدك يا أخا عمرو بن بكر

إلى الشطر الذي ملكت يميني ... ودونك فاعتجر منه بشطر

استعار الرداء للسيف ، ثم وصف الرداء بما يلائمه من الاعتجار الذي هو لف الرأس برداء ونحوه .

والمجردة : هي التي تأتي فيها مع القرينة بما يلائم المشبه كقولك :

قابلني صديقي ومعه زهرة من زهرات المجتمع تتحدث الإنجليزية بطلاقة فـ (تتحدث الإنجليزية بطلاقة) يلائم المشبه وهو الفتاة ولا يلائم المشبه به وهو الزهرة . وكقول كثير عزة:

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً ... غلقت لضحكته رقاب المال (١)

استعار الرداء للمعروف ؛ لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف لا الرداء .

وكقول البحتري :

يـــؤدون التحيـــة من بعيـــد ... إلى أســـد من الإيـــوان بـــاد

---

(١) الغمر : الماء الكثير ، والمراد به هنا كثرة العطاء ، أما غلقت : فمن غلق الرهن في يد المرتهن إذا لم يقدر الراهن على فكه لعجزه عن أداء الدين .

إن صح علم النجوم كان لكم ... حقاً إذا ما سواكم انتحلا
كم عالم فيكم وليس بان ... قاس ولكن بان رقى فعلا
أعلاكم في السماء مهبطكم ... فاستم تجهلون ما جهلا
شافهتم البدر بالسؤال عن الـ ... أمر إلى أن بلغتم زحلا

ومثله تماماً أيضاً قول بشار :

أتتني الشمس زائرة ... ولم تك تبرح الفلكا

وقول المتنبي :

كبرت حول ديارهم لما بدت ... منها الشموس وليس فيها المشرق

وقول ابن العميد :

قامت تظللني من الشمس ... نفس أعز عليَّ من نفسي
قامت تظللني ومن عجب ... شمس تظللني من الشمس

وقول ابن طباطبا :

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر

وقول أبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة الحمداني :

ترى الشهاب من الكتان يلمعها ... نور من البدر أحياناً فيبليها
فكيف تنكر أن تبلي معاجرها ... والبدر في كل وقت طالع فيها

فقد صنع هؤلاء الشعراء صنيع أبي تمام من تناسي التشبيه ، وإجراء الكلام على المشبه به الذي هو المستعار منه ، أما المشبه وهو المستعار له فقد نجحوا إلى حد كبير في شغل متلقي الأدب عنه بنقلهم له من بؤرة الشعور إلى هامشه مؤقتاً .

ولما كان هذا هو أثر الترشيح كانت الاستعارة المرشحة هي الاستعارة الراجحة في ميزان المفاضلة بينها وبين المطلقة والمجردة .

تليها الاستعارة المطلقة ؛ لأنها وإن خلت مما يلائم المشبه به ، قد خلت كذلك مما يلائم المشبه ، أي أنها تقع في المنطقة الوسطى بين الترشيح والتجريد .

* * *

أما الاستعارة المجردة فتأتي ساقة للمرشحة والمطلقة ؛ لأنها قد خلت مما يلائم المشبه به، ولم تكن هذا فقط ، بل إنها بالإضافة إلى ذلك قد اشتملت على ما يلائم المشبه

* * *

والخلاصة أن المرشحة تمثل الإفراط في المبالغة ، وأن المجردة تمثل التفريط فيها .

أما المطلقة فتمثل الحد الوسط بين الإفراط في المبالغة ، والتفريط فيها ، أي بين المرشحة والمجردة .

* * *

ولا يفوتنا التنبيه على أن الاستعارة التصريحية التي يتأتى معها الترشيح والتجريد إنما هي الاستعارة التي تجري في المفرد

أما الاستعارة التصريحية التي تجري في المركب ، وهي ما تفرد بالدراسة في كتب البلاغة تحت اسم الاستعارة التمثيلية ، فقد سبق القول بأن قرينتها لا تكون إلا حالية ، وهذا يعني أنها لا تكون إلا مطلقة ؛ لأنها إما مثل ، وإما تركيب مجلوب جرى مجرى المثل ، ومعلوم أن الأمثال لا تغير ، فلا يغير ما جرى مجراها ولحق بها .

قال الخطيب القزويني وهو يتكلم عن الاستعارة التمثيلية « فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه »[1] أي من غير تغيير أي تغيير وبلا زيادة أو نقص .

* * *

وتقف الاستعارة المكنية على قدم المساواة مع الاستعارة التصريحية في التمرس بالترشيح والتجريد والإطلاق.

نقول في الاستعارة المكنية المطلقة : « نستيقظ في الصباح على زئير الأب » تجعلها مرشحة فنقول : « نستيقظ في الصباح على زئير الأب الذي يفترسنا إذا لم ننهض من فراشنا بسرعة فائقة »

ونجعلها مجردة فنقول « نستيقظ في الصباح على زئير الأب الذي يؤمنا في صلاة الفجر »

(١) بغية الإيضاح جـ ٣ ص ١٣

وأوصلها الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي إلى ست وعشرين علاقة رئيسية ثم ألحق بالعلاقة الأخيرة خمس علاقات رأى أنها تشبهها ، فتصير جملة العلاقات عنده إحدى وثلاثين علاقة [1] ، ولعله هو ما عناه السبكي بقوله : إنها عند بعضهم تزيد على ثلاثين علاقة [2] .

ولأن أكثر هذه العلاقات يدخل بعضها في بعض كما لاحظ ابن الأثير بحق فإننا سنقتصر منها على أظهرها وأشهرها ، وهذه هي :

(١) السببية :

أي التعبير بالسبب عن المسبب ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة سبباً في المعنى المجازي لها .

قالوا : رعت الماشية الغيث ، يريدون رعت النبات .

فـ (الغيث) مجاز مرسل علاقته السببية ؛ لأن المعنى الحقيقي للغيث سبب في المعنى المجازي له وهو النبات .

والقرينة (رعت الماشية) ؛ فالماشية لا ترعى الغيث حقيقة .

وقال المتنبي :

له أيادٍ على سابغة أعد منها ولا أعددها

ففي (أياد) مجاز مرسل علاقته السببية ؛ لأن الأيادي الحقيقية هي التي تمنح النعم ؛ فهي سبب فيها .

والقرينة : (علىَّ سابغة أعد منها ولا أعددها) .

وقال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ أي فجازوه على اعتدائه ، ففي (فاعتدوا عليه) مجاز مرسل علاقته السببية بين الاعتداء وجزائه .

---

(١) البرهان في علوم القرآن جـ ٢ ص ٢٥٩ – ٢٩٨ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م القاهرة .
(٢) عروس الأفراح جـ ٤ ص ١٤٢

المجاز المرسل

تتردد العلاقة في المجاز اللغوي بين أن تكون المشابهة ، وأن تكون غير المشابهة ، فإن كانت العلاقة المشابهة كان المجاز استعارة وقد سبق القول فيها .

وإن كانت غير المشابهة كان ما يسمى (المجاز المرسل) .

وقد عرفنا القزويني به في قوله : « . الضرب الأول المرسل ، وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه ، وما وضع له ملابسة غير التشبيه ، كاليد إذا استعملت في النعمة ، لأن من شأن النعمة أن تصدر عن الجارحة ، ومنها تصل إلى المقصود بها .

ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولى لها ، فلا يقال : اتسعت اليد في البلد ، أو اقتنيت يدا ، كما يقال : اتسعت النعمة في البلد ، أو اقتنيت نعمة ، وإنما يقال : جلَّتْ يده عندي وكثرت أياديه لديَّ ، ونحو ذلك [1] » .

هذا كلام القزويني ، وهو ليس على إطلاقه ؛ فقد ورد التعبير باليد والأيادي عن النعمة والنعم دون إشارة إلى المنعم كقولهم .

« إن الأيادي قروض » أي ديون لا ترتاح نفس الكريم إلا إذا سددها ، أو كما قالوا : إن عاراً ونقيصة على الكريم أن يموت وعليه دين من ديون المعروف [2] .

ولأن العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في المجاز المرسل ليست المشابهة ، بل علاقات أخرى متنوعة سماه البلاغيون (المجاز المرسل) أي غير المقيد بأن علاقته المشابهة.

والعلاقات في المجاز المرسل كثيرة .

ذكر الخطيب القزويني منها ثماني علاقات [3]

وذكر ابن الأثير عن أبي حامد الغزالي أربع عشرة علاقة [4] .

---

(١) بغية الإيضاح جـ ٣ ص ٨٢ – ٨٤ .
(٢) خاص الخاص للثعالبي ص ٢٤ : بيروت ١٩٦٦م .
(٣) بغية الإيضاح جـ ٣ ص ٨٢ وما بعدها .
(٤) المثل السائر جـ ٢ ص ٨٨ – ٩٥ .

والقرينة مفهومة من سياق الآية ؛ فهو يدل على أن الاعتداء الثانى ليس اعتداء حقيقياً ، بل مجازيا .

وكالآية الكريمة قول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

ألا لا يجهلـن أحـد علينـا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

عبر الشاعر بقوله :

(فنجهل) عن جزاء الجهل على قومه ، لما كان الجهل الثانى مترتباً على الجهل الأول ، وبعبارة أخرى : لما كان الجهل الأول سبباً فى الجهل الثانى .

(٢) المسببية :

أى التعبير بالمسبب عن السبب . (عكس العلاقة السابقة) .

وذلك حين يكون المعنى الحقيقى للكلمة المذكورة فى العبارة مسبباً عن المعنى المجازى لها، كقولهم ، أمطرت السماء نباتاً ، يقصدون ماء ، فالنبات مجاز مرسل علاقته المسببية .

والقرينة : أمطرت السماء ؛ لأن النبات لا ينزل من السماء حقيقة .

وكقوله تعالى : ﴿ ينزل لكم من السماء رزقاً ﴾أى مطراً يتسبب عنه الرزق ، وكقوله تعالى أيضاً : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون فى بطونهم ناراً ﴾ .

فالذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً لا يأكلون ناراً على الحقيقة ، بل يأكلون أموال اليتامى ، ولما كان دخولهم النار مسبباً عن ذلك ، ومترتباً عليه ، عبر سبحانه وتعالى بالنار عن أموال اليتامى أى بالمسبب عن السبب ، مجازاً مرسلاً علاقته المسببية ، وقرينته لفظية هى « يأكلون فى بطونهم » .

(٣) اللازمية :

أى التعبير باللازم عن الملزوم ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقى للكلمة المذكورة فى العبارة لازماً للمعنى المجازى لها ، تقول : بزغ الضوء ، تريد الشمس ، فالضوء مجاز مرسل علاقته اللازمية ، لأن الضوء لازم للشمس ، والقرينة : بزغ ، فالبزوغ ليس وصفاً حقيقياً للضوء بل للشمس .

(٤) الملزومية :

أى التعبير بالملزوم عن اللازم (عكس العلاقة السابقة) .

وذلك حين يكون المعنى الحقيقى للكلمة فى العبارة ملزوماً للمعنى المجازى لها . تقول : دخلت الشمس من النافذة ، وملأت الحجرة . تقصد ضوء الشمس لا جرمها .

فكلمة (الشمس) مجاز مرسل علاقته الملزومية ، لأن المعنى الحقيقى للشمس وهو جرمها ملزوم للمعنى المجازى لها وهو الضوء .

والقرينة (دخلت) و (ملأت) فجرم الشمس لا يدخل من النافذة ولا يملأ الحجرة حقيقة.

(٥) المحلية :

أى التعبير بالمحل عن الحالين فيه ، وذلك إذا كان المعنى الحقيقى للكلمة المذكورة فى العبارة محلاً للمعنى المجازى لها .

قال تعالى : ﴿ فليدع ناديه ﴾ أى الموجودين فى النادى .

فكلمة (ناديه) مجاز مرسل علاقته المحلية ، والقرينة (فليدع) ، لأن النادى لا يدعى حقيقة .

وقال تعالى : ﴿ واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها ﴾ أى أهل القرية وأصحاب العير ، والقرينة هى (واسأل) ؛ إذ القرية لا تسأل حقيقة ، وكذلك العير .

وتقول : خرجت الكلية عن بكرة أبيها ، تقصد خرج طلابها كلهم ، عبرت بالكلية عن طلابها، ففى الكلية مجاز مرسل علاقته المحلية والقرينة (خرجت) ؛ فالكلية بمعنى المحل لا تخرج حقيقة .

(٦) الحالية :

أى التعبير بالحالين فى المكان عن المكان نفسه (عكس العلاقة السابقة) وذلك حين يكون المعنى الحقيقى للكلمة المذكورة فى العبارة حالاً فى المعنى المجازى لها .

أقول : جئت الرياض ونزلت فيها بصديقى ناصر الرشيد ، أقصد بدار صديقى ناصر الرشيد فـ (بصديقى ناصر) مجاز مرسل علاقته الحالية لأن صديقى ناصر حال بداره ، وقد حللت فيها معه .

والقرينة كلمة (نزلت) ؛ لأن حقيقة النزول لا تتصور بالصديق بل بالدار .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ أى ففى جنة الله .

وقوله تعالى : ﴿ إن الأبرار لفى نعيم ﴾ أى لفى المكان الذى فيه النعيم وهو الجنة .

وقوله تعالى : ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ أى خذوا ثيابكم الجميلة ، فـ (زينتكم) مجاز مرسل علاقته الحالية، لأن الزينة حالة فى الثياب وبادية من خلالها ، والقرينة (خذوا) ؛ فالزينة وهى أمر معنوى لا تؤخذ حقيقة .

وقول حمدونة الأندلسية :

نزلنا دوحه فحنت علينا ... حنو المرضعات على الفطيم

فـ (الدوح) مجاز مرسل علاقته الحالية أطلقنا الحال وهو الدوح وأردنا المحل وهو الوادى الذى يتخلله الدوح فيظلله ويرطبه .

(٧) الكلية :

أى التعبير بالكل عن الجزء ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقى للكلمة المذكورة فى العبارة كلا مشتملاً على المعنى المجازى لها كقوله تعالى : ﴿ يجعلون أصابعهم فى آذانهم ﴾ يعنى أناملهم ، بل أطراف أناملهم فأصابعهم مجاز مرسل علاقته الكلية ، والقرينة استحالة وضع الأصابع كاملة فى الآذان ؛ وعليه قولهم « قطعت السارق » وإنما قطعت يده .

وقولهم : « انتشر الجيش فى شوارع المدينة للحفاظ على الأمن » فالمنتشرون بعض الجيش لا كله .

وقولهم : « تمكنت الشرطة من ضبط المسروقات » يقصدون بعض رجال الشرطة .

وقولى : أكلت خبز الرياض وشربت ماءها .

فإنا لم آكل كل خبز الرياض بل شيئاً منه ، كما لم أشرب كل ماء الرياض بل بعضه .

(٨) الجزئية :

أى التعبير بالجزء عن الكل (عكس العلاقة السابقة) وذلك حين يكون المعنى الحقيقى للكلمة المذكورة فى العبارة جزءاً من المعنى المجازى لها ، قال الشاعر :

كم بعثنا الجيش جرا ... راً وأرسلنا العيونا

أى وأرسلنا الجواسيس ، فـ (العيون) مجاز مرسل علاقته الجزئية والقرينة (أرسلنا) ؛ إذ العيون وحدها لا ترسل .

وقال تعالى : ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ أى عبد مؤمن ، والقرينة (فتحرير) ؛ لأن التحرير لا يتصور فى الرقبة وحدها بل فى الذات كاملة .

ومن هذا قول معبد بن أوس المزنى فى ابن أخته :

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رمانى

وكم علمته نظم القوافى ... فلما قال قافية هجانى

(القوافى) مجاز مرسل علاقته الجزئية ، وأيضاً (قافية) ، والقرينة (علمته نظم) فى الشطرة الأولى ، و (قال) فى الشطرة الثانية ، لأن معبد بن أوس إنما علم ابن أخته نظم القصائد كلها لا القوافى وحدها ، ولأن ابن أخته قال على الأقل قصيدة كاملة لا قافية واحدة.

ذكر الشاعر الجزء وأراد الكل مجازاً مرسلاً علاقته الجزئية .

(٩) البدلية :

أى التعبير بالبدل عن المبدل منه ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقى للكلمة المذكورة فى العبارة بدلاً من المعنى المجازى لها .

كإطلاق القضاء على الأداء فى قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيتم الصلاة ﴾ يريد فإذا أديتم الصلاة لكنه سبحانه وتعالى عبر بالقضاء عن الأداء ، أى عبر بالبدل عن المبدل منه ففى (قضيتم) مجاز مرسل علاقته البدلية .

والقرينة عقلية ، إذ الخطاب موجه إلى محمد ﷺ وأصحابه ، وكانوا رضوان الله أجمعين يؤدون الصلوات فى أوقاتها .

« هذا كله تقرير الكلام فى هذا الفصل بحسب رأى الأصحاب من تقسيم المجاز إلى لغوى وعقلى ، وإلا فالذى عندى هو نظم هذا النوع (المجاز العقلى) فى سلك الاستعارة بالكناية ، بجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقى بوساطة المبالغة فى التشبيه على ما عليه مبنى الاستعارة كما عرفت ، وجعل نسبة الإنبات إليه قرينة الاستعارة ، وبجعل الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية عن الجند الهازم ، وجعل نسبة الهزم إليه قرينة للاستعارة .

وإننى بناءً على قولى هذا ها هنا ، وقولى ذلك فى فصل الاستعارة التبعية ، وقولى فى المجاز الراجع عند الأصحاب إلى حكم الكلمة ـ على ما سبق ـ أجعل المجاز كله لغوياً ..... وإذ قد عرفت ما ذكرت وما ذكروا فاختر أيهما شئت » [1] .

انتهى كلام السكاكى ، وهو واضح لا يحتاج إلى شرح ، باستثناء عبارة : « قولى فى المجاز الراجع عند الأصحاب إلى حكم الكلمة على ما سبق » .

فهو يشير بها إلى المجاز اللغوى الراجع إلى الحكم الإعرابى الكلمة فى الكلام قال : «هو عند السلف رحمهم الله أن تكون الكلمة منقولة عن حكم لها أصلى إلى غيره كما فى قوله تعالى : (وجاء ربك) ، فالأصل : وجاء أمر ربك ، فالحكم الأصلى فى الكلام لقوله « ربك » هو الجر ، وأما الرفع فمجاز ، وفى قوله :

« واسأل القرية » ، والأصل : واسأل أهل القرية ، فالحكم الأصلى للقرية فى الكلام هو الجر ، والنصب مجاز ... » إلى آخر ما مثل به [2].

ومن الأصحاب أو من السلف الذين ترحم عليهم السكاكى عبد القاهر الجرجانى ، فقد جاء على لسانه فى الموضوع نفسه قوله :

« واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لانتقال لها عن معناها ، فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها ، ومثال ذلك أن المضاف إليه يكتسى إعراب المضاف فى نحو « واسأل القرية » والأصل : واسأل أهل القرية ، فالحكم الذى يجب للقرية فى الأصل وعلى الحقيقة هو الجر والنصب فيها مجاز ، وهكذا قولهم « بنو فلان تطؤهم الطريق » يريدون أهل الطريق ، الرفع فى الطريق مجاز ؛ لأنه منقول إليه عن المضاف المحذوف الذى هو الأهل ، والذى يستحقه فى أصله هو الجر » [3] .

(١) مفتاح العلوم ص ١٨٩ .
(٢) مفتاح العلوم ص ١٨٥ .
(٣) أسرار البلاغة ص ٣٨٣ . تحقيق هـ . ريتر .

وبعد هذا التوضيح لفقرة من كلام السكاكي نقول :

إنه بإدخاله كلاً من الاستعارة التبعية ، ومن المجاز العقلى فى الاستعارة المكنية ، وجعل ثلاثتها شيئاً واحداً .

السكاكى بموقفه هذا مع البلاغة العربية لا عليها .

إنه يرى تسهيلها وتيسيرها على طلابها بتقليل أقسامها ، وخلخلة تفريعاتها ، وما كان أحبَّ إلىَّ من أن تسود رؤيته الساحة البلاغية كلها فى مختلف عصورها ، لكنه ـ للأسف خولف فيما دعا إليه ، بل أخذ ذلك عليه . وانظر حلية اللب المصون بشرح الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهورى ص ٤٥ الطبعة الثانية ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م القاهرة ، وشرح عقود الجمان فى علمىّ المعانى والبيان للسيوطى ص ١٤ طبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر د.ت.

الكناية

الكناية ـ كما عرفها القزويني ـ لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ ، كـ: فلان طويل النجاد أي طويل القامة ، وفلانة نئوم الضحا أي مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات ، وذلك أن وقت الضحا وقت سعي النساء العرب في أمر المعاش ، وكفاية أسبابه ، فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم يقومون عنها في السعي لذلك .

ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد ، والنوم في الضحا من غير تأويل (من غير صرف اللفظ عن معناه الأصلي) ، فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه ، أي من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمه ، فإن المجاز ينافي ذلك ، فلا يصح في نحو قولك (في الحمام أسد) أن تريد معنى الأسد من غير تأويل (يقصد القزويني امتناع أن تقصد أسداً حقيقياً بل لابد أن يكون المقصود أنّ في الحمام رجلاً شجاعاً استعرت له كلمة أسد) »[1] .

* * *

ولتوضيح كلام القزويني في الفرق بين الكناية والمجاز نقول :

إنهما يشتركان في ضرورة وجود قرينة تدل على المعنى المقصود من كل منهما ، أي على المعنى الكنائي في الكناية ، وعلى المعنى المجازي في المجاز ، لكن ثمة فرقاً جوهرياً بين القرينتين ، وفي هذا الفرق الجوهري بين القرينتين يكمن الفرق بين الكناية والمجاز .

فالقرينة في الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي وهو المعنى المباشر للعبارتين (طويل النجاد) و (نئوم الضحا) ولأمثالهما من الأساليب الكنائية .

أجل إن مراد المتكلم ابتداءً إنما هو المعنى الكنائي للعبارة ، أي المعنى الثاني لها وهو المعنى اللازم عن معناها الأصلي ، لكن ليس ما يمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى الكنائي .

وبعبارة أخرى نقول : إن قرينة الكناية سهلة ومتسامحة ومرنة ، وهي لذلك توافق على ازدواجية الأداء وثنائية المعنى .

ففي المثال : هند نئوم الضحا .

---

(١) : بغية الإيضاح جـ ٣ ص ١٥٥

المعنى المباشر أنها تنام وقت الضحا أي إلى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ، وهذا المعنى المباشر وهو المعنى الأصلي للعبارة غير مقصود لذاته بل لما يلزمه ويترتب عليه من معنى كنائي هو أنها مترفة ومخدومة ، وهذا المعنى الكنائي هو المقصود لذاته من أول الأمر ، لكن لا بأس مع قصد المعنى الكنائي ابتداء من قصد المعنى المباشر معه .

وتجدر الإشارة إلى أن الكناية تصح ولو لم يكن المعنى الأصلي للفظ المكنى به له وجود خارجي .

نتحدث عن المضياف الذي لا يطبخ لضيوفه ، وإنما يشتري لهم الطعام من المطابخ الخارجية فنقول : (فلان كثير الرماد) كناية عن كرمه ، ولا رماد هناك كما نقول لطويل القامة الذي لا نجاد له ؛ لأنه لا سيف عنده (طويل النجاد) .

وكذلك تصح الكناية في حالة استحالة المعنى الأصلي ، وكل أمثلة الكناية عن نسبة من هذا النوع ، نقول : المجد ملء ثيابه ، كناية عن نسبة المجد إليه ، والمعنى الأصلي هنا مستحيل ، لاستحالة حلول المجد وهو أمر معنوي في الثياب بمعناها الحقيقي .

أما القرينة في المجاز ـ أي مجاز ـ فإنها تمنع منعاً باتاً إرادة المعنى الحقيقي وإلا اختلط الكلام وتداخل وانبهم مقصود قائله منه فلم نتبينه ، ويكون التعبير قد فقد خاصة التواصل وهي وظيفته .

تقول : (معنا في العمل عين وثعلب) ؛ وفي قولك هذا مجازان : علاقة الأول الجزئية ، أطلقت العين وأردت الجاسوس ، مجازاً مرسلاً .

وعلاقة الثاني المشابهة ، صرحت بالثعلب في مكان زميلك المكار . استعارة تصريحية أصلية مطلقة .

والقرينة في هذين المجازين هي (معنا في العمل) ، وهي مانعة منعاً قاطعاً من إرادة المعنى الحقيقي للعين ، ومن إرادة المعنى الحقيقي للثعلب .

أقسام الكناية

والكناية ثلاثة أقسام :

١ – كناية عن صفة أي عن معنى .

٢ – كناية عن موصوف أي عن ذات .

٣ – كناية عن نسبة الصفة إلى الموصوف أي عن نسبة المعنى إلى الذات .

الكناية عن صفة

وفيها تصرح بالموصوف وبالنسبة إليه ، لكن لا تصرح بالصفة المكنى عنها ؛ بل بصفة أو بصفات أخرى تستلزمها .

عاد ذو الرمة من سفره ، ونزل بدار صاحبته ، فصدم بطولها منها ، ولم يجد من بدله عليها ، وقد عبر عن اكتئابه وخيبة أمله بقوله :

عشيـة مـالى حيلـة غير أننـى بلقـط الحصى والخط فى التـرب مولع

أخـط وأمحـو الخـط ثم أعيـده بكفـى والغربـان فى الـدار وقـع

فى هذين البيتين نرى الشاعر ذاهلاً عن نفسه ، ها هو ذا منهمك فى لقط الحصى والكتابة فى التراب ، ومحو ما كتب ، ثم كتابة ما محا ثانية ، وهو لم يعطنا هذه الصورة الخارجية له لنقف عندها ، بل لننفذ من خلالها إلى ما وراءها من قلقه ويأسه ، ومن غلبة الهم على نفسه .

وكبيتى ذى الرمة فى الكناية عن الغم والهم وهن الحزن والألم قول امرئ القيس :

ظللت ردائى فوق رأسى قاعدا أعد الحصى ما تنقضى عبراتى

وفى ضوء قول الله تعالى فى سورة الكهف « وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها » .

نرى صاحب الحديقة وهو يقلب كفيه ، وتقليب الكفين صورة خارجية كنى بها الله سبحانه وتعالى عن حالة نفسية هى شدة الألم . وعظم الشعور بالندم .

وقول عمر بن أبى ربيعة :

بعيـدة مهـوى القرط إما لنوفل

أبوهـا ، وإما عبد شمس وهاشم

فيه الموصوف وهو صاحبة القرط ، وفيه نسبة بعد مهوى القرط إليها ، وليس بعد مهوى القرط مقصوداً لذاته ، بل لما يلزمه من طول عنقها وهو مظهر من مظاهر الجمال فى النساء ، كنى عنه ببعد مهوى القرط ، وقول امرئ القيس :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجـرد قيد الأوابـد هيكل

فيه كناية عن التبكير بالجملة الحالية فى الشطرة الأولى .

وكناية عن سرعة الفرس بأنه قيد الأوابد فى الشطرة الثانية .

* * *

ومن الكنايات عن صفات :

الطلاب يتنافسون ، كناية عن الكسل .

السامعون يديمون النظر إلى ساعاتهم ، كناية عن الملل .

الناس كأن على رؤوسهم الطير ، كناية عن الهدوء وعمق الإصغاء .

فلان لا يدخل من هذا الباب ، كناية عن شهامته .

صارت نخلة عروساً ، كناية عن أنها كبرت .

ومن الكنايات المستطرفة قول الله تعالى :

« وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم » .

كناية عن عنادهم وكفرهم .

وقوله تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان » .

كناية عن البخل فى مقولة اليهود : « يد الله مغلولة » وعن الكرم فى « يداه مبسوطتان » .

* * *

والكناية من صفة ضربان : قريبة وبعيدة .

فالقريبة : هي التي ينتقل فيها الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى الكنائي بلا واسطة بين المعنيين ، كخرساء الأساور ، كناية عن السمنة ، فليس بين صمت الأساور والسمنة واسطة ما . وهذه الكناية القريبة نوعان : واضحة وخفية .

فالواضحة هي ما يفهم المعنى الكنائي من المعنى الأصلي فيها بداهة لوضوح اللزوم بينهما كقول امرئ القيس :

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

كناية عن ترفها وغناها في الشطرة الأولى ، ومن أنها مدللة مخدومة في الشطرة الثانية.

وكقول الحماسي :

أبتْ الروادف والثُّدِيُّ لقمصها مس البطون وأن تمسَّ ظهورا

فقد كنى عن ضخامة عجيزة المرأة ، وعن نهود ثديها بارتفاع قميصها عن ظهرها وبطنها حتى أنها لا تمسهما .

والكنايات في بيتي امرئ القيس والحماسي واضحة لا تحتاج إلى جهد ذهني في إدراكها .

أما الخفية فهي التي تحوج في فهم المقصود منها إلى شئ من الأناة والتأمل لخفاء اللزوم فيها ـ نوعاً ما ـ بين المعنى الأصلي والمعنى الكنائي كقول الفرزدق :

إذا مالك ألقى العمامة فاحذروا بسوادر كفَّيْ مالك حين يغضب

فقد كنى بإلقاء مالك عمامته عن ضيق صدره ، ونفاد صبره ، وحدة غضبه ، وأيضاً عن جسارته وشجاعته ، بدليل أنه لم يبال ما يتعرض له المحارب الذي يعرى رأسه من رشقة رمح ، أو من ضربة سيف ، ثقةً بقدرته على حماية نفسه .

وفهم هذا كله من عبارة (ألقى العمامة) محتاج إلى بصيرة نيرة ، وعقل فطن .

* * *

ومن الكناية القريبة الخفية قول الشاعر :

عريض القفا ميزانه في شماله قد انحصّ من حسب القرارط شاربه

ففي هذا البيت ثلاث كنايات هي :

(عريض القفا) كناية عن غباوته وبلهه .

و (ميزانه في شماله) كناية عن امتزاز شخصيته ، وقلة كفاءته .

و (قد انحص من حسب القرارط شاربه) كناية عن إشغاله نفسه بالتوافه ، وانصرافه عن الأمور العظيمة .

وأحسب أن في الكنايات الثلاث شيئاً من الخفاء ، لكن بدرجة متفاوتة ، ولعله في الكناية الأولى أقل منه في الكنايتين الثانية والثالثة ، وانحص شاربه أي نحل وسقط .

* * *

ونصل إلى الكناية البعيدة ، وهي ما كثرت فيها الوسائط بين المعنيين الأصلي والكنائي ككثير الرماد ، كناية عن الكرم .

فبين كثرة الرماد والكرم وسائط جمة ؛ إذ ينتقل الذهن من كثرة الرماد إلى كثرة الحرق ، ومن كثرة الحرق إلى كثرة الطبيخ ، ومن كثرة الطبيخ إلى كثرة الآكلة ومن كثرة الآكلة إلى كثرة الضيوف ، ومن كثرة الضيوف إلى عظم الكرم .

ومن الكناية البعيدة قول الشاعر :

وما بك فيَّ من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

ففي الشطرة الثانية كنايتان بعيدتان :

«جبان الكلب» كناية عن الرئاسة وعظم الجاه

و«مهزول الفصيل» كناية عن الكرم.

الكناية عن موصوف

وإنها تصرح بالصفة ، وتصرح بالنسبة ، لكن لا تصرح بالموصوف صاحب النسبة ، بل تكنى عنه بما يدل عليه ويستلزمه .

هذا امرؤ القيس يكنى عن صاحبته التى كان من أمره معها ما ذكره فى قوله :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

فـ (بيضة خدر) كناية عن موصوف هو المرأة صاحبة الخدر .

وهذا الشنفرى يكنى عن الحرب بأم قسطل فى قوله : .

فإن تبتئس بالشنفرى أم قسطل لما اختبطت بالشنفرى قبل أطول

القسطل : الغبار ، وأم قسطل هى الحرب . يقول :

إن لم ترض الحرب منى شيخاً ، فلطالما رضيت منى شاباً .

ولقد كانت العرب تكنى بالقانص ــ وهى النوق الفتية ــ عن النساء .

كتب أبو المنهال بقيلة الأكبر الأشجعى إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى شأن النساء اللائى كان المجاهدون يخلونهن وراءهم وهم يغزون :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخى ثقة إزارى

قلائصنا فداك الله إنا شغلنا عنكم زمن الحصار [1]

ولما حظر بعض الخلفاء على الشعراء ذكر النساء قال حميد بن ثور :

تجرم أهلوها لأن كنت مشعرا جنوناً بها يا طول هذا التجرم

ومالى من ذنب إليهم علمته سوى أننى قد قلت يا سرحة اسلمى

بلى اسلمى ثم اسلمى ثمت اسلمى ثلاث تحيات وإن لم تكلم

فكنى عمن تغزل فيها بالسرحة ، وقد كانوا يقولون لزوجة الرجل سرحته . وكما كنوا عن

(١) التصوير البيانى د. محمد أبو موسى ص ٤١٠ .

المرأة بالسرحة كنوا عنها بالنخلة ، قال شاعرهم :

ألا يا نخلة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام

وكنوا عنها بالنعجة قال تعالى : « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة » .

وكنوا عنها بالوديعة فى رسالة كتبها أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة على لسان المعتضد بالله العباسى إلى أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، يطمئنه فيها على كريمته قطر الندى قال :

« وأما الوديعة فهى بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك عناية لها وحياطة بها » .

وكان ابن ثوابة فرحاً بتوقيعه على هذه الكناية حتى لقد قال للوزير أبى القاسم عبيد الله ابن سليمان بن وهب « والله إن تسميتى إياها بالوديعة نصف البلاغة » .

وقد استحسنت هذه الكناية حتى صار الكتاب يعتمدونها [1] .

* * *

والكناية عن موصوف هى أيضاً نوعان :

نوع يكنى فيه عن الموصوف بمعنى واحد كما فى الأمثلة السابقة . وكما فى قول الشاعر :

الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان

فقد كنى بمعنى واحد هو (مجامع الأضغان) عن موصوف هو القلوب .

والمقصود بوحدة المعنى هنا إنما هى وحدة النوع أو الجنس . وإن كان مثنى أو جمعاً ، فمجامع الأضغان ، وإن كان جمعاً إلا أنه معنى واحد من حيث إنه جنس واحد هو القلوب ، وليس أجناساً متعددة ، وسيتضح ذلك أكثر بذكر :

النوع الثانى : وهو ما يكنى فيه عن الموصوف بمجموعة معان تتضافر مع بعضها حتى تشكل الموصوف المكنى عنه بها وتحضره فى ذهن القارئ أو السامع .

(١) سر الفصاحة ١٥٦ .

مثال ذلك قوله تعالى كناية عن البنات : « أو من يُنشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين » .

لم يعبر الله سبحانه وتعالى عن البنات بمعنى واحد بل بمعنيين اثنين هما التنشئة فى الحلية ، والعجز عن الإبانة فى اللدد والخصومة .

وهذان المعنيان مختلفان ، لكنهما متكاملان وهما لذلك يؤديان إلى المكنى عنه بهما فى الآية الكريمة ، وهو الإناث فى مقابلة الذكور .

ومثاله أيضاً قوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام : « وحملناه على ذات ألواح ودسر » .

فقد كنى ـ سبحانه ـ بمعنيين من جنسين مختلفين عن الموصوف وهو السفينة المكونة من الألواح والدسر ، والدسر : جمع دسار وهو المسمار ، وقيل خيط من الليف تشد به الألواح [1] .

ومن الأمثلة التى اصطنعها البلاغيون ليوضحوا بها ما نحن بصدده ، وهو الكناية عن الموصوف بأكثر من معنى قولهم فيما يشبه الإلغاز :

« حى مستوى القامة عريض الأظفار »

وكيفية أن تتآزر الصفات الثلاث لتنهض مجتمعة كناية عن موصوف هو الإنسان ، قالوا :

« لأن الحياة وحدها لا تكفى فى الدلالة عليه ، وكذلك الحياة واستواء القامة ، لأن التمساح يشارك الإنسان فى ذلك ، فإنه حى مستوى القامة ، ولو قيل : حى عريض الأظفار ـ بإسقاط مستوى القامة ـ لساواه الجمل » [2] .

ذكر القزوينى هذا المثال ، وهو يشبه أن يكون حداً للإنسان لا كناية عنه ، ولو حجبنا كلمة الإنسان عنه لكان ـ كما قلنا قبلاً ـ لغزاً ، وقد رده السبكى لأنه من وجهة نظره حد ، والحد تصريح لا كناية [3] .

---

(١) أساس البلاغة ص ١٣٠ .
(٢) التصوير البيانى ص ٤١٩ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٣٠ .

المبحث الثاني

في المجاز المفرد المُرسل

المجاز المرسل هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة[1] غير المشابهة مع قرينة[2] دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي، وله علاقات كثيرة أهمُّها:

١ ـ السَّببية: هي كون الشيء المنقول عنه سبباً ومُؤثراً في غيره. نحو رَعَت الماشية الغيث، أي النَّبات، لأن الغيث أي المطر سَبَبٌ فيه[3] وقرينته لفظية وهي رعت، لأن العلاقة تُعتبَر من جهة المعنى المنقول عنه.

---

(١) القرينة هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غير ما وضع له، وبتقييد القرينة بمانعة الخ خرجت الكناية فإن قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، والقرينة إما لفظية أو حالية. فاللفظية هي التي يلفظ بها في التركيب، والحالية هي التي تفهم من حال المتكلم أو من الواقع.

وأما القرينة التي تعين المراد من المجاز فليست شرطاً.

(٢) سمي مرسلاً لإطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة، بل له علاقات كثيرة، واسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التي تذكر في الجملة ـ وليس المقصد من العلاقة إلا بيان الارتباط والمناسبة، فالفطن يرى ما يناسب كل مقام. وقيل سمي مرسلاً لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة.

(٣) كقول الشاعر:

لـه أيـاد عـلـيّ سـابـغـة ... أُعُـدُّ مـنـهـا ولا أعـدُّهـا

قـامـتْ تُـظَـلِّـلـنـي مـن الشمس ... نـفـسٌ أعـزُّ عـلـيَّ مـن نـفـسـي

قـامـتْ تُـظَـلِّـلـنـي ومِـنْ عَـجَـبٍ ... شمس تـظـلِّـلـنـي مـن الـشـمـس

فائدة: القصد من العلاقة إنما هو تحقيق الارتباط، والذكي يعرف مقال كل مقام ثم إن العلاقة: قيل تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه الذي هو الحقيقي، وقيل تعتبر من جهة المعنى المنقول إليه لأنه المراد، وقيل تعتبر من جهتهما رعاية لحقيقهما.

واعلم أن اللفظ الواحد قد يكون صالحاً بالنسبة إلى معنى واحد لأن يكون مجازاً مرسلاً، واستعارة باعتبارين.

٢ ـ والمسببية: هي أن يكون المنقول عنه مُسبِّباً وأثراً لشيء آخر نحو: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣] أي مطراً يُسبِّبُ الرِّزق.

٣ ـ والكُلية: هي كون الشيء مُتضمّناً للمقصود ولغيره. نحو ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩] أي أناملهم، والقرينة حالية، وهي استحالة ادخال الأصبع في الأذن.

ونحو: شربت ماء النيل، والمراد بعضه، بقرينة شربت.

٤ ـ والجزئية: هي كون المذكور ضمن شيء آخر، نحو: نشر الحاكم عيونه في المدينة، أي الجواسيس، فالعيون مجازٌ مرسل، علاقته الجزئية لأن كل عين جزءٌ من جاسوسها، والقرينة الإستمالة.

وكقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

٥ ـ واللازميّة: هي كون الشيء يجب وجوده عند وجود شيء آخر نحو: طلع الضَّوء، أي الشمس. فالضوء مجاز مرسل. علاقته اللازمية لأنه يوجد عند وجود الشمس، والمعتبر هنا اللزوم الخاص وهو عدم الإنفكاك.

٦ ـ والملزومية: هي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر نحو: ملأت الشَّمسُ المكانَ، أي الضّوء، فالشمس مجاز مرسل علاقته الملزومية، لأنها متى وُجدت وُجد الضوء، والقرينة «ملأت».

٧ ـ والآلية: هي كون الشيء واسطة لإيصال أثر شيء إلى آخر، نحو: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤] أي ذكراً حسناً، فلسان بمعنى ذِكر حسن، مجاز مرسل، علاقته الآليّة لأن اللّسان آلة في الذكر الحسن.

٨ ـ والإطلاق: هو كون الشيء مُجرداً من القيود، نحو قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] أي عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ. فالرقبة مجاز مرسل، علاقته الإطلاق. فإن المراد منها المؤمنة. وإطلاق الرّقبة على جميع الجسم مجاز مرسل. علاقته الجزئية.

٩ ـ والتقييد: هو كون الشيء مُقَيّداً بقيد أو أكثر. نحو: ما أَغْلَظَ جَحْفَلَةَ زَيد، أي شَفَتَه. فجحفلة زَيد مجاز مرسل، علاقته التقييد، لأنها مقيدة بشفة الفرس.

١٠ ـ والعموم: هو كون الشيء شاملاً لكثير، نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ

ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤]. أي «النبي» ﷺ. فالناس مجاز مرسل علاقته العموم، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فإن المراد من الناس واحد. وهو نعيم بن مسعود الأشجعي.

١١ ـ والخصوص، هو كون اللفظ خاصاً بشيء واحد كإطلاق اسم الشخص على القبيلة، نحو ربيعة. وقريش.

١٢ ـ واعتبار ما كان: هو النظر إلى الماضي، نحو: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٢] أي الذين كانوا يتامى، ثم بلغوا، فاليتامى مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان ومثل هذا قول من شرب القهوة: خُذ الملآن.

١٣ ـ واعتبار ما يَكون: هو النظر إلى المستقبل. نحو: طحنت خبزاً أي حبًّا يَؤول أمره إلى أن يكون خبزاً، فخبزاً مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يؤول إليه، ومثله ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦] أي عصيراً يؤول أمره إلى خمر لأنه حال عصره لا يكون خمراً، فالعلاقة هنا اعتبار ما يؤول إليه. ونحو: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] والمولود حين يولد لا يكون فاجراً ولا كفاراً، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة، فأطلق المولود الفاجر وأُريدَ به الرجل الفاجر، والعلاقة اعتبار ما يكون.

١٤ ـ والحالية: هي كون الشيء حالاً في غيره. نحو ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧] المُراد من الرَّحمة الجنة التي تحل فيها الرَّحمة، فرحمة مجاز مرسل، علاقته الحالية، ومثله فلان جالس في سرور.

١٥ ـ والمحلية: هي كون الشيء يحُلُّ فيه غيره ـ كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق: ١٧] أي أهل ناديه، وكقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧] والقول بالألسنة.

١٦ ـ والبَدلية: هي كون الشيء بدلاً عن شيء آخر، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ والمراد الأداء.

١٧ ـ والمُبدلية: هي كون الشيء مُبدلاً منه شيء آخر، نحو أكلت دَم زيد، أي دِيَتَهُ. فالدَّم مجاز مرسل. علاقته المبدلية، لأن الدَّمَ مُبدل عنه الدِّيَةَ.

١٨ ـ والمُجاوَرة: هي كون الشيء مُجاوراً لشيء آخر، نحو كلّمت الجدار والعمود، أي الجالس بجوارهما، فالجدار والعمود مجازان مرسلان علاقتهما المجاورة.

١٩ ـ والتملُّق الإشتقاقي، هو إقامة صيغة مقام أخرى، وذلك:

أ ـ كإطلاق المصدر على المفعول في قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] أي مصنوعه.

ب ـ وكإطلاق الفاعل على المصدر في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢] أي تكذيب.

جـ ـ وكإطلاق الفاعل على المفعول في قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٤٣] أي لا معصوم.

د ـ وكإطلاق المفعول على الفاعل في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] أي ساتراً.

والقرينة على مجازية ما تقدّم هي ذكر ما يمنع إرادة المعنى الأصلي.

نَمُوذَجٌ

١ ـ أبَا المِسْكِ أرجو مِنْكَ نَصراً عَلى العِدَا ... وَآمَلُ عِزًّا يَخْضِبُ البِيضَ بِالدَّمِ[1]

وَيَوْماً يَغِيظُ الحَاسِدِينَ وَحَالَةً ... أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مُقَامَ الشَّنَعْنَعِ[2]

٢ ـ قال الله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

٣ ـ ذهبنا إلى حديقة غَنّاء.

٤ ـ بَنى إسماعيلُ كثيراً من المدارس بمصر.

٥ ـ تَكادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنونُهَا ... إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِرُقْيَةِ طَالِبِ[3]

الإجابة

أ ـ عِزًّا يخضب البيض بالدم.

إسناد خَضْب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقي، لأن العز لا يخضب السيوف، ولكنّهُ سبب القوة، وجمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم، ففي العبارة مجاز عقليّ علاقته السببية.

ب ـ ويوماً يغيظُ الحاسدين.

---

(١) أبو المسك كنية كافور الأخشيدي، والبيض السيوف، يقول أرجو منك أن تنصرني على أعدائي، وأن توليني عزاً أتمكن به منهم، وأخضب سيوفي بدمائهم.

(٢) يقول وأرجو أن أبلغ بك يوماً يغتاظ فيه حسادي لما يرون من إعظامك لقدري وكذلك أرجو أن أبلغ حالة تساعدني على الانتقام منهم، فأتنعمّ بشقائي في حربهم.

(٣) يعوذها يحضنها، والرُّقية العوذة، جمعها رُقى.

kwedufiles.com/om
2025
2024
موقع المناهج العمانية

المبحث الثالث

في المجاز المفرد بالإستعارة

الإستعارة في اللغة من قولهم، استعار المال إذا طلبه عارية وفي اصطلاح البيانيين: **هي استعمال اللّفظ في غير ما وضع له لعلاقة المُشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.**

والإستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً؛ لكنها أبلغ منه[1] كقولك: رأيت أسداً في المدرسة. فأصل هذه الإستعارة رَأيت رجلا شجاعاً كالأسد في المدرسَة، فحذفتَ المشبه «رجلاً» والأداة الكاف ـ ووجه الشبه «الشجاعَة» وألحقتَه بقرينة «المدرسَة» لتدلّ على أنك تريد بالأسد شُجاعاً.

وأركان الإستعارة ثلاثة:

١ ـ مستعار منه ـ وهو المشبه به.

٢ ـ ومستعار له ـ وهو المشبه. } ويقال لهما الطرفان.

٣ ـ ومستعار ـ وهو اللفظ المنقول.

ولا بُدّ فيها من عدم ذكر وجه الشبه ولا أداة التشبيه، بل ولا بُدّ أيضاً من تناسي التّشبيه الذي من أجله وقعت الإستعارة فقط مع ادّعاء أن المشبه عين المشبه به، أو ادّعاء أنّ المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلّي بأن يكون اسم جنس أو عَلَم جنس ولا تتأتّى الإستعارة في العَلَمِ الشخصي[2] لعدم إمكان دخول شيء في

(١) فاصل الاستعارة تشبيه حُذِف أحد طرفيه ووجه شبهه وأداته ـ ولكنها أبلغ منه لأن التشبيه مهما تناهى في المبالغة فلا بد فيه من ذكر المشبه والمشبه به. وهذا اعتراف بتباينهما. وأن العلاقة ليست إلا التشابه والتّداني فلا تصل إلى حد الاتحاد. بخلاف الاستعارة ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج. وأن المشبه والمشبه به صارا معنى واحداً يصدق عليهما لفظ واحد ـ فالاستعارة **مجاز علاقته المشابهة.**

واعلم أنّ حسن الاستعارة «غير التخييلية» لا يكون إلا برعاية جهات التشبيه وذلك بأن يكون وافياً بإفادة الغرض منه لأنها مبنية عليه فهي تابعة له حسناً وقبحاً.

(٢) يعني أن الاستعارة تقتضي إدخال المشبه في جنس المشبه به. ولذلك لا تكون عَلَماً لأن الجنس يقتضي العموم، والعَلَم ينافي ذلك بما فيه من التشخيص إلا إذا كان العلم يتضمن =

الحقيقة الشخصيّة، لأنّ نفس تصوّر الجزئي يمنع من تصوّر الشّركة فيه، إلا إذا أفاد العلَم الشخصي وصفاً به يصحّ اعتباره كلّياً فتجوز استعارته كتضمُّن «حاتم» للجود و «قُس» للفصاحَة، فيقال. رأيت حاتماً وقُسًّا بدعوى كليّه حاتم وقسّ ودخول المشبه في جنس الجواد، والفصيح.

وللاستعارة أجمل وقع في الكتابة لأنها تُجدي الكلام قوة، وتكسوه حسناً ورونقاً، وفيها تثار الأهواء والإحساسات.

= وصفيّة قد اشتهر بها «كسَحبان» المشهور بالفصاحة فيجوز فيه ذلك لأنه يستفيد الجنسية من الصفة نحو سمعتُ اليوم سَحبان. أي خطيباً فصيحاً، وهلم جرًّا.

Khedmatiles.com 2024

المبحث الرابع

في تقسيم الإستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين

إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط فاستعارة تصريحية أو مصرّحة[1] نحو:

فأمطرتْ لُؤلؤاً من نَرْجِس وسقَتْ ... ورداً وعَضَّتْ على العُنّاب بالبَرَد

فقد استعار اللؤلؤ، والنرجس، والورد، والعُنّاب، والبَرَد. للدموع والعيون، والخدود، والأنامل، والأسنان.

وإذا ذكر في الكلام لفظ المشبه فقط، وحذف فيه المشبه به، وأشير إليه بذكر لازمه المُسَمَّى «تخييلاً» فاستعارة مكْنِيّة[2] أو بالكناية، كقوله:

---

(١) معنى تصريحية أي مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به المراد به المشبه ومعنى مكنية أي مخفي فيها لفظ المشبه به استغناء بذكر شيء من لوازمه، فلم يذكر فيها من أركان التشبيه سوى المشبه.

(٢) أي وهذا مذهب السلف، وصاحب الكشاف[١٤٢] وأما مذهب السكّاكي[١٤٣] فظاهر كلامه يشعر بأن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه، أي كلفظ المنية في نحو «أظفار المنية نشبت بفلان» المستعمل في المشبه به بادعاء أنه عينه.

وبيان ذلك أنه بعد تشبيه معنى المنية وهو الموت بمعنى السبع، تدّعي أن المشبه عين المشبه به. وحينئذٍ يصير للمشبه به فردان ـ أحدهما حقيقي والآخر ادعائي فالمنيّة مراد بها السبع بادعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون شيئاً آخر غير السبع بقرينة إضافة الأظفار التي هي من خواص المشبه به وهو السبع، وأنكر السكّاكي التبعية بمعنى أنها مرجوحة عنده، واختار ردها إلى قرينة المكنية، ورد قرينتها إلى نفس المكنية، ففي نطقت الحال مثلاً. يقدر القوم أن نطقت استعارة تبعية والحال قرينة لها، وهو يقول إن الحال استعارة بالكناية ونطقت قرينتها.

وفي كلامه نظر من وجهين:

الأول: إن لفظ المشبه لم يستعمل إلا في معناه الحقيقي فلا يكون استعارة.

الثاني: إنه قد صرح بأن نطقت مستعارة للأمر الوهمي أي المتوهم إثباته للحال تشبيهاً بالنطق الحقيقي فيكون استعارة والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعيّة فيلزمه القول بالتبعية، وأجيب =

---

[١٤٢] سبق التعريف به: فالكشاف هو لجار الله الزمخشري.

[١٤٣] سبق التعريف به.

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

فقد شبّه المنيّة بالسبع بجامع الاغتيال في كلٍّ، واستعار السبُّع للمنيّة وحذفه ورمزَ إليه بشيء من لوازمه وهو الأظفار على طريق الإستعارة المكنية الأصليّة، وقرينتها لفظة «أظفار» ثم أخذ الوهمُ في تصوير المنية بصورة السبع، فاخترع لها مثل صورة الأظفار، ثم أطلق على الصورة التي هي مثل صورة الأظفار لفظ الأظفار.

فتكون لفظة أظفار استعارة تخييلية، لأن المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية تشبه صورة الأظفار الحقيقية وقرينتها إضافتها إلى المنية ونظراً إلى أن الإستعارة التخييلية قرينة المكنية فهي لازمة لها لا تفارقها، لأن لا استعارة بدون قرينة.

وإذاً تكون أنواع الإستعارة ثلاثة: تصريحية ومكنية وتخييلية.

= عنه بأجوبة تُطلَب من المطولات ـ وأما مذهب الخطيب[١٤٤] فإنه يقول: إن الاستعارة بالكناية التشبيه المضمر أركانه سوى المشبه المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه. ويلزم على مذهبه أنه لا وجه لتسميتها استعارة، لأن الاستعارة هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، أو استعمال اللفظ المذكور، والتشبيه غير ذلك بل هو فعل من أفعال النفس.

تنبيه: المشبه في مواد الاستعارة بالكناية لا يجب أن يكون مذكوراً بلفظ المشبه به، فيجوز ذكره بغير لفظه كأن يشبه شيء كالنحافة واصفرار اللون بأمرين كاللباس والطعم المر البشع، ويستعمل لفظ أحد الأمرين فيه، ويثبت له شيء من لوازم الآخر كما في قوله تعالى: ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ [النحل: ١١٢] فإنه شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من النحافة واصفرار اللون باللباس لاشتماله على اللابس واشتمال أثر الضرر على من به ذلك، فاستعير له اسمه، وشبه ما غشي الإنسان عند الجوع، أي ما يدرك من أثر الضرر والألم باعتبار أنه مدرك من حيث الكراهية، بما يدرك من الطعم المر البشع، حتى أوقع عليه الإذاقة، فتكون الآية مشتملة على الاستعارة المصرحة نظراً إلى الأول، والمكنية نظراً إلى الثاني، وتكون الإذاقة تخييلاً بالنسبة للمكنية، وتجريداً بالنسبة إلى المصرحة لأنها تلائم المشبه وهو النحافة والاصفرار لأنها مستعارة للإصابة، وكثرت فيها حتى جرت مجرى الحقيقة، ويقال: شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر باللباس، بجامع الاشتمال في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

وطريق إجراء الاستعارة الثانية أن يقال: شبه ما غشي الإنسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر بالطعم المر البشع بجامع الكراهة في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ثم حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو الإذاقة على سبيل الاستعارة المكنية وإثبات الإذاقة تخييل، وطريق إجراء الثالثة أن يقال شبهت الإذاقة المتخيلة بالإذاقة المتحققة واستعيرت المتحققة للمتخيلة على سبيل الاستعارة التخييلية على مذهب السكّاكي.

---

[١٤٤] الخطيب القزويني: جلال الدين (المتوفى سنة ١٣٣٨م)، من كتبه تلخيص المفتاح للسكاكي والإيضاح في شرح التلخيص. شغل منصب قاضي القضاة في مصر ودمشق.

المبحث الخامس

في الإستعارة باعتبار الطّرفين[1]

إن كان المستعار له مُحقّقاً حِسًّا، بأن يكون قد نُقل إلى أمر معلوم يُمكن أن

(١) اعلم أن المذاهب في التخييلية أربعة:

الأول: مذهب السلف والخطيب وهو أن جميع أفراد قرينة المكنية مستعملة في حقيقتها، **والتجوز إنما هو في الإثبات لغير ما هو له المسمى استعارة تخييلية، فهما متلازمان، وهي** من المجاز العقلي.

الثاني: مذهب السكاكي وهو أن قرينة المكنية تارة تكون تخييلية أي مستعارة لأمر وهمي كأظفار المنية، وتارة تكون تحقيقية أي مستعارة لأمر محقق «كابلعي ماءك» وتارة تكون حقيقة «كأنبت الربيع البقل» فلا تلازم بين التخييلية والمكنية بل يوجد كل منهما بدون الآخر ـ وقد استدل السكاكي على انفراد التخييلية عن المكنية بقوله:

لا تسقني ماء الملام فإنني ... صبٌ قد استعذبتُ ماء بكائي

فإنه قد توهم أن للملامة شيئاً شبيهاً بالماء واستعار اسمه له استعارة تخييلية غير تابعة للمكنية، ورده العلامة الخطيب بأن لا دليل له فيه لجواز أن يكون فيه استعارة بالكناية فيكون قد شبه الملام بشيء مكروه له ماء. وطوى لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الماء على طريق التخييل.

وأن يكون من باب إضافة المشبه به إلى المشبه والأصل لا تسقني الملام الشبيه بالماء وأيضاً لا يخفى ما في مذهب السكاكي من التعسف أي الخروج عن الطريق الجادة لما فيه من كثرة الاعتبارات، وذلك أن المستعير يحتاج إلى اعتبار أمر وهمي، واعتبار علاقة بينه وبين الأمر الحقيقي. واعتبار قرينة دالة على أن المراد من اللفظ الأمر الوهمي، فهذه اعتبارات ثلاثة لا يدل عليها دليل، ولا تمس إليها حاجة.

الثالث: مذهب صاحب الكشاف وهو أنها تكون تارة تحقيقية أي مصرحة وتارة تكون تخييلية أي مجازاً في الإثبات.

الرابع: مذهب صاحب السمرقندية[١٤٥] وهو مثل مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما أن مدار الأقسام عند صاحب **الكشاف على الشيوع وعدمه** وعند صاحب السمرقندية =

[١٤٥] صاحب السمرقندية: أبو القاسم الليثي (المتوفى سنة ١٤٨٣م) فقيه وعالم باللغة والأدب، والرسالة السمرقندية من كتبه وله أيضاً: بلوغ الأرب من تحقيق استعارات العرب.

يُشار إليه إشارة حِسّيّة، كقولك: رأيت بحراً يُعطي، أو كان المستعار له مُحققاً عقلاً. بأن يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة عقليّة، كقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] أي الدّين الحقّ فالإستعارة تحقيقية.

وإن لم يكن المستعار له محققاً لا حِسًّا ولا عقلاً، فالإستعارة تخييليّةٌ وذلك كالأظفار في قولك: أنشبت المنيّة أظفارها بفلان؛ فإنه لما شبهت المنية بالسبُع أخذت القوة المفكّرة تتخيل للمنيّة صورة شبيهة بالأظفار فشُبهت الصورة المتخيلة بالصورة المحقّقة، واستُعير لفظ الأظفار من الصورة المحقّقة إلى الصورة المتخيلة على طريق الإستعارة التخييلية وسميت تخييليّة لأنّ إثبات الأظفار للمشبه خُيل اتحاده مع المشبه به وحينئذٍ، التخييليّة لا تفارق المكنيّة لأنها قرينتُها، ولا استعارة بدون قرينة كما سبق هذا إذا كان لازم المشبه به في المكنية واحداً، أما إذاكانت اللوازم متعدّدة فيكون أقواها لزوماً قرينةً لها، وما عداه ترشيح وتقوية لها، كما سيأتي.

= على الإمكان وعدمه.

تنبيه: الفرق بين ما يجعل قرينة للمكنية ويجعل نفسه تخييلاً على مذهب السكاكي، أو استعارة تحقيقية على مذهب صاحب الكشاف في بعض المواد ـ وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك، أو إثباته تخييلاً على مذهب السلف وصاحب الكشاف في بعض المواد، وعلى مختار صاحب السمرقندية كذلك، وبين ما يحصل زائداً عليها قوة الاختصاص أي الارتباط بالمشبه به، فأيهما أقوى ارتباطاً به فهو القرينة وما سواه ترشيح، وذلك كالنشب في قولك. مخالب المنية نشبت بفلان، فإن المخالب أقوى اختصاصاً وتعلقاً بالسبع من النشب لأنها ملازمة له دائماً بخلاف النشب.

المبحث السادس

في الإستعارة باعتبار اللفظ المستعار

١ ـ إذا كان اللفظ المستعار «اسماً جامداً لذات» كالبدر إذا استعير للجميل «أو اسماً جامداً لمعنى» كالقتل إذا استعير للضرب الشديد سميت الإستعارة «أصلية» كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[1] [إبراهيم: ١] وكقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[2] [الإسراء: ٢٤] وسُميتْ أصليّة لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر مُعتبرٍ أوّلاً.

٢ ـ وإذا كان اللّفظ المُستعار فعلاً[3] أو اسم فعل، أو اسماً مشتقاً أو حرفاً، أو اسماً مُبهماً، فالإستعارة «تصريحية تبعية».

---

(١) يقال في إجراء الاستعارة في الآية الأولى: شبهت الضلالة بالظلمة بجامع عدم الاهتداء في كل واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو الظلمة للمشبه وهو الضلالة على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

(٢) ويقال في إجراء الاستعارة في الآية الثانية: شبه الذل بطائر واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر للمشبه وهو الذل، على طريق الاستعارة المكنية الأصلية ثم حذف الطائر، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح.

(٣) مثال الاستعارة التصريحية في الفعل: نطقت الحال بكذا، وتقريرها أن يقال شبهت الدلالة الواضحة بالنطق بجامع إيضاح المعنى في كل، واستعير النطق للدلالة الواضحة، واشتق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نطقتْ بمعنى دلت على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ونحو: يُحيي الأرض بعد موتها. يقدر تشبيه تزيينها بالنبات ذي الخضرة والنضرة، بالإحياء بجامع الحسن أو النفع في كل، ويستعار الإحياء للتزيين، ويشتق من الإحياء بمعنى التزيين يُحْيي بمعنى يُزَيِّن، استعارة تبعية لجريانها في الفعل تبعاً لجريانها في المصدر، هذا إذا كانت الاستعارة في الفعل باعتبار مدلول صيغته، أي مادته وهو الحدث، وأما إذا كانت باعتبار مدلول هيئته وهو الزمن كما في قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ [النحل: ١] فتقريرها أن يقال شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع تحقق الوقوع في كل، واستعير الإتيان في الماضي للإتيان في المستقبل واشتق منه أتى بمعنى يأتي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ونحو: ﴿ونادى أصحاب الجنة﴾ [الأعراف: ٤٤] أي ينادي ـ شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي بجامع تحقق الوقوع في كل، ثم استعير لفظ النداء في الماضي للنداء في

٣ ـ وإذا كان اللفظ المستعار اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً، دون باقي أنواع التبعية المتقدمة، فالإستعارة «تبعيّة مكنيّة».

= المستقبل، ثم اشتق منه نادى بمعنى ينادي ـ ونحو قوله تعالى: ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ [يس: ٥٢] إن قدّر المرقد للرقاد مستعاراً للموت. فالاستعارة أصلية ـ وإن قدّر لمكان الرّقاد مستعاراً للقبر، فالاستعارة تبعية لأنها في اسم المكان، فلا يستعار المرقد للقبر إلاّ بعد استعارة الرقاد للموت، ومثال الاستعارة في اسم الفاعل: زيد قاتلٌ عمراً، إذا كان عمرو مضروباً ضرباً شديداً، ومثالها في اسم المفعول: عمرو مقتول لزيد، إذا كان ضارباً لعمرو ضرباً شديداً وإجراء الاستعارة فيهما أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدة الإيذاء في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد قاتل أو مقتول بمعنى ضارب أو مضروب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ومثالها في الصفة المشبهة: هذا حسن الوجه مشيراً إلى قبيحه، وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبه القبح بالحسن، بجامع تأثر النفس في كل، واستعير الحسن للقبح تقديراً، واشتق من الحسن بمعنى القبح حَسَن بمعنى قبيح على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية ومثال الاستعارة في أفعل التفضيل: هذا أقتل لعبيده من زيد، أي أشد ضرباً لهم منه، ومثال اسم الزمان والمكان: هذا مقتل زيد، مشيراً إلى مكان ضربه أو زمانه، ومثال اسم الآلة: هذا مفتاح الملك، مشيراً إلى وزيره، وإجراؤها أن يقال: شبهت الوزارة بالفتح للأبواب المغلقة بجامع التوسل إلى المقصود في كل، واستعير الفتح للوزارة، واشتق منه مفتاح بمعنى وزير، ومثال اسم الفعل المشتق: نزال بمعنى أنزل. تريد به أبعد. فتقول شبه معنى البعد بمعنى النزول بجامع مطلق المفارقة في كل واستعير لفظ النزول لمعنى البعد واشتق منه نزال بمعنى أبعد، ومثال اسم الفعل غير المشتق «صه» بمعنى اسكت عن الكلام، تريد به اترك فعل كذا، فتقول شبه ترك الفعل بمعنى السكوت، واستعير لفظ السكوت لمعنى ترك الفعل، واشتق منه اسكت بمعنى اترك الفعل، وعبّر بدل اسكت بصه، ومثال المصغر «رُجَيْلٌ» لمتعاطي ما لا يليق، ومثال المنسوب «قُرَشِيّ» للمتخلق بأخلاق قريش وليس منهم، ومثال الاستعارة في الحرف قوله تعالى: ﴿فالتقطه آلُ فرعونَ ليكونَ لهم عدوّاً وحَزَناً﴾ [القصص: ٨] وإجراؤها أن يقال شبهت المحبة والتّبني بالعداوة والحزن اللّذين هما العلة الغائية للالتقاط بجامع مطلق الترتب واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. واعلم أن اللاّم لم تستعمل في معناها الأصلي وهو العلّة لأن علّة التقاطهم له أن يكون لهم ابناً، وإنّما استعملت مجازاً لعاقبة الإلتقاط، وهي كونه لهم عدواً، فاستُعيرت العلّة للعاقبة بجامع أن كلاً منهما مترتب على الالتقاط. ثم استعيرت اللاّم تبعاً لاستعارتها، فالمستعار منه العلة. والمستعار له العاقبة. والترتب على الالتقاط هو الجامع. والقرينة على المجاز استحالة التقاط الطفل ليكون عدواً، وقوله تعالى: ﴿ولأُصَلِّبَنَّكُم في جذوعِ النَّخلِ﴾ [طه: ٧١] وإجراؤها أن يقال: شبه =

وسُمِّيت تبعيّةً لأن جريانها في المشتقات والحروف تابعٌ لجريانها أولاً في الجوامد، وفي كلّيات معاني الحروف، يعني أنها سُمِّيت تبعيّةً لتبعيّتها لاستعارة أخرى لأنها في المشتقات تابعةٌ للمصادر، وفي معاني الحروف تابعةٌ لمتعلّق معانيها، إذ معاني الحروف جزئية لا تُتصوّر الإستعارة فيها إلّا بوَاسطة كُلّيٍّ مُستقلّ بالمفهوميّة ليتأتّى كونها مُشبَّهاً ومشبّهاً بها، أو محكوماً عليها أو بها، نحو: ركب فلان كتِفَيْ غريمه[1] أي لازمه ملازمة شديدة.

وكقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٦] أي تمكنوا من الحصول

= مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف فاستعير لفظ «في» الموضوع لكل جزئي من جزئيات الظرفية لمعنى «على» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، ومثال المكنية التبعية في الاسم المشتق يعجبني إراقة الضارب دم الباغي، وإجراء الاستعارة أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء في كل، واستعير القتل للضرب الشديد، واشتق من القتل قاتل بمعنى ضارب ضرباً شديداً، ثم حذف وأثبت له شيء من لوازمه وهو الإراقة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية، ومثالها في الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك: أنت مطلوب منك أن تسير إلينا الآن، مُطْلَق مخاطب بمطلقٍ غائب فسرى التشبيه للجزئيات واستعير الثاني للأول، ثم استعير بناء على ذلك ضمير الغائب للمخاطب، وحذف وذكر المخاطب ورمز إلى المحذوف بذكر لازمه وهو طلب السير منه إليك، وإثباته له تخييل.

واعلم أن استعارة الأسماء المبهمة أعني الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات تبعية لأنها ليست باسم جنس لا تحقيقاً ولا تأويلاً، ولأنها لا تستقل بالمفهومية لأن معانيها لا تتم ولا تصلح لأن يحكم عليها بشيء ما لم تصحب تلك الألفاظ في الدلالة عليها ضميمة تتم بها، كالإشارة الحسية والصلة والمرجع، فلا بد أن تعتبر التشبيه أولاً في كليات تلك المعاني الجزئية، ثم سربانه فيها لتبنى عليه الاستعارة، مثلاً في استعارة لفظ «هذا» لأمر معقول يشبه المعقول المطلق في قبول التمييز فيسري التشبيه إلى الجزئيات فيستعار لفظ هذا من المحسوس الجزئي للمعقول الجزئي الذي سرى إليه التشبيه فهي تبعية، والاستعارة في الضمير والموصول كالتعبير عن المذكر بضمير المؤنث أو بموصولها عنه لشبهه بها، أو عكسه، فتشبه المذكر المطلق بالمؤنث المطلق فيسري التشبيه فتستعير الضمير أو الموصول للجزء الخاص.

(١) يقال في إجرائها شبه اللزوم الشديد بالركوب بجامع السلطة والقهر، واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب للمشبه وهو اللزوم، ثم اشتق من الركوب ركب بمعنى لزم على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

على الهداية التامّة[1] ونحو أَذَقْتُهُ لِباسَ الْمَوْتِ[2] أي ألبسته إياه.

تنبيهات ـ **الأول**: كل تبعية قرينتها مكنيّة.

الثاني: إذا أُجريت الإستعارة في واحدة منهما امتنع أجراؤها في الأخرى.

الثالث: تقسيم الإستعارة إلى أصلية وتبعية عام في كل من الإستعارة التصريحية والمكنية.

---

(١) يقال في إجرائها: شبه مطلق ارتباط بين مهدي وهدى ـ بمطلق ارتباط بين مُسْتَعْلٍ ومستعلى عليه بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات ثم استعيرت «على» من جزئي من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

(٢) يقال في إجرائها شبهت الإذاقة بالإلباس، واستعير الالباس للإذاقة واشتق منه ألبس بمعنى أذاق على طريق الاستعارة المكنية التبعية، ثم حذف لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اللباس.

المبحث السابع

في تقسيم الإستعارة المصرحة باعتبار الطرفين إلى عنادية ووفاقية

فالعنادية: هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لتنافيهما.

والوفاقية: هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لعدم التنافي.

مثالهما قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي ضالاً فهديناه ففي هذه الآية استعارتان.

الأولى: في قوله «ميتاً» شبه الضلال بالموت بجامع ترتب نفي الانتفاع في كل واستعير الموت للضلال، واشتق من الموت بمعنى الضلال ميتاً بمعنى ضالاً، وهي عنادية لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد.

والثانية: استعارة الإحياء للهداية وهي وفاقية، لإمكان اجتماع الإحياء والهداية في الله تعالى.

ثم العنادية قد تكون تمليحية، أي المقصود منها التمليح والظرفة، وقد تكون تهكمية، أي المقصود منها التهكم والإستهزاء، بأن يُستعمل اللفظ في ضدّ معناه، نحو رأيت أسداً، تريد جباناً، قاصداً التمليح والظرافة، أو التهكم والسخرية: وهما اللّتان نزّل فيهما التضاد منزلة التناسب نحو ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الإنشقاق: ٢٤] استعيرت البشارة التي هي الخبر السار للإنذار الذي هو ضده بإدخال الإنذار في جنس البشارة على سبيل التهكم والإستهزاء.

في المجاز المركب[1] بالاستعارة التّمثيليّة

المجاز المركب بالاستعارة التّمثيلية هو تركيب استعمل في غير ما وُضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة مُنتزعة من متعدّد، وذلك بأن تشبّه إحدى صورتين مُنتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثم تُدخِل المشبَّه، في الصُورة المشبه بها، مُبالغة في التشبيه، ويُسمَّى بالاستعارة التّمثيلية[2] نحو: الصَّيفَ ضيَّعتِ اللَّبَنَ، يُضرب لمن فرَّط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصول عليه[3] فيه ونحو: إني أراك تُقَدِّمُ رِجْلاً وتؤخِّرُ أُخرى، يُضرب لمن يتردد

(١) المجاز المركب هو تركيب استعمل في ما يشبّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل.

(٢) سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام في كل استعارة للإشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلاً، إذ هي مبنيّة على تشبيه التمثيل. ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد ـ لهذا كان أدق أنواع التشبيه، وكانت الاستعارة المبنيّة عليه أبلغ أنواع الاستعارات، ولذلك كانا غرض البلغاء.

(٣) أصل المثل أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غني فَطَلَّقَتْ طلاقها منه في زمن الصيف لضعفه، فطلقها وتزوجت بشاب فقير. ثم طلبت من مُطَلِّقِها لبناً وقت الشتاء فقال لها ذلك المثل.
وإجراء الاستعارة في هذا المثل الأول أن يقال: شُبِّهت هيئة من فرَّط في أمرٍ زمن إمكان تحصيله، بهيئة المرأة التي طلقت من الشيخ اللّابن ورجعت إليه تطلب منه اللبن شتاء بجامع التفريط في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
وإجراء الاستعارة في المثل الثاني أن يقال: شُبِّهت هيئة من يتردد في أمر بين أن يفعله وألا يفعله، بهيئة من يتردد في الدخول فتارة يقدّم رجله وتارة يؤخرها بجامع الحيرة في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
وإجراء الاستعارة في المثل الثالث: شُبِّهت هيئة من يظلم من وجهين بهيئة رجل باع آخر تمراً رديئاً وناقص الكيل بجامع الظلم من وجهين في كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
وإجراء الاستعارة في المثل الرابع: شُبِّهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر ليحصل على أمر خفي يريده، بهيئة الرجل المسمَّى قصيراً حين جَدَع أنفه ليأخذ بثأر جذيمة من الزّباء بجامع الاحتيال في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
وإجراء الاستعارة في المثل الخامس أن يقال: شُبِّهت هيئة كريم الأصل عزيز النفس الذي لا =

في أمر فتارة يُقْدِم، وتارة يُحجِم، ونحو: أَحَشَفاً وسُوءَ كَيلةٍ؟! يُضرب لمن يظلم من وجهين، وأصله أن رجلاً اشترى تمراً من آخر فإذا هو رديء، وناقص الكيل، فقال المشتري ذلك، ومثل ما تقدّم جميع الأمثال السائرة نثراً ونظماً.

فمن الأول: قولهم لمن يحتال على حصول أمر خفي، وهو منتزع تحت أمرٍ ظاهر: لأمرٍ جدعَ قَصيرٌ أنفَه، وقولهم: تَجوع الحُرَّة ولا تأكل بثديها، وقولهم لمن يريد أن يعمل عملاً وحده وهو عاجز عنه: اليد لا تُصَفِّقُ وحْدَها، وقولهم لمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر:

عاد السَّيف إلى قِرابه وحلّ اللّيث مَنِيع غابِه، وقولهم لمن يأتي بالقول الفصل: قَطَعَتْ جهيزةُ قَوْلَ كلّ خطيب.

ومن الثاني قول الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا ... فَقَدْ بطل السِّحر والسّاحرُ
إذا قالت حَذّام فصدِّقوها ... فإن القول ما قالت حذام
متى يبلغ البنيانُ يوماً تمامَهُ ... إذا كنتَ تبنيه وغيرُكَ يَهدِمُ[1]

وإذا فشت وشاعَتْ الاستعارة التمثيلية[2] وكثر استعمالها تكون مثلاً لا يُغيّر

= يفضل الدنايا على الرزايا عند ما تَزِلُّ به القَدَم، بهيئة المرأة التي تفضل جرعها على إجارتها للإرضاع عند فقرها بجامع ترجيح الضرر على النفع في كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
وإجراء الاستعارة في المثل السادس: شُبِّهت هيئة من يريد أن يعمل عملاً وحده وهو عاجز عنه، بهيئة من يريد أن يُصفِّق بيد واحدة، بجامع العجز في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.
وإجراء الاستعارة في المثل السابع: شبهت هيئة الرجل الذي يحصل بوجوده فصل المشكلات، بهيئة نبي الله موسى عليه السلام مع سَحَرة فرعون بجامع حسم النزاع في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
وإجراء الاستعارة في المثل الثامن: شُبِّهت هيئة الرجل الذي لا يقول إلا الحق ولا يُخبِرُ إلا بالصدق بهيئة المرأة المسماة «حَذام» بجامع الصدق في كل، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.

(١) وإجراء الاستعارة في المثل التاسع: شُبِّهت حال المصلح يبدأ الإصلاح ثم يأتي غيرُه فَيُبْطِلُ عَمَلَه، بحالِ البنيان ينهضُ به حتى إذا أوشك أن يتم جاء من يهدمُه والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول إلى الغاية لوجود ما يفسد على الساعي سعيه، ثم حذف المشبه واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه.

(٢) وتنقسم التمثيلية إلى قسمين: تحقيقية وتخييلية، فالتحقيقية هي المنتزعة من عدة أمور متحققة =

مطلقاً بحيثُ يخاطب به المفرد والمذكر، وفروعهما، بلفظ واحد من غير تغيير ولا تبديل عن مَوْرده الأول وإن لم يُطابق المضروبَ له، ولذا كانت هذه الاستعارة محطَّ أنظار البلغاء، لا يعدلون إلى غيرها إلا عند عدم إمكانها فهي أبلغ أنواع المجاز مفرداً أو مركباً، إذ مبناها تشبيه التمثيل الذي قد عرفتَ أنْ وجه الشبه فيه هيئة مُنْتَزَعَةٌ من أشياء متعددة، ومِنْ ثَمَّ كانت هي والتشبيه المبنية عليه غرضَ البلغاء الذين يتسامون إليه، ويتفاوتون في إصابته، حتى كَثُرا في القرآن الكريم كثرةً كانت إحدى الحُجج على إعجازه.

والاستعارة ميدان فسيح من ميادين البلاغة، وهي أبلغ من التشبيه لأنها تضع أمام المخاطب بدلاً من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعره وتذهله عما ينطوي تحتها من التشبيه، وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الرَّوعة وسموّ الخيال تكون البلاغة في الاستعارة.

وأبلغ أنواع الاستعارة «المرشحة» لذكر ما يناسب المستعار منه فيها بناء على الدعوى بأن المستعار له هو عين المستعار منه.

ثم تليها «المطلقة» لترك ما يناسب الطرفين فيها بناء على دعوى التساوي بينهما.

ثم تليها «المجردة» لذكر ما يناسب المستعار له فيها بناء على تشبيهه بالمستعار منه.

ولا بد في الاستعارة، وفي التمثيل على سبيل الاستعارة من مراعاة جهات حسن التشبيه، كشمول وجه الشبه للطرفين، وكون التشبيه وافياً بإفادة الغرض، وعدم شم رائحة التشبيه لفظاً، ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جليًّا لئلا تصير الاستعارة والتمثيل تعمية وإلغازاً.

= موجودة خارجاً، كما في الأمثلة السابقة، والتخييلية هي المنتزعة من عدة أمور متخيلة مفروضة لا تحقق لها في الخارج ولا في الذهن، وتسمى الأولى: «تمثيلية تحقيقية» والثانية: «تمثيلية تخييلية» كقوله تعالى: ﴿إنا عَرَضْنا الأمانةَ على السَّمَواتِ والأرضِ والجبالِ فأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ منها﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية على احتمال فيها، فإنه لم يحصل عرْض وإباء وإشفاق منها حقيقة، بل هذا تصوير وتمثيل، بأنْ يفرض تشبيه حال التكاليف في ثقل حَمْلها وصعوبة الوفاء بها، بحال أنها عُرِضَتْ على هذه الأشياء مع كِبَرِ أجرامها وقوة متانتها فامْتَنَعن وجَبُنَ من حملها بجامع عدم تحقق الحمل في كل، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه، استعارة تمثيلية. ونحو قوله تعالى: ﴿فقالَ لها وللأرْضِ ائتِيا طَوْعاً أوْ كَرْهاً قالتا أتَيْنا طائعين﴾ [فصلت: ١١] فإنَّ معنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فكانتا كما أراد، فالغرض تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها، وتمثيل ذلك بحالة الآمر المطاع لهما وإجابتهما له بالطاعة فَرْضاً وتخييلاً من غير أنْ يتحقق شيء من الخطاب والجواب، هذا أحد وجهين في الآيتين كما في الكشّاف. فارجع إليه.

أسئلة على الاستعارة يُطْلَبُ أجوبتها

ما هي الاستعارة؟

ما أركانها؟

كما قسماً الاستعارة باعتبار ذكر الطرفين المشبه به والمشبه؟

ما أصل الاستعارة؟

ما هي الاستعارة التصريحية؟

كم قسماً الاستعارة التصريحية؟

كم قسماً الاستعارة باعتبار ذكر ملائم المستعار له والمستعار منه؟

ما هي الاستعارة المرشحة؟

ما هي الاستعارة المجردة؟

ما هي الاستعارة المطلقة؟

كم قسماً الاستعارة باعتبار إمكان اجتماع طرفيها في شيء؟

ما هي الاستعارة الوفاقية؟

ما هي الاستعارة العنادية؟

كم قسماً الاستعارة باعتبار الجامع؟

ما هي العامية؟

ما هي الخاصية؟

ما هي التمليحية؟

ما هي التهكمية؟

ما مثال الطرفين الحسيين والجامع حسي؟

ما مثال الطرفين الحسيين والجامع عقلي؟

ما مثال الطرفين الحسيين والجامع بعضه حسي وبعضه عقلي؟

ما مثال الطرفين العقليين والجامع عقلي؟

ما مثال المستعار منه الحسي والمستعار له العقلي؟

ما مثال المستعار منه العقلي والمستعار له الحسي؟

ما هي الاستعارة بالكناية عند الجمهور؟

ما هي الاستعارة بالكناية عند السكّاكي؟

ما هي الاستعارة بالكناية عند الخطيب؟

كما قسماً الاستعارة بالكناية؟

ما هي المكنية الأصلية؟

ما هي المكنية التبعية؟

ما هي الاستعارة التخييلية عند الجمهور؟

لم سميت استعارة؟

لم سميت تخييلية؟

ما هي الاستعارة المكنية المرشحة؟

ما هي الاستعارة المكنية المجردة؟

ما هي الاستعارة المكنية المطلقة؟

كم قسماً المكنية باعتبار إمكان اجتماع طرفيها في شيء؟

ما هي العنادية؟

ما هي الوفاقية؟

ما هو المجاز المركب؟

ما هي الاستعارة التمثيلية؟

ما هو المجاز المركب بالاستعارة؟

ما هي محسنات الاستعارة؟

تمرين على كيفية إجراء الاستعارات

فسمونا والفجر يضحك في الشر ... قِ إلينا مبشّراً بالصباح[1]

عضّنا الدهر بنابه ... ليتَ ما حلّ بنا به[2]

(١) شبّه الفجر بإنسان يتبسّم، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة، والقَدْر المشترك بينهما البريق واللمعان، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذف المشبه وأشار إليه بشيء من لوازمه وهو الضحك، على طريق الاستعارة بالكناية، وإثبات الضحك استعارة تخييلية.

(٢) شبّه حوادث الدهر بالعض بجامع التأثير والإيلام من كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من العض وهو المصدر عض بمعنى ألم على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وذكر الناب ترشيح.

لسنا وإنْ أحسابُنا كَرُمَتْ ... يوماً على الأحساب نتّكلُ[1]

دقّت قلوب العِدا قائلة له ... إنّ الحياةَ دقائقٌ وثوانِ[2]

بكت لؤلؤاً رَطْباً ففاضتْ مدامعي ... عقيقاً فصار الكل في نحرها عِقْداً[3]

إن التباعد لا يَضُرُّ إذا تقاربت القلوب[4].

ذمّ أعرابي رجلاً فقال (يقطع نهاره بالمنى ويتوسّد ذراع الهمّ إذا أمسى)[5]

قَوْمٌ إذا الشّر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زَرَافاتٍ وَوُحْدَانا[6]

جاء الشتاءُ واجْتالَ القُبَّرُ ... وطَلَعَتْ شَمْسٌ[7] عليها مِغْفَرُ[١٤٧]

(١) في كلمة «على» استعارة تصريحية تبعية، فقد شبه مطلق ارتباط بين حسب وحسب بمطلق ارتباط بين مُسْتَعْلٍ ومُسْتَعْلَى عليه، بجامع التمكن والاستقرار في كل - ثم استعيرت «على» من جزئي من جزئيات الأول - لجزئي من جزئيات الثاني، على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية.

(٢) شبه الدلالة بالقول بجامع إيضاح المراد في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من القول بمعنى الدلالة قائل بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة نسبة القول إلى الدقات.

(٣) شبّه المتساقط من فيها باللؤلؤ بجامع البياض والاتساق في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم شبه الدمع النازل من عينيه بالعقيق بجامع الحُمْرة واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، والقرينة كلمتا بكت، وفاضت وذِكْر العِقْد ترشيح.

(٤) شبّه التواد بالتقارب بجامع الألفة في كل منهما، ثم استعير التقارب للتواد واشتق منه تقارب بمعنى تواد، والقرينة كلمة القلوب وهي استعارة مطلقة.

(٥) شبّه المنى بسكين قاطع بجامع الإجهاز وإنهاء المقطوع في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو يقطع على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة، ويقطع استعارة تخييلية، وكذا شبّه الهمّ بإنسان واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الذراع على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة والقرينة كلمة الذراع، ويتوسد ترشيح.

(٦) شبه الشر بأسد متحفز للوثوب فيكشر عن أنيابه بجامع الاستعداد للهجوم في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الناجذان على طريق الاستعارة المكنية المرشحة، والقرينة كلمة ناجذيه، وكلمة أبدى ترشيح، ثم شبه مشيهم بالطيران بجامع السرعة في كل منهما، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من الطيران طار بمعنى أسرع على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة، والقرينة إسناد الطيران إليهم.

(٧) شبّه السحاب الذي يستر الشمس، بالمغفر الذي يستر الرأس، بجامع الستر في كل واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة، والقرينة كلمة شمس.

[١٤٧] اجتال: الطير: نفش ريشه، والتبات: طال والتفّ. مغفر: من غفر بمعنى غطّى.

سأبكيك للدنيا وللدين إنْ أبَتْ، يدُ المعروفِ بَعْدَكَ شُلَّتِ[1]

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] [القلم: ٤].

سَقاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إذا سُلَّ أو مَضَتْ إلَيْهِ ثُنايَا المَوْتِ مِنْ كلِّ مَرْقَدِ[3]

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾[4] [الرحمن: ٣١].

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[5] [الأعراف: ٦٠].

فَتًى كُلَّما فاضَتْ عُيُونٌ قَبِيلَةٍ دماً ضَحِكَتْ عَنْه الأحاديث والذِّكْرُ[6]

---

(١) شبَّه المعروف بإنسان له يد تعطي، والجامع الإعطاء في كل منهما وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والقرينة كلمة يد، وهي الاستعارة التخييلية، وشُلَّت ترشيح.

(٢) شبَّه تمكنه عليه الصلاة والسلام من الهدى والأخلاق الشريفة والثبوت عليها بتمكن مَنْ علا دابّة يُصرِّفها كيف شاء. بجامع التمكن والاستقرار في كل، فسرى التشبيه من الكُلّيين للجزئيات التي هي معاني الحروف، فاستعير لفظ «على» الموضوع للاستعلاء الحسي للارتباط والاستعلاء المعنوي، على سبيل الاستعارة التصريحية.

(٣) شبَّه لحاق الموت به، بالسقي بجامع الوصول في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من السقي سقى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة على ذلك نسبة السقي إلى الردى، وأيضاً قد شبَّه الموت بإنسان له ثنايا يضحك منها فتلمع وتضيء، والجامع البريق واللمعان واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الثنايا على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والثنايا استعارة تخييلية، وأومض ترشيح.

(٤) شبه القصد إلى الشيء والتوجه له، بالفراغ والخلوص من الشواغل، بجامع الاهتمام في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلو، نفرغ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة حالية.

(٥) في كلمة «في» استعارة تصريحية تبعية فقد شُبِّهَتْ «في» التي تدل على الارتباط «بفي» التي تدل على الظرفية بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكُلّيين إلى الجزئيات فاستعيرت في من الثاني للأول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة على ذلك كلمة الضلال.

(٦) شبَّه العيون بالنهر بجامع الصب الكثير في كل منهما، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو فاض على سبيل الاستعارة الأصلية المكنية وفاض قرينتها، وهي الاستعارة التخييلية، وكذا شبَّه السرور والأريحيّة بالضحك بجامع ما تجده النفس عند كلٍ من المسرة، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم اشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر - على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

تطبيق عام على المجاز وأنواع الاستعارة

١ ـ رأيت أسداً في الحمّام: شبَّه الرجل الشجاع بالأسد بجامع الشجاعة في كل واستعير الأسد للرجل الشجاع على طريق الاستعارة المصرحة الأصلية.

٢ ـ رأيت قُسَّا اليوم: شبه الرجل الفصيح «بقس بن ساعدة» بجامع الفصاحة في كل، واستعير «قس» للرجل الفصيح على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

٣ ـ رأيت حاتماً اليوم: شبه الرجل الكريم «بحاتم الطائي» بجامع الكرم في كل واستعير «حاتم» للرجل الكريم على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

٤ ـ نَطَقَتْ حالُك بنجابتك: شُبِّهت الدلالة الواضحة بالنطقِ بجامع الإيضاح في كل واستعير «النطق» للدلالة الواضحة واشتق من «النطق» بمعنى الدلالة الواضحة، «نطقتْ» بمعنى دلَّتْ على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وسميت تصريحية للتصريح فيها بلفظ المشبه به، وتبعية لأن جريانها في الفعل تابع لجريانها في المصدر.

٥ ـ يحيي الأرض بعد موتها: شبه تزيين الأرض بالنبات الأخضر النضر، بالإحياء بجامع ما يترتب على كلٍ من الحسن والنفع، واشتق من «الإحياء» بمعنى التزيين «يحيي» بمعنى يزين على سبيل الاستعارة المُصَرَّحة التبعية.

٦ ـ قلبي يحدثني بأنك مُتْلفي روحي فداك عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ

فيه استعارة تمثيلية. فإنه شبَّه هيئته القائمة به من الذوق الوجداني، بهيئة مَنْ جرى على لسانه ذلك من عُشَّاق الأشباح بجامع الهيئة الحاصلة من التأثر والوجدان في كل واستعار الكلام الدال على المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التمثيلية.

٧ ـ تصرَّمَتْ منا أُوَيْقاتُ الصَّبا ولم نجدْ من المشيبِ مَهْرَبا

فيه مجاز مرسل مركب، علاقته السببية. فإن هذا الكلام سببٌ في التحسر أو الملزومية، لأن الإخبار بهذا مستلزم للتحسر.

٨ ـ ولئنْ نطقتُ بشُكْرِ ربك مُفْصِحاً فلسانُ حالي بالشكايةِ أنْطَقُ

فيه استعارة مكنية أصلية مرشحة وفاقية في كلمة حال. شبهت الحال بإنسان متكلم بجامع الدلالة في كل واستعير لفظ المشبه به للمشبه. وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (اللسان) على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية. وإثبات (اللسان) للحال تخييل، والنطق ترشيح. وفيه استعارة تصريحية تبعية في النطق. شُبِّهت الدلالة بالنطق، واستعير لها اسمه، واشتق منه (أنطق) بمعنى أدل على سبيل

الاستعارة التصريحية التبعية، واللسان ترشيح وهي وفاقية لإمكان اجتماع طرفيها اللذين هما النطق والدلالة في شيء.

٩ ـ فإن تعافَوا العدل والإيمانا فإنَّ في إيمانِنا نيرانا

فيه استعارة مكنية أصلية في (العدل) و(الإيمانا) فإنه شبه (العدل) و(الإيمان) بشيء كريه يُعاف، بجامع كراهة النفس لكل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (تعافُوا) على طريق الاستعارة المكنية الأصلية، وإثبات (تعافوا) للعدل و(الإيمان) تخييل، وفي (نيرانا) استعارة تصريحية أصلية، شُبِّهت السيوف القاطعة بالنيران بجامع الضرر في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

وتسلط قوله «تعافُوا» على كل من العدل والإيمان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف.

١٠ ـ ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي ضالاً فهديناه. فيها استعارتان تصريحيتان تبعيتان. الأولى عنادية، والثانية وفاقية.

ففي **الأول**: شبِّه الموت بالضلال بجامع عدم النفع في كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه واشتق منه (مَيْتاً) بمعنى ضالاً على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية العنادية، لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء.

وفي **الثانية**: شبِّه الهدى بالإحياء بجامع النفع في كل واستعير الإحياء للهدى، واشتق منه (أحْيَا) بمعنى هدى. على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية الوفاقية لأنه يمكن اجتماع الهدى والحياة في شيء.

١١ ـ ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧] شبِّه إبطال العهد بفك طاقات الحبل بجامع عدم النفع في كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو النقض للمشبه وهو الإبطال، واشتق منه ينقضون بمعنى يبطلون على طريق الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة لأنها لم تقترن بشيء.

١٢ ـ لدى أسدٍ شاكي السلاح مُقَذَّفٍ له لبدٌ أظفارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ

شبِّه الرجل الشجاع بالأسد، واستعار الأسد للرجل الشجاع على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة، لاقترانها بما يلائم المشبه، وبما يلائم المشبه به فإن شاكي السلاح يناسب المشبه، وما بعده يناسب المشبَّه به والقرينة حالية أي أنها تفهم من حالة المتكلم.

١٣ ـ فَوْقَ خَدِّ الوردِ دَمْعٌ مِنْ عيونِ السُّحْبِ يَذْرِف
بِرداءِ الشمسِ أضحى بعدَ أنْ سالَ يُجَفِّف

شبَّه الورد بإنسان جميل بجامع الحُسْنِ في كل، وحذف المشبه به (إنسان) ورمز إليه بشيء من لوازمه (خد) على طريق الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة، والقرينة هي إضافة خد للورد، وشبَّه السحاب بإنسان بجامع النفع في كل، استعارة مكنية أصلية مرشحة، والقرينة إثبات العيون للسحب، وشُبِّهت الشمسُ بامرأة حسناء بجامع الجمال في كل، استعارة مكنية أصلية مجردة، والقرينة هي إثبات رداء للشمس ويقال للقرينة في الجميع (استعارة تخييلية).

١٤ ـ أثمرتْ أغصانُ راحتِهِ لِجُنَاةِ الحُسْنِ عُنَّابا

شُبِّهت الراحة بشجرة، بجامع الانتفاع من كل، استعارة مكنية أصلية مرشحة والقرينة هي إثبات جُناة للحُسْن، وهي (استعارة تخييلية).

١٥ ـ إذا نَزَلَ السماءُ بأرضِ قومٍ رعيناهُ وإنْ كانُوا غِضَابا

(السماء) بمعنى المطر. مجاز مرسل. علاقته السببية. أو المحلية، والقرينة هي (نَزَلَ).

بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين، الأولى: طريقة تأليف ألفاظه، والثانية: ابتكار مشبه به بعيدٍ عن الأذهان. لا يجول إلا في نفس أديب وهب الله له استعداداً سليماً في تعرّف وجوه الشَّبَهِ الدقيقة بين الأشياء، وأودَعه قُدْرَةً على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعض إلى مَدًى بعيدٍ لا يكاد ينتهي.

وسرُّ بلاغة الاستعارة لا يتعدى هاتين الناحيتين، فبلاغتها من ناحية اللفظ أنَّ تركيبَها يدل على تناسي التشبيه، ويَحْمِلُكَ عَمْداً على تَخَيُّلِ صورة جديدة تُشْبِيك رَوْعَتُهَا ما تضمَّنَهُ الكلام من تشبيهٍ خفيٍّ مستور.

أنظر إلى قول البُحْتُري[١٤٨] في الفَتْحِ بن خاقان:

يَسْمُو بِكَفٍّ على العَافِينَ حانِيَةٍ تَهمي وَطَرْفٍ إلى العَلْيَاءِ طَمَّاحِ

ألست ترى كفَّه وقد تمثلتْ في صورة سحابة هتَّانة تَصُبُّ وَبْلَها على العافين

[١٤٨] البحتري: شاعر عباسي اختص بمدح الخليفة المتوكل. ووزيره الفتح بن خاقان، وعاش بين (٨٢٠ ـ ٨٩٨م) وله ديوان، واختار «كتاب الحماسة» من عيون الشعر.

والسائلين، وأنّ هذه الصورة قد تَمَلَّكَتْ عليك مشاعرك فأذْهَلَتك عمّا اختبأ في الكلام من تشبيه؟

وإذا سمعت قوله في رثاء المتوكل وقد قُتِلَ غِيلة:

ضَرِيعُ تَقَاضَاهُ اللَّيالِي حُشَاشَةً يَجُودُ بِهَا والْمَوْتُ حُمْرُ أَظَافِرُهْ[1]

فهل تستطيع أن تُبْعِد عن خيالك هذه الصورة المخيفة للموت، وهي صورة حيوان مفترس ضُرِّجَتْ أظفارهُ بدماء قتلاه؟

لهذا كانت الاستعارة أبلغَ من التشبيه البليغ، لأنه وإن بُني على ادعاء أن المشبَّه والمشبَّه به سواء لا يزال فيه التشبيه مَنْوِيًّا ملحوظاً.

بخلاف الاستعارة فالتشبيه فيها مَنْسِي مجحود، ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحة أبلغ من المطلقة، وأن المطلقة أبلغ من المجردة.

أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار، وروعة الخيال، وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها، فمجال فسيح للإبداع، وميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام أنظر إلى قوله عز شأنه في وصف النار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨].

ترتسم أمامك النار في صورة مخلوق ضخم، بطّاش مكفهر الوجه، عابس يغلي صدره حقداً وغيظاً. عن البلاغة الواضحة[١٤٩].

---

(١) الصريع المطروح على الأرض، وتقاضاه أصله تتقاضاه حذفت إحدى التاءين وهو من قولهم تقاضى الدائنُ دينه إذا قبضه، والحُشاشة بقية الروح في المريض والجريح، يصفه بأنه مُلْقَى على الأرض يلفظ النَّفَسَ الأخير من حياته.

[١٤٩] سبق التعريف بالكتاب.

الباب الثالث

في الكناية

الكناية[1] لغة ما يَتَكَلَّم به الإنسان ويُريدُ به غيره، وهي مصدر كَنَيْتُ، أوْ كَنَوْتُ بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به.

---

(١) توضيح المقام أنه إذا أُطْلِق اللفظ وكان المراد منه غيرَ معناه، فلا يخلو إما أن يكون معناه الأصلي مقصوداً أيضاً ليكون وسيلة إلى المراد، وإما ألّا يكون مقصوداً، فالأول: الكناية، والثاني: المجاز. فالكناية عند علماء البيان: لفظ أُطْلِقَ وأُرِيدَ به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى معه، كلفظ: طويل النجاد، المراد به طول القامة فإنه يجوز أن يراد منه طول النجاد أي علّاقة السيف أيضاً، فهي تخالف المجاز من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيقي مع إرادة لازمه، بخلاف المجاز فإنه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المانعة من إرادته، ومثل ذلك قولهم: كثير الرماد، يَعْنُون به أنّه كثيرُ القِرْي والكرم، وقول الحضرمي:

قد كان تُعْجِبُ بعضَهُن براعتي حتى رأيْنَ تَشَخُّصي وسُعالي

كنّى عن كبر السن بتوابعه وهي التنحنح والسعال، وقولهم: المجدُ بين ثوبيه والكَرَم بين بُرْدَيه، وقوله:

إن السَّماحَةَ والسَّماحَةَ والنَّدى في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابنِ الحَشْرَجِ

وقوله:

وما بِكُ فيَّ مِنْ عيبٍ فإنّي جبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ

فإن «جبان الكلب» كناية ـ وكذا «مهزول الفصيل» والمراد منهما ثبوت الكرم، وكل واحدة على حِدَتِها تؤدي هذا المعنى، وقد جاء عن العرب كنايات كثيرة كقوله:

بيضُ المطابخِ لا تشكو إماؤهُمُ طَبْخَ القُدورِ ولا غَسْلَ المناديلِ

ويروي أنّ خلافاً وقع بين بعض الخلفاء ونديم له في مسألة، فاتفقا على تحكيم بعض أهل العلم، فأُحْضِر فوجد الخليفة مُخْطِئاً. فقال: القائلون بقول أمير المؤمنين أكثر (يريد الجهال)، وإذا كان الرجل أحمق قيل: تَعْتُه لا ينصرف، ونظر البديع الهمذاني إلى رجل طويل بارد، فقال: قد أقبل لَيْلُ الشتاء. ودخل رجل على مريض يعوده وقد اقشعر من البرد، فقال: ما تجد فديتك؟ قال أجدك (يعني البرد) وإذا كان الرجل ملولاً قيل: هو من بقية قوم موسى، وإذا كان مُلْحِداً قيل قد عبرَ (يريدون جسر الإيمان) وإن كان يسيء الأدب في المؤاكلة قيل: تسافر يده على الخِوَان ويرعى أرض الجيران. ويقال عمّن يكثر الأسفار: فلان لا يضع العصا عن عاتقه، وجاء في القرآن: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ =

واصطلاحاً: لفظ أُطلق وأُريد به لازمُ معناه مع قرينةٍ لا تَمنعُ من إرادة المعنى

= [الحجرات: ١٢] فإنه كنّى عن الغيبة بأكل الإنسان لحم الإنسان، وهذا شديد المناسبة لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العِرْض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابُه. ومن أمثال العرب قولهم: لبست لفلان جلد النمر، وجلدَ الأرقم، كناية عن العداوة. وكذلك قولهم: قَلَبَتْ له ظَهْرَ المِجَنّ، كناية عن تغيير المودة. ويقول القوم: فلان بريء الساحة، إذا بَرُؤَ من تهمة، ورَحْبُ الذراع، إذا كان كثير المعروف، وطويل الباع في الأمر، إذا كان مقتدراً فيه، وقويّ الظهر، إذا كثر ناصروه. ومن ذلك أن المنصور كان في بستان له أيام محاربته إبراهيم بن عبد الله بن الحسن فنظر إلى شجرةٍ جِلّاب فقال للربيع، ما هذه الشجرة؟ فقال طاعة يا أمير المؤمنين. فتفاءل المنصور به، وعجب من ذكائه. ومثل ذلك: أنّ رجلاً مر في صَحْن دار الرشيد ومعه حُزْمة خيزران، فقال الرشيد للفضل بن الربيع ما ذاك؟ فقال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، وكره أن يقول «الخيزران» لموافقته اسم والدة الرشيد، ومن كلامهم «فلان طويل الذيل» يريدون أنه غني حَسَنُ الحال، وعليه قول الحريري:

إن الغريبَ الطويلَ الذَّيْلِ مُمْتَهَنٌ ... فكيف حالُ غريبٍ مالُهُ قوتُ

وكذلك قولهم: فلان طاهر الثوب، أي مُنَزَّه عن السيئات. وفلان دَنِسُ الثوب أي مُتَلَوِّث بها، قال امرؤ القيس[١٥٠]:

ثيابُ بني عَوْفٍ طهارةُ نَقْيَةٍ ... وأوْجُهُهُمْ عند المَشاهِدِ غُرّانُ

ويقولون: فلان غَمْرُ الرداء، إذا كان كثير المعروف عظيم العطايا. قال كُثَيِّر[١٥١]:

غَمْرُ الرداء إذا تبسّم ضاحكاً ... غلقت لضحكته رقابُ المالِ

ومن الكنايات اللطيفة ما ذكرها الأدباء في الشيب والكبر فيقولون: عرضت لفلانٍ فَتْرَة، وعرض له ما يمحو ذنوبَه. وأقْمر ليلُه، ونوّر غُصن شبابه، وفَضَضَ الزمانُ أنيُوسه، وجاءه النذير، وقَرَعَ ناجذَ الحلم، وارتاض بلجام الدهر، وأدرك زمان الحنكة، ورفض غُرّة الصبا، ولبّى دواعي الحِجى، ومن كناياتهم عن الموت: استأثر الله به، وأسْعَدَه بجواره، ونقله إلى دار رضوانه ومحلِ غفرانه، واختار له النُّقْلَةَ مِنْ دار البَوار إلى دار الأبرار، ومن الكنايات أيضاً أنْ يقام وصفُ الشيء مقام اسمه كما ورد في القرآن: ﴿وحَمَلْنَاه على ذاتِ ألواحٍ ودُسُر﴾ [القمر: ١٣] يعني السفينة فوضع صفتها موضع تسميتها كما ورد: ﴿إذ عُرِض عليه بالعَشِيّ الصافناتُ الجياد﴾ [ص: ٣١] يعني الخيل، وقال بعض المتقدمين:

سألَتْ قتيبةُ عَنْ أبيها صُحْبَةً ... في الروح هَلْ ركِبَ الأغَرُّ الأشْقَرا

يعني هل قُتل؟ لأن الأغرّ الأشقر وصفُ الدم فأقامه مقام اسمه.

[١٥٠] امرؤ القيس: أشهر شعراء الجاهلية، وصاحب أول معلقة، عاش بين (٥٠٠ ـ ٥٤٥م) كان والده ملكاً على بني أسد.

[١٥١] كثير: من شعراء الغزل في العصر الأموي. (توفي سنة ٧٣٢م) عرف بكثير عزة لكثرة تغزله بها.

الأصلي نحو زيد طويل النِّجاد تُريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعَدَلْتَ عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها والكناية عنها لأنه يلزم مِنْ طول حِمالة السيف طولُ صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعةُ عادة، فإذا المراد طول قامته وإنْ لم يكن له نِجاد، ومع ذلك يصح أن يُراد المعنى الحقيقي، ومن هنا يُعلَم أنّ الفرق بين الكناية والمجاز صِحّةُ إرادة المعنى الأصلي في الكناية، دون المجاز فإنه ينافي ذلك.

نعم قد تمتنع إرادة المعنى الأصلي في الكناية لخصوص الموضوع كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] وكقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كناية عن تمام القدرة وقوة التمكن والاستيلاء.

وتنقسم الكناية باعتبار المطلوب بها إلى ثلاثة أقسام، فإن المطلوب بها قد يكون صفة من الصفات، وقد يكون موصوفاً، وقد يكون نسبةً.

الأول: الكناية التي يُطلب بها صفة من الصفات نوعان:

١ ـ كناية قريبة: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المُنتقَل عنه، والمعنى المُنتَقَل إليه، نحو:

رفيعُ العِماد طويل النِّجا ... دِ ساد عشيرته أمردا

٢ ـ وكناية بعيدة: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة أو بوسائط، نحو: فلان كثير الرَّماد كناية عن المضياف، والوسائط هي: الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز، ومنها إلى كثرة الضيوف، ومنها إلى المطلوب وهو المضياف الكريم.

الثاني: الكناية التي يراد بها نِسْبةُ أمرٍ لآخر إثباتاً أو نفياً، فيكون المكنيُّ عنه نسبةً، نحو:

إنّ المُرُوءة والسماحةَ والنَّدَى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابْنِ الحَشْرَجِ

فإنّ جَعْلَ هذه الأشياء الثلاثة في مكانها لمختص به يستلزم إثباتها له.

واعلم أن الكناية المطلوب بها نسبة:

إمّا أن يكون ذو النسبة مذكوراً فيها، كقول الشاعر:

ألَيْسَ مِنَ يَتْبَعُ ظِلَّهُ ... والمجدُ يمشي في ركابه

وإمّا أن يكون غَيْر مذكورٍ كقولك خير الناس من ينفع الناس، كناية عن نفي الخيرية عمّنْ لا ينفعهم.

الثالث: الكناية التي لا يُراد بها صفة ولا نسبة، بل يكون المكنيُّ عنه موصوفاً، إمّا معنى واحداً «كموطن الأسرار» كناية عن القلب، كما في قول الشاعر:

فلمّا شربْناها ودبَّ دبيبها ... إلى مَوْطنِ الأسرارِ قلتُ لها قِفِي

وإمّا مجموع معان كقولك: جاءني حيٌّ مُستوي القامة عريضُ الأظفار، كناية عن الإنسان لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به، ونحو:

الضاربين بكلِّ أبْيَضَ مِخْذَمٍ ... والطاعنين مَجامعَ الأضغانِ[1]

ويشترط في هذه الكناية أن تكون الصّفة أو الصفات مختصّةً بالموصوف، ولا تتعذّاه ليحصُلَ الانتقالُ منها إليه.

وتنقسم أيضاً باعتبار الوسائط (اللّوازم) والسّياق إلى أربعة أقسام: تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء.

١ ـ فالتّعريض لغة: خلاف التصريح.

واصطلاحاً: هو أن يُطلَقَ الكلام ويُشارَ بِهِ إلى معنى آخر يُفْهَمُ من السّياق نحو قولك للمؤذي: المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسْلِمُونَ مِنْ لِسَانه وَيَدِهِ، تعريضاً بنفي صفة الإسلام عن المؤذي، وكقوله:

إذا الجُودُ لم يُرزَق خلاصاً مِنَ الأذى: فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقيا

٢ ـ والتلويح لغة: أن تُشيرَ إلى غيرك من بُعدٍ، واصطلاحاً: هو الذي كَثُرَت وسائطه بلا تعريض، نحو:

وما يَكُ فيَّ من عيبٍ فإنّي ... جَبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ

كنّى عن كرم الممدوح بكونه جبانَ الكلب مهزولَ الفصيل فإنَّ الفكر ينتقلُ إلى جملة وسائط.

٣ ـ والرّمز لغة: أن تُشير إلى قريب منك خِفْيةً بنحو شَفَة أو حاجب.

واصطلاحاً: هو الذي قلّتْ وسائطه مع خفاء في اللزوم بلا تعريض، نحو فلانٌ عريضُ القَفا، أو عريضُ الوِسادة، كناية عن بلادته وبلاهته ونحو: هو مكتنزُ

(١) الضاربين منصوب بأمدح المحذوف، والأبيض السيف، والمخذم: بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الذال المعجمتين: القاطع، والأضغان: جمع ضِغْن: وهو ما انطوى عليه الصدر من الحقد، كنّى الشاعر بمجامع الأضغان عن القلوب، وهي لا صفة، ولا نسبة بل هي موصوف.

اللّحم، كناية عن شجاعته، ومتناسب الأعضاء، كناية عن ذكائه، ونحو: غليظ الكبد، كناية عن القسوة ـ وهلمَّ جرًّا.

والإيماء أو الإشارة هو الذي قَلّت وسائطه مع وضوح اللّزوم بلا تعريض، كقول الشاعر:

أوَ مَا رأيتَ المَجدَ ألْقَى رَحلَهُ ... في آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لم يتحوّلِ

كناية عن كونهم أمجاداً أجواداً بغاية الوضوح.

ومن لطيف ذلك قول بعضهم:

سألْتُ النّدَى والجُودَ مالي أراكُما ... تَبَدّلْتُما ذُلّاً بعزٍّ مُؤبّدِ

وما بالُ رُكنِ المجْدِ أمْسَى مُهدَّماً ... فقالا أُصِبْنا بابنِ يَحْيَى محمدِ

فقلتُ فهلّا مُتُّما عند مَوْتِهِ ... فَقَدْ كنتُما عبْدَيْهِ في كلِّ مَشْهَدِ

فقالا أقَمْنا كي نُعَزّى بفَقْدِهِ ... مسافةَ يومٍ ثُمَّ نتلوه في غدِ

والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقّها، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم فهو كالدّعوى ببيّنة، فكأنك تقول في: زيد كثير الرماد، زيد كريم لأنه كثير الرماد وكثرته تستلزم كذا الخ ـ كيف لا وأنّها تُمكّن الإنسان من التّعبير عن أمور كثيرة يتحاشى الإفصاح بذكرها، إمّا احتراماً للمخاطب، أو للإبهام على السامعين، أو للنيل من خصمه دون أنْ يدعَ له سبيلاً عليه، أو لتنزيه الأذُن عمّا تنبو عن سماعه، ونحو ذلك من الأغراض واللّطائف البلاغية.

تمرين (١)

بين أنواع الكنايات الآتية وعيّن لازم معنى كل منها:

١ ـ قال البحتري يصف قَتْلَهُ ذئباً:

فَأتْبَعْتُها أُخْرَى فأضللْتُ نَصْلَها ... بحَيْث يَكُون اللُّبُّ والرُّعْبُ والحقدُ[1]

(١) ضمير أتبعتها يعود على الطعنة، وأضللت: أخفيت، والنصل: حديدة السيف، واللب: العقل، والرعب: الفزع والخوف، واعلم أن الكناية إمّا حسنة وهي ما جمعتْ بين الفائدة ولطف الإشارة كما في الأمثلة السابقة، وإمّا قبيحة وهي ما خلت عن الفائدة المرادة وهي معيبة لدى أرباب البيان كقول المتنبي:

إني على شَغَفي بما في خُمْرها ... لأعِفُّ عنها في سَرَاويلاتِها

٢ ـ وقال آخر في رثاء من مات بعِلةٍ في صدره:

وَدَبَّتْ لَهُ فِي مَوْطِنِ الحِلْمِ عِلَّةٌ ... لَهَا كالضَّلالِ الرُّقْشِ شَرُّ دَبِيبِ[1]

٣ ـ ووصف أعرابي امرأة فقال: تُزجِي ذَيْلَها على عُرْقُوبَيْ نَعَامة[١٥٢].

إنَّ في ثوبكِ الذي المجدُ فيه ... لَضِياءً يُزرِي بكلِّ ضِياءِ

تمرين (٢)

بيّن نوع الكنايات الآتية، وبين منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ وما لا يصح:

١ ـ وصف أعرابي رجلاً بسوء العِشرة فقال كان إذا رآني قَرَّبَ من حاجبٍ حاجباً.

٢ ـ وقال أبو نواس في المديح:

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ ... وَلَكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِير

٣ ـ وتكني العربُ عمّن يجاهر غيرَه بالعداوة بقولهم:

لبس له جِلْدَ النَّمِرِ، وجِلْدَ الأرْقَم[٢]، وقَلَّبَ له ظَهْرَ المِجَنِّ[٣].

٤ ـ فلانٌ عريضُ الوِساد[٤] أعمُّ القَفا[٥].

---

(١) الضلال جمع ضِلّ بالكسر: ضرب من الحيّات صغير أسود لا نجاة من لدغته، والرقش جمع رقشاء وهي التي فيها نُقَطٌ سوداء في بياض، والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء.

(٢) الأرقم الحية فيها سواد وبياض.

(٣) المجن: الترس، وقلب له ظهر المجن: مَثَلٌ يُضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد.

(٤) عريض الوساد أي طويل العنق إلى درجة الإفراط[١٥٣]، وهذا مما يُستدل به على البلاهة وقلة العقل.

(٥) الغَمَم غزارة الشَّعر حتى تضيق منه الجبهة أو القفا. وكان يزعم العرب أن ذلك دليل على الغباوة.

---

[١٥٢] الذيل: من ذال الثوب إذا طال. والمرقوب: عصب غليظ فوق العقب، وهذا القول كناية عن دقة ساقَيْ تلك المرأة، فالنعامة مشهورة بدقة ساقيها.

[١٥٣] هذا التفسير فلق، لأن عريض الوساد تعني عريض القفا، ويكفي بهذا القول عن الغباوة، والأصل في هذا ما رواه البخاري من أن عدي بن حاتم قال: «لما نزلت آية: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ عمدت إلى عقالين: أسود وأبيض فجعلتهما تحت وسادتي وأخذت أنظر إليهما حتى إذا تبينتهما أمسكت، فلما أصبحت غدوت إلى الرسول وأخبرته الخبر، فقال: يا عدي، إن كان وسادك لعريضاً» فالرسول كنى عن بلادة ذهن عدي بهذا القول الذي يعني أنه عريض القفا، وعلى هذا قول الشاعر:

عريضُ القفا ميزانه في شمالِه ... قد انحصَّ من حب القراريط شاربه

فعريض القفا كناية عن الغباوة على ما تعارفوا عليه.

٥ ـ وقال الشاعر:

تَجُولُ خَلَاخِيلُ النِّسَاءِ وَلا أَرَى ... لِرَمْلَةَ خَلْخَالاً يَجُولُ وَلا قُلْبَا[١]

٦ ـ وتقول العرب في المديح: الكرم في أثناء حُلّته، ويقولون: فلان نَفَخَ شِدْقَيْه ـ أي تَكَبَّرَ، ورَمِ أنفُهُ، إذا غضب.

٧ ـ قالت أعرابية لبعض الوُلاة: أشكو إليكَ قِلَّةَ الْجُرْذَانِ[٢].

٨ ـ وقال الشاعر:

بِيضُ الْمَطَابِخِ لَا تَشْكُو إِمَاؤُهُمُ ... طَبْخَ الْقُدُورِ وَلَا غَسْلَ الْمَنَادِيلِ

٩ ـ وقال آخر:

مَطْبَخُ دَاوُدَ فِي نَظَافَتِهِ ... أَشْبَهُ شَيْءٍ بِعَرْضِ بِلْقِيسِ[٣]

بِبَابِ طَبَّاخِهِ إِذَا انْسَخَتْ ... أَنْقَى بَيَاضاً مِنَ الْقَرَاطِيسِ

١٠ ـ وقال آخر:

فَتًى مُخْتَصَرُ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْبِطْرِ ... نَقِيُّ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ وَالْمِنْدِيلِ وَالْقِدْرِ

١١ ـ وقال آخر:

اليُمْنُ يَنْبَعُ ظِلُّهُ ... والمجدُ يمشي في رِكابِهِ

١٢ ـ وقال آخر:

أصبحَ في قبضتِكَ الساحةُ ... والمجدُ وفضلُ الصلاحِ والحسبِ

فَلَسْنَا عَلَى الأَعْقَابِ تَدْمِي كُلُومُنَا ... وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا[٤]

المجد بَيْن ثَوْبيك والكرم مِلءُ بُرْدَيك.

---

(١) رَمْلة اسم امرأة، والقُلب بالضم: السوار.

(٢) الجرذان جمع جُرَذ وهو ضرب من الفأر.

(٣) بلقيس بكسر الباء ملكة سبأ، وسبأ: عاصمة قديمة لبلاد اليمن.

(٤) الأعقاب: جمع عَقِب وهو مؤخر القدم، والكلوم: الجراح، يقول: نحن لا نُوَلِّي فنُجْرَح في ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا، ولكنا نستقبل السيوف بوجوهنا فإنْ جُرِحْنا قطرت الدماءُ على أقدامنا.

بلاغة الكناية

الكِناية: مَظْهَر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يَصِل إليها إلّامن لَطُف طبعُهُ وَصَفَتْ قريحته، والسِّرُّ في بلاغتها أنها في صور كثيرة تُعْطيك الحقيقة مصحوبةً بدليلها، والقضيةَ وفي طيّها بُرْهَانُها، كقول البحتري في المديح:

يَغُضُّونَ فَضْلَ اللحْظِ مِنْ حَيْثُ مَا بَدَا ... لَهُمْ عَنْ مَهِيبٍ في الصُّدُورِ مُحَبَّب

فإنه كَنى عن إكبار الناس للممدوح وهَيْبَتِهم إيّاه بِغَضِّ الأبصار الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال، وتظهر هذه الخاصة جلية في الكنايات عن الصفة والنسبة.

ومن أسباب بلاغة الكنايات أنها تَضَع لك المعاني في صورة المُحَسَّات، ولا شك أنّ هذه خاصة الفنون، فإنّ المصوّر إذا رَسَمَ لك صورة للأمل أو لليأس بَهَرَك وجَعلك ترى ما كنت تَعْجز عن التعبير عنه واضحاً ملموساً.

فمثل: كثير الرماد، في الكناية عن الكرم. ورَسُول الشرّ، في الكناية عن المِزَاج، وقول البحتري:

أوَمَا رأيْتَ المَجْدَ ألْقَى رَحْلَهُ ... في آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة، كلُّ أولئك يُبرز لك المعاني في صورة تشاهدها وترتاح نفسك إليها.

ومن خواص الكناية أنها تمكّنك من أن تَشْفِيَ غُلّتك من خَصمك من غير أن تجعل له إليك سبيلاً، ودون أن تَخْدِش وجه الأدب، وهذا النوع يسمى بالتعريض، ومثاله قول المتنبي في قصيدة يمدح بها كافوراً ويُعَرِّض بسيف الدولة:

رَحَلْتُ فَكَمْ بِاكٍ بِأجْفانِ شَادِنٍ ... عَلَيَّ وَكَمْ بَاكٍ بِأجْفانِ ضَيْغَمِ[1]

وَمَا رَبَّةُ القُرْطِ الصَّلِيحِ مَكَانُهُ ... بِأجْزَعَ مِنْ رَبِّ الحُسامِ المُصَمِّمِ[2]

فَلَوْ كَانَ ما بي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ ... عَذَرْتُ وَلَكِنْ من حبيبٍ مُعَمَّمِ

رَمَى واتَّقَى رَمْيي ومِنْ دُونِ ما اتَّقَى ... هَوًى كاسِرٌ كَفِّي وقَوْسِي وأسْهُمِي

---

(١) الشادن: ولد الغزال، والضيغم: الأسد، أراد بالباكي بأجفان الشادن: المرأة الحسناء، وبالباكي بأجفان الضيغم: الرجل الشجاع. يقول كم من نساء ورجال بكوا على فراقي وجزعوا لارتحالي.

(٢) القُرط: ما يُعَلّق في شحمة الأُذن، والحسام: السيف القاطع، والمصمّم: الذي يصيب المفاصل ويقطعها، يقول لم تكن المرأة الحسناء بأجزع على فراقي من الرجل الشجاع.

أنواع الاستعارة

أولا: الاستعارة التصريحية:

وهي التي يُصَرَّحُ فيها بالمشبه به ويُحْذَفُ المشبه.

مثل: (تَكَلَّمَ أَسَدٌ فَوْقَ الْمِنْبَرِ)، حيث شبه الشيخ بالأسد.

الشيخ: مشبه.

الأسد: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الأسد)، والمحذوف، هو المشبه (الشيخ)؛ لذا فهى استعارة تصريحية.

ومثل قول الله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ﴾ [إبراهيم: ١].

شَبَّهَ اللَّـهُ - سبحانه وتعالى - الْكُفْرَ بالظلماتِ.

الكفر: مشبه.

الظلمات: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الظلمات)، والمحذوف، هو المشبه (الكفر)، لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

كما شَبَّهَ اللَّـهُ - سبحانه وتعالى - الإسلامَ بالنُّورِ.

الإسلام: مشبه.

النور: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (النور)، والمحذوف، هو المشبه (الإسلام)، لذا

فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به، فهنا استعارتان تصريحيتان.

ومثل: (رَأَيْتُ أَسَدًا عَلَى فَرَسِهِ)، شَبَّهَ الرجل الشجاع بالأسد.

الرجل الشجاع: مشبه.

الأسد: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الأسد)، والمحذوف، هو المشبه (الرجل الشجاع)؛ لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ففي لفظة (أسد) في هذا المثال، استعارة تصريحية كما سبق، فإنه أراد تشبيه الرجل الشجاع بالأسد لعلاقة الشجاعة، فحذف المشبّه الذي هو الرجل الشجاع، وصرّح بالمشبّه به الذي هو الأسد، على سبيل الاستعارة التصريحية.

ومثل قوله: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨ ﴾ [الصف: ٨].

شَبَّهَ اللَّـهُ - سبحانه وتعالى - الدِّينَ بالنُّورِ.

الدين: مشبه.

نور: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (النور)، والمحذوف، هو المشبه (الدين)، لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ومثل قوله: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

شَبَّهَ اللَّـهُ - سبحانه وتعالى - الدِّينَ بالْحَبْلِ.

الدين: مشبه.

الحبل: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الحبل)، والمحذوف، هو المشبه (الدين)، لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ومثل قول الْـحُطَيْئَةِ مُسْتَعْطِفًا الخليفةَ عُمَرَ بْنَ الخطاب:

مَـاذَا تَقُـولُ لأَفْـرَاخٍ بِـذِي مَـرَخٍ ... حُمْـرِ الْـحَوَاصِـلِ لا مَـاءٌ وَلا شَجَرُ

أَلْقَـيْتَ كاسِـبَهُمْ فِي قَعْـرِ مُظْلِمَـةٍ ... فَاغْفِـرْ، عَلَـيْكَ سَـلامُ اللهِ يَـا عُمَـرُ

الأولاد: مشبه.

الأفراخ: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الأفراخ)، والمحذوف، هو المشبه (الأولاد)؛ لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

فقد شبه الشاعر أولادَه بالأفراخ الصغيرة، وحذف المشبه (الأولاد) وصرح بالمشبه به (الأفراخ)؛ لذا فهي استعارة تصريحية.

ومثل: (حَرَّرَ أُسُودُنَا مِصْرَ مِنْ ظُلْمِ الفَاسِدِينَ) حيث شبه الشبابَ بالأسود، وحذف المشبه (الشباب)، وصَرَّحَ بالمشبه به (الأسود)؛ لذا فهي استعارة تصريحية.

وكذلك قولك: (أَبْصَرْتُ قَمَرًا يُنَظِّفُ الْـبَيْتَ).

شَبَّهَ الْـمُتَكَلِّمُ الْـبِنْتَ الْـجَمِيلَةَ بِالْـقَمَرِ.

البنت: مشبه.

القمر: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (القمر)، والمحذوف، هو المشبه (البنت)، لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ومثل قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦].

شَبَّهَ اللَّـهُ - سبحانه وتعالى - الدِّينَ بالطَّرِيقِ، أى: الصِّرَاط.

الدين: مشبه.

الصراط: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الصراط)، والمحذوف، هو المشبه (الدين)، لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ﴾ [الإسراء: ١٣].

شَبَّهَ اللَّـهُ - سبحانه وتعالى - عَمَلَ الإنسانِ بالطائرِ.

العمل: مشبه.

الطائر: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الطائر)، والمحذوف، هو المشبه (العمل)، لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

والمراد بطَائِرِه: عَمَلُهُ الصَّادِرُ عنه باخْتِيَارِهِ وَكَسْبِهِ، حَسْبَمَا قَدَّرَهُ اللَّـهُ - تعالى - عليه من خَيْرٍ وَشَرٍّ.

أى: وألزمْنَا كُلَّ إنسانٍ مُكَلَّفٍ عَمَلَهُ الناتج عنه، إلزامًا، لا فِكَاكَ له منه، ولا قُدْرَةَ له عَلَى مُفَارَقَتِهِ.

وعَبَّرَ - سبحانه - عن عَمَلِ الإنسانِ بطَائِرِهِ؛ لأنَّ العَرَبَ كانوا - كما يقول الآلوسى - يَتَفَاءَلُونَ بالطَّيْرِ، فإذَا سافرُوا وَمَرَّ بِهِمُ الطَّيْرُ من جِهَةِ الشِّمَالِ إِلَى الْيَمِينِ - تَيَمَّنُوا وتَفَاءَلُوا، وإنْ مَرَّ من جِهَةِ اليمينِ إلى الشمالِ تَشَاءَمُوا، فلما نَسَبُوا

الْـخَيْرَ وَالشَّرَّ إلى الطائر، استعير استعارة تصريحية، لما يشبههما من قدر الله - تعالى - وعمل العبد؛ لأنه سببٌ للخير والشر.

وقـولـه - سـبحانه وتعـالى -: ﴿ فِي عُنُقِهِۦ ﴾ تصوير لشـدة اللزوم وكمال الارتباط بين الإنسان وعمله.

وَخَصَّ - سبحانه - العُنُقَ بالذِّكْرِ من بينِ سائرِ الأعضاءِ؛ لأنَّ اللزُومَ فيهِ أَشَدُّ، ولأنه العضو الذى تارةً يكونُ عليهِ ما يُزَيِّنُهُ كالقِلادَةِ وما يُشْبِهُهَا، وتارةً يكونُ فيه ما يَشِينُهُ كَالْـغُلِّ والقَيْدِ وما يُشْبِهُهُمَا.

قال الإمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾: هو ما طَارَ عنه مِنْ عَمَلِهِ، كما قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ، وغير واحد - من خير أو شر، يلزم به ويجازى عليه

وقوله - سبحانه -: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ بيان لِحَالِهِ فى الآخرة بعد بَيَانِ حَالِهِ فِي الدُّنْيَا.

والمراد بالكتابِ هنا صَحَائِفُ أعمالِهِ التى سُجِّلَتْ عليهِ فى الدُّنْيَا.

أى: أَلْزَمْنَا كُلَّ إنسانٍ مُكَلَّفٍ عَمَلَهُ الصَّادِرَ عنه فى الدنيا، وجعلناه مسئولا عنه دُونَ غيرِهِ. أمَّا فى الآخرةِ فَسَنُخْرِجُ لهُ مَا عَمِلَهُ من خَيْرٍ أو شَرٍّ (في كتاب يلقاه منشورا) أى: مفتوحًا بحيث يستطيع قراءَتَهُ، ومكشوفًا بحيث لا يملك إخفاءَ شىءٍ منه، أو تَجَاهُلَهُ، أو الْـمُغَالَطَةَ فيه.

كتابٌ ظهرَتْ فيه الْـخَبَايَا والأسرار ظهورًا يغنى عن الشهود والجدال.

كتاب مشتمل على كل صغيرة وكبيرة من أعمال الإنسان.

التشبيه:

الاستعارة كما قلنا: هى تشبيه حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ.

مثل: (مَرْيَمُ كَالْـقَمَرِ فِى الْـجَمَالِ) هذا تشبيهٌ مُفَصَّلٌ.

احْذِفْ وَجْهَ الشَّبَهِ، تقول: (مَرْيَمُ كَالْـقَمَرِ).

ثم احْذِفْ الأداةَ، تقول: (مَرْيَمُ قَمَرٌ).

ثم احْذِفْ أحدَ الطرفين، تقول: (رَأَيْتُ قَمَرًا يَمْشِى عَلَى الأَرْضِ)، الآن لم يبق لنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد، وهو المشبه به.

وعلى هذا فإذا أردت أن تذكر استعارة اذكر تشبيهًا تامًّا أولًا، ثم احذف منه، هكذا:

١ - احْذِفْ وَجْهَ الشَّبَهِ.

٢ - احْذِفْ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ.

٣ - احْذِفْ الْـمُشَبَّهَ.

٤ - ثُمَّ كَوِّنْ جُمْلَةً يَتِمُّ بِهَا الْـكَلامُ.

وإذا أردت أن تمدح يوسف بالكرم، تقول: (يُوسُفُ كَالْـبَحْرِ فِى الْـكَرَمِ) هذا تشْبِيهٌ مُفَصَّلٌ.

احْذِفْ وَجْهَ الشَّبَهِ، تقول: (يُوسُفُ كَالْـبَحْرِ).

ثم احْذِفِ الأَدَاةَ، تقول: (يُوسُفُ بَحْرٌ).

ثم احْذَفْ أَحَدَ الطرفين، تقول: (جَاءَنَا بَحْرٌ يُنْفِقُ وَلا يَخَافُ الْـفَقْرَ)، الآن لم يبق لنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد، وهو المشبه به.

وإذا أردت أن تمدح إبراهيمَ بالشجاعة، تقول: (إِبْرَاهِيمُ كَالأَسَدِ فِى الشَّجَاعَةِ) هذا تشْبِيهٌ مُفَصَّلٌ.

احذف وجه الشبه، تقول: (إِبْرَاهِيمُ كَالأَسَدِ).

ثم احذف الأداة، تقول: (إِبْرَاهِيمُ أَسَدٌ).

ثم احذف أحد الطرفين، تقول: (تَكَلَّمَ أَسَدٌ فَوْقَ الْـمِنْبَرِ)، الآن لم يَبْقَ لنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد، وهو المشبه به.

وهذا معنى أَنَّ الاستعارةَ هى عبارةٌ عن تشبيهٍ حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ.

وإذا أردت أن تمدح الوزير بالْـمَكْر، تقول: (الْـوَزِيرُ كَالثعْلَبِ فِى الْـمَكْرِ)

هذا تشبيهٌ مُفَصَّلٌ.

احْذِفْ وجه الشبه، تقول: (الْـوَزِيرُ كَالثعْلَبِ).

ثم احْذِفْ الأداة، تقول: (الْـوَزِيرُ ثعْلَبٌ).

ثم احْذِفْ أحد الطرفين، تقول: (تَوَلَّى ثعْلَبٌ الْـوِزَارَةَ)، الآن لم يَبْقَ لنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد، وهو المشبه به.

ثانيًا: الاستعارة المكنية:

هي ما حُذِفَ فيها المشَبَّهَ بِهِ ورُمِزَ لهُ بشيء مِنْ لوازِمِهِ، مع ذِكْرِ الْـمُشَبَّهِ، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٤].

شَبَّهَ اللَّـهُ - سبحانه - الذُّلَّ بطَائِرٍ لهُ جَنَاحٌ.

الذل: مشبه.

الطائر: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الذُّل)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (الطائر)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (الْـجَنَاحُ)، لِذَا فَهِىَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأنَّه ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى

خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّـهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْـحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ» رواه البخارى.

شَبَّهَ الرَّسُولُ ﷺ الإسلامَ بالبيتِ.

الإسلام: مشبه.

البيت: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الإسلام)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (البيت)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (بُنِىَ)، لِذَا فَهِىَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأنَّه ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل: (بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَى الشَّهِيدِ) شَبَّهَ السَّمَاءَ بِإِنْسَان يَبْكِى.

السماء: مشبه.

الإنسان: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (السماء)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (الإنسان)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (يَبْكِى)، لِذَا فَهِىَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأنَّه ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ [يونس: ٢٤].

شَبَّهَ اللَّـهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الأَرْضَ بِالْـمَرْأَةِ التِى تَتَزَيَّن.

الأرض: مشبه.

المرأة: مشبه به.

والـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الأرض)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (المرأة)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (ازَّينت)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

والزخرف: اسم الذهب، وأُطْلِقَ عَلَى ما يُتَزَيَّنُ به مما فيه ذَهَبٍ وتَلْوِينٍ مِنَ الثياب والـحَلِيِّ، وَشَبَّهَتِ الأرضَ بالمرأةِ حين تريد التَّزَيُّنَ، فَتُحْضِرُ أَحْسَنَ ثِيَابِهَا من حُلِيٍّ وألوان.

وذكر ﴿ وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ بعد ﴿ زُخْرُفَهَا ﴾ ؛ لأن المرأة تأخذ زخرفَهَا للتزين. وأصل (ازَّيَّنَتْ): تَزَيَّنَتْ، فَقُلِبَتْ التاءُ زَايًا؛ لتدغم في الزاي فَسُكِّنَتْ وَأُدْغِمَتْ واجتلبت همزة الوصل لأجل النطق بالساكن.

ومثل قول تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤، ٢١٥] ، شَبَّهَ اللَّـهُ - تَعَالَى - الرَّسُولَ ﷺ بِالطَّائِرِ الذى له جناحٌ.

الرسول: مشبه.

الطائر: مشبه به.

والـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الرسول) الذى خُوطِبَ بِهَذِهِ الآياتِ، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (الطائر)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (جناحك)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨]، وَخَفْضُ الْـجَنَاحِ تَمْثِيلٌ للرفق والتواضُع بحال الطائر إذا أراد أن يَنْحَطَّ للوقوع خَفَضَ جَنَاحَهُ يُرِيدُ الدُّنُوَّ، وكذلك يَفْعَلُ إذا لاعَبَ أُنْثَاهُ، حيث يَمِيلُ إِلَى الْـمُسَالَمَةِ والرفق، أو الذي يَتَهَيَّأُ لاحْتِضَانِ فِرَاخِهِ.

وقد انتشرَ أَمْرُ الْـجناح حتى صار كالمثل في التواضع واللين في المعاملة. وضد ذلك رفع الجناح تمثيل لِلْجَفَاءِ وَالْـقَسْوَةِ وَالشِّدَّةِ.

ومثل قوله تعالى حكايةً عن فرعون: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القصص: ٤٠].

شَبَّهَ اللَّـهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فرعونَ وجُنُودَهُ بِحَصَيَاتٍ أَوْ حِجَارَةٍ أَخَذَهُنَّ فِي كَفِّهِ فَأَلْقَاهُنَّ فِي البحر.

فرعونُ وجُنُودُهُ: مشبه.

حَصَيَات: مشبه به.

والـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (فرعونُ وجُنُودُهُ)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (حَصَيَات أَوْ حِجَارَة)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (فنبذناهم)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزمر: ٥٦] شَبَّهَ اللَّـهُ - تَعَالَى - الْـحَسْرَةَ بالعَاقِلِ الذِى يُنَادَى لِيُقْبِلَ.

الحسرة: مشبه.

العاقل: مشبه به.

والـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الحسرة)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (العاقل)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ النداء (يا)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [القلم: ٥١، ٥٢].

عَرَّفَ اللَّـهُ رسولَه ﷺ بعضَ ما تَنْطَوِي عَلَيْهِ نُفُوسُ الْـمُشرِكينَ تِجَاهَ النبيِّ ﷺ من الْـحِقْدِ وَالْـغَيْظِ وإضْمَارِ الشَّرِّ عندما يَسْمَعُونَ الْـقُرْآنَ.

لَيُزْلِقُونَكَ: أي يُسْقِطُونَكَ وَيَصْرَعُونَكَ ويُهْلِكُونَكَ. وقال القرطبي: يقال: زَلَقَ السَّهْمُ وزَهَقَ، إذا نَفَذَ.

شَبَّهَ اللَّـهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الأَبْصَارَ بالسِّهَامِ التي يُضْرَبُ بها.

الأَبْصَارَ: مشبه.

السِّهَامِ: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الأَبْصَارَ)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (السِّهَامِ)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (يُزْلِقُونَكَ)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل: (جُنُودُنَا يَفْتَرِسُونَ الأَعْدَاءَ) شَبَّهَ الجنود بأُسُودٍ يفترسونَ الأعداءَ.

الجنود: مشبه.

الأسود: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الجنود)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (الأسود)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (يَفْتَرِسُونَ)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل: (لِلْحُرِّيَّةِ بَابٌ) شَبَّهَ الحرية بمنزلٍ له باب.

الحرية: مشبه.

منزل: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الحرية)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (منزل)، لَكِنَّهُ

ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (باب)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قول الشاعر:

نَسِيَ الطِّينِ سَاعَةً أَنَّهُ طِيـ ـنٌ حَقِيرٌ فَصَالَ تِيهًا وَعَرْبَد

شَبَّهَ الشاعر الطين بإنسان ينسى.

الطين: مشبه.

إنسان: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (الطين)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (إنسان)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (ينسى)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل: (الْـقَائِدُ يَزْأَرُ فِي حَدِيثِهِ) شَبَّهَ المتكلمُ القائدَ بأَسَدٍ يَزْأَرُ.

القائد: مشبه.

أسد: مشبه به.

والْـمَذْكُورُ هُنَا الْـمُشَبَّه، وَهُوَ (القائد)، وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ (أسد)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (يزأر)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْـمُشَبَّهَ بِهِ.

إذن الاستعارة المكنية: يَتِمُّ حَذْفُ الْـمُشَبَّهِ به، وإبقاء صفة من صفاته، أو لازمة من لوازمه، مثل: (الأَزْهَارُ تَبْتَسِمُ) حيث شبه الأزهار (المشبه) بالإنسان (المشبه به) وحذف المشبه به، وهو الإنسان، وأبقى على شيء من صفاته، وهو الابتسام، على سبيل الاستعارة المكنية.

ثالثًا: الاستعارة التمثيلية:

وهي أنْ تَسْتَعِيرَ مثلا مِنَ الأمثالِ مِنْ قِصَّتِهِ الأَصْلِيَّةِ، وَتطْلِقَهُ عَلَى مَوْقِفٍ جَدِيدٍ يُشْبِهُ الْمَوْقِفَ الأَصْلِي، ومنها: (وَمَنْ يَبْذُر الشَّوْكَ يَجْنِ الْجِرَاحَ).

وهذا المثلُ يُقَالُ في أَيَّةِ قِصَّةٍ حاضرةٍ مُشَابِهَةٍ لِهَذِهِ القصة القديمة؛ لكن يُحَافَظُ على لفظِهِ وشكلِهِ على سبيل الاستعارة التمثيلية، وهكذا باقي الأمثال.

والاستعارة التمثيلية كانت في الأصل تشبيهًا تمثيليًّا حذف منه المشبه، أي القصة الحاضرة، وذكر فيها المشبه به أي: القصة القديمة مع الحفاظ على كلمات المثل وشكله، ومن هذه الأمثال:

١ - قول الرسول ﷺ: «لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ» رواه البخارى ومسلم.

هذه العبارة النبوية تُسْتَعْمَل على سبيل (الاستعارة التمثيليّة) للتحذير من تَكْرَارِ العمل الذي سَبَّبَ مشكلةً، وتقال لمن نَالَ أذى وَيَخْشَى تَكْرَارَ ذلك الأذى.

٢ - إذا رأى الناسُ اجْتِمَاعَ جُمهورٍ كَثِيرٍ على عالمٍ، أو واعظٍ، أو زعيم، أو كثرة إقبالهم على سوقٍ من أسواق التجارة، تمثّل قائلهم بقول الشاعر:

وَالْمَـــوْرِدُ الْعَـــذْبُ كَثِـــيرُ الــزِّحَـــامِ

هذا القول يُسْتَخْدَمُ على سبيل (الاستعارة التمثيليّة) مرادًا به غير معناه الأصلي الذي قاله الشاعر للدلالة به عليه.

٣ - ويُقالُ لِمَنْ يُنْصَحُ بأنْ يَتَّخِذَ من وسائل القوة مَا يَصْلُح لتحقيق تَغَلُّبه على الصِّعاب الشديدة الَّتي تواجهه: (إِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ).

٤ - ويقال لمن يعمل جاهدًا في إقامة الفروع قبل العمل بتأسيس الأصول: (مَنْ بَنَى عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَبِنَاؤُه مُنْهَارٌ).

أو (قَبْلَ أَنْ تَرْفَعَ بِنَاءَكَ أَرْسِ أُسُسَهُ وَدَعَائِمَهُ).

٥ - ويقال لمن يَتْرُكُ العملَ زاعمًا أنَّ التوكُّلَ على الله يكفيه، ما قال الرسول ﷺ للأعرابي حين سأله: أَأَعْقِلُ نَاقَتِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ أَتَوَكَّلُ؟ قال: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ».

٦ - ومثل (سَبَقَ السَّيْفُ الْعَزْلَ) يُقالُ لمن ضَاعت منه الفرصة التي كان يَرْجُو تَحْقِيقَهَا.

٧ - ومثل (كَيْفَ أُعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثَرُ فَأْسِكَ؟) يقال لِمَن أَخْلَفَ وعْدَهُ مَرَّةً ويخشى تكرار ذلك الأذى حيث وَرَدَ في قصة خيالية أن حَيَّةً لَدَغَتْ شَخْصًا، فَخَافَتْ أن يقتلَهَا أَخُو هذا الشَّخْصِ بالثَّأْرِ، فَعَقَدَتْ مَعَهُ صُلْحًا عَلَى أَلا يَضُرَّهَا بِشَرْطِ أَنْ تَتْرُكَهُ يَرْعَى فِي أَرْضِهَا.

وفي يوم وَجَدَهَا عِنْدَ بَابِ جُحْرِهَا، فتذكر أنها قاتلةُ أخيه فثارتْ نَفْسُهُ، فَضَرَبَهَا بِالفَأسِ، فلم يَقْتُلْهَا، وهَرَبَتْ منه، وقَدْ تَرَكَت الفأس أثرًا عَلَى بَابِهَا، فَخَافَ منها وطلب إليها أن تجددالعهد السابق معها، فقالت: كَيْفَ أُعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثَرُ فَأْسِكَ ؟

٨ - ومثل (قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ) يُقالُ لِمَنْ جَاءَ بالْحَلِّ الْفَاصِلِ عِنْدَ الاخْتِلافِ.

وهذا النوع من الاستعارة يستعملها الناس في مخاطباتهم وأمثالهم الدارجة، في فصيح الكلام العربي، وفي اللِّسان العامّي الَّذي يتخاطبُ عامَّةُ الناس به، ويُسْتَعْمَل أيضًا في غير العربيَّة من اللُّغات الإنسانيَّة الأخرى.

فمن العاميّ قولُ النَّاسِ إِذَا رَأَوْا صَاحِبَ صَنْعَةٍ أَوْ مَهْنة يُهْمِلُ أَشْيَاءَهُ الْخَاصَّةَ التي يَصْنَعُ مِثْلَهَا لِغَيْرِهِ بِإِتقَانٍ: (بَابُ النَّجَّارِ مخلَّع) أو (السَّكَافِي حَافِي وَالْحَايك عُرْيَانٍ).

تنبيه:

حين تجري العبارة مَجْرَى الأمثال، وتُصْبِحُ مثلًا، فإنَّها تُسْتَعار بلفظها دُونَ تَغْيِيرٍ، فيخاطَبُ بها المفرد والمذكر وفروعهما: (المؤنث - المثنى - الجمع) وَفْقَ صِيغَتِهَا التي وَرَدَتْ دُونَ تبْدِيلٍ وَلا تَعْدِيلٍ.

ومنها الأمثال التالية:

١ - قولهم: (أَحَشَفًا وَسُوءَ كِيلَة).

الْحَشَفُ: التمر الرديء الذي فَقَدَ خصائصه، الكِيلَةُ: هَيْئَة الكَيْل.

هذا مثل يُقال لمن يُظْلَمُ مِنْ جِهَتَيْنِ.

٢ - قولهم: (الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ)، مثلٌ يُقال لِمَن فَرَّطَ بطَلَبِ حَاجَتِهِ عِنْدَ تَمَكُّنِهِ، ثمَّ طَلَبَهَا بَعْدَ فواتِ أَوَانِهَا.

وأصل المثل أنّ امرأةً طَلَبَتْ الطَّلاقَ من زَوْجِهَا الْغَنِيِّ، وكان ذلك في زَمَنِ الصَّيْفِ، فَطَلَّقَهَا، فَتَزَوَّجَتِ ابْنَ عَمِّهَا، وَكَانَ شَابًّا مُعْدَمًا، فَمَرَّتْ فِي الشِّتَاءِ بأَرْضِهَا، إبِلُ زَوْجِهَا السَّابِقِ، فَأَرْسَلَتْ خَادِمَهَا إليه تَطْلُبُ مِنْهُ لَبَنًا، فَقَالَ: «الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ» فسَارَتْ عبارتُه مثلًا.

ملاحظة:

والحقائقُ السَّامِية في مَعَانيهَا وأهدافِهَا تأخذُ صورتَها الرَّائعَةَ إذا صِيغَتْ في قَالِبٍ حِسِّيٍّ يُقَرِّبُهَا إلى الأفهامِ بقياسِهَا عَلَى المعلوم اليقيني، والتمثيل هو القالبُ الذي يُبْرِزُ المعاني في صورة حَيَّةٍ تَسْتَقِرُّ في الأذهان، بتشبيهِ الغائبِ بالحاضر، والمعقول بالمحسوس. وقياس النظير على النظير، وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعةً وجَمَالا، فكان ذلك أَدْعَى لتقبل النفس له، واقتناع العقل به، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه.

ومن العلماء من أفرد الأمثال في القرآن بالتأليف، ومنهم من عَقَدَ لها بَابًا في كتابٍ من كتبه، فأفردها بالتأليف أبو الحسن الماوردي، وعَقَدَ لَهَا السيوطي بَابًا في الإتقان، وابن القيم في كتاب أعلام الموقعين. حيث تتبع أمثال القرآن التي تَضَمَّنَتْ تَشْبِيهَ الشَّيءِ بنظيرِهِ، والتسوية بينهما في الحكم - فبلغت بضعة وأربعين مثلا.

وَذَكَرَ الله في كتابه العزيز أنه يضرب الأمثال، مثل:

قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧].

وعن عليٍّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ آمِرًا وَزَاجِرًا، وَسُنَّةً خَالِيَةً، وَمَثَلًا مَضْرُوبًا».

الفائدة البلاغية للاستعارة:

للاستعارة فَوَائِدُ بَلاغِيَّةٌ وجَمَالِيَّةٌ، ذلك أنها تُوَضِّحُ الْفِكْرَةَ، وَتُقَوِّي الْمَعْنَى من خِلالِ التَّشْخِيصِ، أو التَّجْسِيمِ، أو التَّوْضِيحِ.

التشخيص، نحو: (بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَى الشَّهِيدِ) استعارة مكنية ، حيث شبه السماء بإنسان يبكي، سرجالها التشخيص .

التجسيم، نحو: (لِلْحُرِّيَّةِ بَابٌ) استعارة مكنية، حيث شبه الحرية بمنزل له باب، سِرّ جَمَالِهَا التجسيم، أي تجسيم معنوي.

التوضيح، نحو: (عَبَرَ أُسُودُنَا الْقَنَاةَ) استعارة تصريحية، حيث شبه الجنود بالأسود، وسِرُّ جَمَالِهَا التوضيح؛ لأنَّ كلا من الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ به حِسِّيَّان.

تدريبات

(١) عين الاستعارة التصريحية والمكنية مما يلي:

١ - قول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

٢ - قول تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤، ٢١٥].

٣ - قول الرسول ﷺ: «لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ» رواه البخارى ومسلم.

٤ - قول الشاعر:

سَيَرَانا الدَّهْرُ نَمْضِي خَلْفَهَا ... وَحْدَةً مَشْبُوبَةً بِاللَّهَبِ

٥ - قول الشاعر:

فَهَيَّا نَنْزِعِ الشَّرَّا ... وَهَيَّا نَحْطِمُ الطُّغْيَان

وتَبْحَث فِي ثَنَايَاك ... عَنِ الخَيرِ عَنِ الإِيمَان

٦ - قول الشاعر:

نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِينٌ ... حَقِيرٌ فَصَالَ نِيهًا وعَرْبَد

٧ - قول الله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة: ٦].

٨ - قول الشاعر:

يَخْطُو بِرَجَاءٍ بَسَّام ... وَطَنِي وَصَبَايَ وَأَحْلامِي

هَتَفَ التَّارِيخُ بِهِ فَصَحَا ... وَمَضَى وَثْبًا وَمَشَى مَرْحًا

٩ - قول الشاعر:

أَحَـرَامٌ عَـلَى بلابِلِـهِ الـدُّوحُ حَـلالٌ لِلطَّـيرِ مِـنْ كُـلِّ جِـنْسِ

١٠ - لا تَعجَبْ يَا أَخِي مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ برَأْسِهِ فَبَكَى.

١١ - الفَاسِدُونَ قَوْمٌ يَصُومُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ، ويُفْطرون عَلَى الْفَحْشَاءِ.

١٢ - الْجَاهِلُ سَمِينُ الْمَالِ مَهْزُولُ الْمَعْرُوفِ.

١٣ - وقال البحتري:

فَمَا قَاتَلَتْ عَنْهُ الْمَنَايَا جُنُودُهُ وَلاَ دَافَعَتْ أَمْلاَكُهُ وَذَخَائِرُهْ

١٤ - قال الشاعر:

وَإِذَا السَّعَادَةُ لاحَظَتْكَ عُيُونُهَا نَمْ فَالْمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

١٥ - قال أبو العتاهية:

أَتَتْهُ الخِلافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرِّرُ أَذْيَالَهَا

١٦ - قول الشاعر:

نَبُثُّ بِهَا رُوحَ الْحَيَاةِ قَوِيَّةً وَنَقْتُلُ فِيهَا الضَّنْكَ وَالذُّلَّ وَالْفَقْرَا
سَلامًا شَبَابَ النِّيلِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ عَلَى الدَّهْرِ يَجْنِي الْمَجْدَ أَوْ يَجْلِبُ الْفَخْرَا
تَعَالَوْا نَقُلْ لِلصَّعْبِ أَهْلا فَإِنَّنَا شَبَابٌ أَلِفْنَا الصَّعْبَ وَالْمَطْلَبَ الْوَعْرَا

١٧ - قول الشاعر:

وَطَنِي الْكَبِير أَسَامِعٌ أَمْ يَا تَرَى صُمَّتْ بِكَ الآذَانُ لا تَتَأَثَّرُ
عَرَبِيَّةٌ أَرْضًا .. سَمَاءً .. مُحْتِدًا عُمرًا .. وتَارِيخًا يُضِيءُ ويُزْهِرُ
عَرَبِيَّةٌ عَلَّمْتِنَا أَنَّ الْفِدَا دَرْبٌ إِلَى الْحَقِّ السَّلِيبِ ومَعْبَرُ

١٨ - قول الشاعر:

حينما قيل اعبروا فاندفعوا يصنعون الفجر والنصر المبينا
يا بناة النصر صناع السلام يا حماة الحق من بغي اللئام
من سنا نيرانكم قد أشرقت عزة العرب الميامين الكرام

١٩ - كيف أعاودُك وهذا أثرُ فأسك ؟

٢٠ - رأيت ثعلبا يجيد قيادة الجيش.

٢١ - قول الشاعر:

والعلم إن لم تكتنفه شمائل تعليه كان مطية الإخفاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يتوج ربه بخلاق

٢٢ - قول الشاعر:

أعد الله للشعراء مني صواعق يخضعون لها الرقابا

٢٣ - قول الشاعر:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي فجودا فقد أوي نظيركما عندي
توخى حمام الموت أوسط صبيتي فلله كيف أختار واسطة العقد ؟!

٢٤ - قول أبي العلا المعري:

سر إن استطعت في الهواء رويدًا لا اختيالًا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدًا مرارًا ضاحك من تزاحم الأضداد

٢٥ - احذر سيفا بين فكيك.

٢٦ - حضر مطر يعطي الدراهم والدنانير.

٢٧ - قول الشاعر:

يـا سـماء الـشرق طـوفي بالـضياء وانـشري شمـسك في كـل سـماء

(٢) اجعل التشبيهات التالية استعارة تصريحية أو مكنية:

١ - اللسان كالسيف في الإيذاء.

٢ - في البحر سفن كالجبال.

٣ - الكتاب صديق مخلص.

٤ - محمد كالغيث في العطاء.

٥ - دعاء مثل البدر في الحسن والبهاء.

(٣) استعمل هذه الكلمات بحيث تكون استعارة تصريحية مرة ومكنية أخرى:

(قمر - الظلام - الصباح - الربيع).

(٤) اختر الإجابة الصحيحة مما بين كل قوسين فيما يلي:

١ - ابتسم الزمان لنا (تصريحية - مكنية - تشبيه).

٢ - طلع البدر علينا قادما من مكة(تشبيه - تصريحية - مكنية).

٣ - قطعت جهيزة قول كل خطيب (مكنية - تصريحية - مكنية).

٤ - أتاك الربيع مختالًا(مكنية - تشبيه - استعارة).

٥ - المعلم بحر فياض في العلم(تصريحية - مكنية - تشبيه).

الفصل الثالث

الكناية

Thawabitles.com 2024 2025

الْمَجَازُ الْمُرْسَلُ

تعريف المجاز المرسل:

هُوَ اسْتِعْمَالُ اللفْظِ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ فِي الأَصْلِ؛ لِعَلاقَةٍ بَيْنَ الْـمَعْنَيَيْنِ - الْـحَقِيقِيِّ وَالْـمَجَازِيِّ - مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِيِّ.

شرح تعريف المجاز:

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ): أي الْـمَعْنَى الْـوَضْعِي للَّفظِ، وَيُسَمَّى الْـحَقِيقِيّ أو الأَصْلِي الذِي ذَكَرَتْهُ مَعَاجِمُ اللغَةِ، كَوَضْعِ كَلِمَةِ الأَسَدِ لِلْحَيَوَانِ الْـمَعْرُوفِ الْـمُفْتَرِسِ، وكذلك الْـقَمَرُ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (لِعَلاقَةٍ): العَلاقَةُ هِيَ الشَّيءُ الذِي يَرْبِطُ بَيْنَ الْـمَعْنَى الأَصْلِيّ لِلفْظِ، وَالْـمَعْنَى الْـمَجَازِي، كَالشَّجَاعَةِ فِي قَوْلِكَ: (رَأَيْتُ أَسَدًا يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ) فَالأَسَدُ هُنَا لا يُقْصَدُ بِهِ الْـحَيَوَانِ؛ وَإِنَّمَا يُقْصَدُ بِهِ الرَّجُلُ الشُّجَاعُ، إِذًا فَقَدَ انْتَقَلَ مِنْ مَعْنَاهُ الْـحَقِيقِيّ إِلَى الْـمَعْنَى الْـمَجَازِيّ، وَالْـعَلاقَةُ هِيَ الشَّجَاعَةُ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (الْـقَرِينَةُ): هِيَ الّتِي تَمْنَعُ الذِّهْنَ مِنْ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى الْـمَعْنَى الْـوَضْعِي الأَصْلِيّ لِلَّفْظِ، مِثْلَ قَوْلِكَ: (يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ) فِي قَوْلِكَ: (رَأَيْتُ أَسَدًا يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ)؛ لأَنَّ الأَسَدَ لا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ، فَعُلِمَ أَنَّ الْـمَقْصُودَ بِاللفْظِ مَجَازُهُ لا حَقِيقَتُهُ؛ لأَنَّ الأَسَدَ لا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ.

ومثل قَوْلِكَ: (قَامَتِ الْـمَدْرَسَةُ بِرَحْلَةٍ). فنجد أن لهذا المثال معنيين:

١ - الْـمَعْنَى الأصلي: وَهُوَ أَنْ تَقُومَ الْـمَدْرَسَةُ بِأَبْوَابِهَا وَفُصُولِهَا وَمَقَاعِدِهَا وجرسها بِرِحْلَةٍ، وَهَذَا مُسْتَبْعَدٌ.

٢ - الْـمَعْنَى الْـمَجَازِي: وَهُوَ أَنْ يَقُومَ بَعْضُ طُلابِ الْـمَدْرَسَةِ مَعَ بَعْضِ الْـمُدَرِّسِينَ، وَذَلِكَ هُوَ الْـمَعْنَى الْـمَقْصُودُ.

علاقات المجاز المرسل:

لِلْمَجَازِ الْـمُرْسَلِ عَلاقَاتٌ كَثِيرَةٌ، تَنْبُعُ مِنْ ذَوْقِ الأَدِيبِ وَأَسَالِيبِهِ.

وقد أَحْصَى منها علماءُ البلاغةِ أَكْثَرَ مِنْ عِشرين علاقة، منها: «السَّبَبِيَّة - الْـمُسَبِّبِيَّة - إطلاق الكلّ على البعض - إطلاق البعض على الكلّ - إطلاق اللازم وإرادة الملزوم - إطلاق الملزوم وإرادة اللازم - إطلاق المطلق وإرادة المقيّد - إطلاق المقيد وإرادة المطلق - إطلاق العام وإرادة الخاص - إطلاق الخاص وإرادة العامّ - إطلاق الحال وإرادة المحل - إطلاق المحلّ وإرادة الحال - إقامة المضاف إليه مقام المضاف - إقامة المضاف مقام المضاف إليه - علاقة الجوار - اعتبار ما كان عليه الشيء - اعتبار ما يؤول إليه الشيء - علاقة الآليّة - علاقة البدليّة والعوض - إطلاق المعرّف باللاّم وإرادة واحدٍ منكر - إطلاق النكرة في الإثبات وإرادة العموم - علاقة التضادّ» إلى غير ذلك من علاقات. وأَشْهَرُ هَذِهِ الْـعَلاقَاتِ:

١ - البَدَلِيَّة:

هِيَ أَنْ يُذْكَرَ الْـكُلُّ، وَيُرَادَ الْـجُزْءُ، مثل قول الله: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ﴾ [نوح: ٧].

أي: يَجْعَلُونَ بَعْضَ أَصَابِعِهِمْ، وهي رُءُوسُهَا (الأنامل)، وهذا من إِطْلاقِ الْـكُلِّ وَإِرَادَةِ بَعْضِهِ، وفائدة هذا الْـمَجَازِ الإِشْعَارُ بِمَا فِي نُفُوسِهِمْ مِنَ الرغبة بإدخال كلّ أصابعهم في آذانهم حتى لا يصل إليها الصوت الشديد الْـمُمِيت الذي تُحْدِثُهُ الصواعق. فَقَدْ ذَكَرَتِ الآيةُ الأَصَابِعَ وَأَرَادَتْ جُزْءًا مِنْهَا، وهو طرف الأصابع، أي: رُءُوس الأَنَامِلِ.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨].

فَكَلِمَةُ ﴿ أَيْدِيَهُمَا ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، حَيْثُ ذَكَرَ الْكُلَّ، وَأَرَادَ الْجُزْءَ؛ فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ الْيَدَ كُلَّهَا.

وَمِثْلُ: (شَرِبْتُ ماءَ النِّيلِ) فَهَذَا مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْكُلِّيَّةُ؛ حَيْثُ ذَكَرَ الْكُلَّ، وَهُوَ (مَاءُ النِّيلِ) كُلُّهُ، وَأَرَادَ الْجُزْءَ، أي: بَعْضَ الْمَاءِ، فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَشْرَبَ إِنْسَانٌ مَاءَ النِّيلِ كُلَّهُ.

ومثل: (سَكَنْتُ مِصْرَ) فَهَذَا مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْكُلِّيَّةُ؛ حَيْثُ ذَكَرَ الْكُلَّ، وَهُوَ (مِصْرُ) كُلُّهَا، وَأَرَادَ الْجُزْءَ، أي: بَعْضَ مِصْرَ أَوْ بَيْتًا فِي مِصْرَ، فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَسْكُنَ إِنْسَانٌ مِصْرَ كُلَّهَا.

وَمِثْلُ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما - فِي صِفَةِ الْوُضُوءِ - قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ ﷺ بِرَأْسِهِ، وَأَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّاحَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ، وَمَسَحَ بِإِبْهَامَيْهِ ظَاهِرَ أُذُنَيْهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ.

فَهَذَا مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْكُلِّيَّةُ؛ حَيْثُ ذَكَرَ الْكُلَّ، وَهُوَ (إِصْبَعَيْهِ) كَامِلَتَيْنِ، وَأَرَادَ الْجُزْءَ، أي: جُزْءٍ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا، فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يُدْخِلَ إِنْسَانٌ إِصْبَعَيْنِ كِلَيْهِمَا كَامِلَتَيْنِ.

٢ - الْجُزْئِيَّة:

هِيَ أَنْ يُذْكَرَ الْجُزْءُ، وَيُرَادَ الْكُلُّ، مثل قول الله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [النساء: ٩٢].

أطلق الله - سبحانه وتعالى - لَفْظَ ﴿ رَقَبَةٍ ﴾ وقصد بها: المملوك من باب إطلاق الْجُزْءِ، وَإِرَادَةِ الْكُلِّ. فكلمةُ (رَقَبَة) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْجُزْءَ وهو (رقبة)، وأرادَ الْكُلَّ، وَهُوَ الْعَبْدُ.

وَمِثْلُ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

أطلقَ الله - سبحانه وتعالى - لَفْظَ ﴿ كَلِمَةً ﴾ وقصَدَ بها كلامًا كثيرًا، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الْجُزْءِ، وَإِرَادَةِ الْكُلِّ. فكلمةُ ﴿ كَلِمَةً ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْجُزْءَ، وهو ﴿ كَلِمَةً ﴾، وأرادَ الْكُلَّ، وَهُوَ الْكَلِمَات.

وكذلك قول الشاعر:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي ... فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

ذَكَرَ الشاعر لَفْظَ (قَافِيَةً)، وقَصَدَ بِهِ: قَصِيدَةً، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الْجُزْءِ، وَإِرَادَةِ الْكُلِّ. فكلمةُ (قَافِيَةً) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْجُزْءَ، وهو (قَافِيَةً)، أَيْ: الْحَرْف الأَخِير مِنْ كُلِّ بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ، لَكِنَّهُ أَرَادَ الْكُلَّ، وَهِي الْقَصِيدَةُ.

ومثل: (أَلْقَى الإِمَامُ كَلِمَةً نَالَتْ إِعْجَابَ الْجَمِيعِ).

ذَكَرَ لَفْظَ (كَلِمَةً)، وقَصَدَ بِهِ: خُطْبَةً، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الْجُزْءِ، وَإِرَادَةِ الْكُلِّ. فكلمةُ (كَلِمَةً) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْجُزْءَ، وهو (كَلِمَة)، لَكِنَّهُ أَرَادَ الْكُلَّ، وَهِي الْخُطْبَةُ.

ومثل: (نَشَرَ الْعَدُوُّ عُيُونًا في البلاد).

ذَكَرَ لفظ (عيونا)، وقصده به: الجواسيس، وهذا من باب إطلاق الجزء إرادة الكل. فكلمة (عُيُونًا) مجازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الجُزْءَ، هو (عُيُونًا)، لَكِنَّهُ أَرَادَ الكُلَّ، وَهُو الجَوَاسِيسُ؛ لأنَّ كُلَّ عَيْنٍ جُزْءٌ مِنْ اسُوسِهَا.

٣ - المحلية:

وهِيَ أَنْ يَذْكُرَ المَحَلَّ، وَيُرَادُ مَنْ بِهِ. أو هى أَنْ يَذْكُرَ المَكَانَ، وَيُرَادُ مَنْ فِيهِ، ل قول الله عز وجل: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف: ٨٢].

أَطْلَقَ الله - سبحانه وتعالى - لَفْظَ ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ﴾، ولَمْ يَقْصِدْهَا بِنَفْسِهَا، وَإِنَّمَا صَدَ مَنْ فِيهَا، وَهُمْ أَهْلُ القَرْيَةِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ المَحَلِّ، أَيْ (المَكَان)، إِرَادَةِ مَنْ بِهِ. فكلمةُ ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ المَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ مَكَانَ، وَهُوَ ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ﴾، وَأَرَادَ مَنْ بِهِ، وَهُمْ أَهْلُ القَرْيَةِ.

ومثل: (حَكَمَتِ المَحْكَمَةُ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ).

أَطْلَقَ لَفْظَ (المَحْكَمَةُ)، ولَمْ يَقْصِدْهَا بِنَفْسِهَا، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَنْ فِيهَا، وَهُوَ ضِي المَحْكَمَةِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ المَحَلِّ، أَيْ (المَكَان)، وَإِرَادَةِ مَنْ بِهِ. كلمةُ (المَحْكَمَةُ) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ المَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ المَكَانَ، وَهُوَ لمَحْكَمَةُ)، وَأَرَادَ مَنْ بِهِ، وَهُوَ قَاضِي المَحْكَمَةِ.

ومثل قول الله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ ل عمران: ١٦٧]، أي: ألسنتهم.

أَطْلَقَ الله - سبحانه وتعالى - لَفْظَ ﴿ بِأَفْوَٰهِهِم ﴾ ولَمْ يَقْصِدْهَا بِنَفْسِهَا، وَإِنَّمَا صَدَ مَنْ فِيهَا، وَهِيَ: أَلْسِنَتُهُمْ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ المَحَلِّ، أَيْ (المَكَان)،

وَإِرَادَتِهَا بِهِ كلمة ﴿ بِأَفْوَٰهِهِم ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ المَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ المَكَانَ، وَهُوَ ﴿ بِأَفْوَٰهِهِم ﴾ وَأَرَادَ مَا بِهِ، وَهِيَ أَلْسِنَتُهُمْ؛ لأنَّ القَوْلَ لا يَكُونُ عَادَةً إِلا بِهَا.

ومثل قول الله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [الشرح: ١].

أَطْلَقَ الله - سبحانه وتعالى - لَفْظَ ﴿ صَدْرَكَ ﴾ ولَمْ يَقْصِدْهُ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَا فِيهِ، وَهُو: القَلْبُ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ المَحَلِّ، أَيْ (المَكَان)، وَإِرَادَةِ مَا بِهِ. فكلمةُ ﴿ صَدْرَكَ ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ المَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ المَكَانَ، وَهُوَ ﴿ صَدْرَكَ ﴾، وَأَرَادَ مَا بِهِ، وَهُوَ القَلْبُ.

ومثل: (أَعْلَنَ المَجْلِسُ رَفْعَ رَايَةِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

حَيْثُ ذَكَرَ لَفْظَ (المَجْلِسُ)، ولَمْ يَقْصِدْهُ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَنْ فِيهِ، وَهُمْ: أَهْلُ المَجْلِسِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ المَحَلِّ، أَيْ (المَجْلِسُ)، وَإِرَادَةِ مَنْ بِهِ. فكلمةُ (المَجْلِسُ) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ المَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ المَكَانَ، وَهُوَ (المَجْلِسُ)، وَأَرَادَ مَنْ بِهِ، وَهُمْ أَهْلُ المَجْلِسِ.

٤ - الحالية:

يكون المَجَاز المُرْسَلُ عَلاقَتُهُ الحَالية، عِنْدَمَا تَذْكُرُ مَنْ بالمكانِ، أَوْ مَا فِي المَكَانِ وَلا تُرِيدُهُ، لَكِنْ تُرِيدُ المَكَانَ نَفْسَهُ، مثل: (نَزَلْتُ بالقَوْمِ فَأَكْرَمُونِي).

فـ (نَزَلْتُ بالقَوْمِ)، مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الحَالية، أَيْ: نَزَلْتُ بِدَارِ أَوْ مَكَانِ القَوْمِ؛ حَيْثُ عَبَّرَ عَنِ المَكَانِ بالمَوْجُودِينَ، وَهِيَ عَكْسُ المَجَازِ المُرْسَلِ التِي علاقته المَحَلِّيَّةُ، وَهُوَ كَمَا قُلْنَا: أَنْ يَذْكُرَ المَحَلَّ، وَيُرَادُ مَنْ بِهِ. أو هى أَنْ يَذْكُرَ المَكَانَ، وَيُرَادُ مَنْ فِيهِ.

ومثل: (جَلَسْتُ عَلَى القَهْوَةِ). أى: في المَكَانِ الذِي تُشْرَبُ فِيهِ القَهْوَةُ، لِذَا

فَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْحَالِيَةُ. حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ الْمُحْدثون الْقَهْوَةَ لِلْمَكَانِ الذِي تُشْرَبُ فِيْهِ.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

قوله: ﴿ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ أَيْ فِي جَنَّتِهِ، التِي هِيَ مَحَلُّ الرَّحْمَةِ، لِذَا فَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْحَالِيَةُ؛ حَيْثُ ذَكَرَ الرَّحْمَةَ، وَأَرَادَ مَكَانَهَا، وَهِيَ الْجَنَّةُ.

ومثل: (ذَهَبَ الظَّالِمُ إِلَى مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ).

فَـ (إِلَى مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ)، مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْحَالِيَة، أَيْ: ذَهَبَ الظَّالِمُ إِلَى مَكَانِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ «الْقَبْرِ» ؛ حَيْثُ عَبَّرَ عَنِ الْمَكَانِ بِالْمَوْجُودِينَ.

٥ - الْمُجَاوَرَةُ:

وهي أَنْ يَكُونَ الشَّيءُ مُجَاوِرًا لِغَيْرِهِ فَيُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُهُ.

مِثْلُ: (طَعَنْتُ بِالرُّمْحِ ثِيَابَهُ)، أي: جِسْمَهُ، حَيْثُ ذَكَرَ لَفْظَ (ثِيَابَهُ)، ولَمْ يَقْصِدْهُ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَا يُجَاوِرُهُ، وَهُو: الْجِسْمُ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلاقِ الشَّيءِ عَلَى مَا يُجَاوِرُهُ، أَيْ (الْجِسْم).

ومثل قول الله: ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الطور: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا ﴾ أَيْ يَتَجَاذَبُونَهَا فِي الْجَنَّةِ هُمْ وَجُلَسَاؤُهُمْ تَجَاذُبَ مَلاعَبَةٍ، لِشِدَّةِ سُرُورِهِمْ، التنازع مَجَازٌ عَنِ التَّعَاطِي، وَالْكَأْسُ مُؤَنَّثٌ سَمَاعِيٌّ كَالْخَمْرِ، وَلا تُسَمَّى كَأْسًا عَلَى الْمَشْهُورِ إِلا إِذَا امْتَلأَتْ خَمْرًا، وَقَدْ تُطْلَقُ عَلَى الْخَمْرِ نَفْسِهَا مَجَازًا لِعَلاقَةِ الْمُجَاوَرَةِ.

وَمِثْلُ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا وُضِعَتْ الْجِنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُونِي

قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ» رواه البخاري.

«الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ»: أي عَلَى أَكْتَافِهِمْ الْمُقَارَبَةِ لأَعْنَاقِهِمْ، ففيه مَجَازٌ مُرسَلٌ عَلاقَتُهُ الْمُجَاوَرَةُ.

٦ - السببية:

وَهِيَ أَنْ يُذْكَرَ السَّبَبُ، وَيُرَادُ الْمُسَبَّبُ. أَوْ أَنْ نُعَبِّرَ بِذِكْرِ السَّبَبِ لِلدَّلالَةِ عَلَى النَّتِيجَةِ، مثل قولك: (هَذَا الظَّالِمُ لَهُ يَدٌ فِي هَذَا الْفَسَادِ) فكلمة (يَدٌ) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عَلاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ، وَالْمُرَادُ: هَذَا الظَّالِمُ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي هَذَا الْفَسَادِ؛ لأَنَّ التَّأْثِيرَ يَصْدُرُ عَنِ الْيَدِ.

ومثل: (لِلأَبِ عَلَى أَبْنَائِهِ أَيَادٍ كَثِيرَةٌ) فكلمة (أَيَاد) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عَلاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ، والْمُرَادُ بـ(أَيَادٍ) هِيَ النِّعَمُ؛ لأَنَّ النِّعْمَةَ تَصْدُرُ عَنِ الْيَدِ، فَالْيَدُ هِيَ سَبَبُ النِّعْمَةِ.

ومثل: (رَعَتْ إِبِلِي الْمَطَرَ)، أَيْ: الْكَلأَ وَالْحَشَائِش وَالنَّبَات.

فَالْمَطَرُ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ؛ لأَنَّهُ سَبَبُ الْكَلأَ وَالْحَشَائِشِ وَالنَّبَاتِ...، فَكُلُّ هَذَا نَاتِجٌ عَنِ الْمَطَرِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

ومثل قول الله: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد: ٤].

عَبَّرَ الْقُرآنُ الْكَرِيمُ عَنِ الْقَتْلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ فِي هَذِه الْعِبَارَةِ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالشِّدَّةِ مَا لَيْسَ فِي لَفْظِ (الْقَتْلِ) لِمَا فِيْهِ مِنْ تَصْوِيرِ الْقَتْلِ بِأَبْشَعِ صُوْرَةٍ، وَهُوَ حَزُّ الْعُنُقِ وَقَطْعُ الْعُضْوِ الذِي هُوَ رَأْسُ الْبَدَنِ، وَمَجْمَعُ حَوَاسِّهِ، وَلَوْ قَالَ: (فَاقْتُلُوهُمْ) لَمَا كَانَ هَذَا الْمَعْنَى الدَّقِيق.

وَالتَّعْبِيرُ أَيْضًا: يُوحِي بِشُجَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ كَأَنَّهُمْ مُتَمَكِّنُونَ

السَّبَبِيَّة؛ لأنَّ ضَرْبَ الرَّقَبَةِ سَبَبُ الْـمَوْتِ.

٧ - الْـمُسَبَّبِيَّة:

وَهِيَ أَنْ يَذْكُرَ الْـمُسَبَّبَ، وَيُرِيدُ السَّبَبَ، مثل قول الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [غافر: ١٣].

عَبَّرَ الله - سبحانه وتعالى - بالرِّزْقِ عَنِ الْـمَطَرِ؛ لأَنَّ الرِّزْقَ مُسَبَّبٌ عَنِ الْـمَطَرِ، وَالْـمَطَرُ هُوَ السَّبَبُ. فَقَوْلُهُ ﴿ رِزْقًا ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْـمُسَبَّبِيَّة؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ الْـمُسَبَّبَ، وَأَرَادَ السَّبَبَ.

ومثل: (أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا)، أَيْ: أَمْطَرَتْ مَطَرًا سَبَبَ نُمُوَّ النَّبَاتِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاءَ لا تُمْطِرُ نَبَاتًا، لَكِنْ تُمْطِرُ مَاءً يُسَبِّبُ نُمُوَّ النَّبَاتَ؛ وَذَكَرَ هُنَا الْـمُسَبَّبَ، وَأَرَادَ السَّبَبَ؛ لِذَا فَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ الْـمُسَبَّبِيَّةُ.

ومثل ذلك قول الله: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

فَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاءَ لا يَنْزِلُ مِنْهَا (اللِّبَاسُ) مُبَاشَرَةً، لَكِنْ يَنْزِلُ الْـمَاءُ الَّذِي يُسَبِّبُ الْـمَلابِسَ، فهو مجاز مرسل أيضًا، علاقته الْـمُسَبَّبِيَّة.

٨ - اعتبار ما كان:

وذلك حينما يُذْكَرُ الْـمَاضِي فِي الْـحَاضِرِ. أَوِ النَّظَرُ إِلَى الشَّيْءِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الْـمَاضِي، مثل قول الله: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء: ٢]، أي: آتُوا الْـبَالِغِينَ أَمْوَالَهُمْ، ونَجِدُ أَنَّ الْـيَتِيمَ في اللغة هو الصغير الذي مات أبوه، فهل تظن أنَّ الله - سبحانه - يأمر بإعطاءِ اليتامَى الصغار أموال آبائهم ؟

هذا غيرُ معقولٍ، بل الواقعُ أنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بإعطاءِ الأموالِ مَنْ وَصَلُوا سِنَّ الرُّشْدِ بَعْدَ كَانُوا يَتَامَى، فكلمة اليتامى هنا مجاز لأنها استعملت في الراشدين والعلاقةُ اعتبار ما كانَ.

فليس الْـمُرَادُ باليتامى الْـمَعْنَى الْـحَقِيقِي، أي الطفل الذي مات أبوه؛ إِذْ لا يأْمُرُنا الله بدفع الْـمَالِ إليهم، وتمكينهم منها للتصرف فيها؛ لأن ذلك لا يكون إلا بعد البلوغ، حتى يُحْسِنَ التصرف فيما يدفع إليهم من أموال آبائهم. ومن لم يَبْلُغْ لا يُعْطَى مَالُهُ، كما قال الله: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء: ٦].

ما الحكمة من أن الله سبحانه يعبر باليتيم عن البالغ ؟

الْـحِكمة: هذا مِنْ أجلِ اسْتِعْطَافِ الأَوْلِيَاءِ وَاسْتِرْحَامِهِمْ، حتى يُؤَدُّوا الأموالَ إِلَى أهلِها، فكأنَّه قال: اذْكُرُوا يُتْمَهُمْ وَأَعْطُوهُمْ أَمْوَالَهُمْ.

ومثل قولنا: (أَشْرَحُ لأَطْفَالٍ فِي الْـجَامِعَةِ) فكلمة (أطفال) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عَلاقَتُهُ اعْتِبَارُ مَا كَانَ، أي: كَانُوا أَطْفَالًا فِي الْـمَاضِي، فَهَذَا ذِكْرُ الْـمَاضِي فِي الْـحَاضِرِ.

ومثل: (يَلْبَسُ الْـمِصْرِيُّونَ الْـقُطْنَ).

غير معقول أن يلبس الْـمصريون القطن بصورته الأولَى، أى: الْـمادة الْـخام؛ بل الواقع أن يَلْبَسَ الْـمِصْرِيُونَ الْـقُطْنَ بعد تنظيفه وتصنيعِه ونَسْجِهِ، لذا فهذا مجاز مرسل، علاقته اعتبار ما كان؛ لأنه ذَكَرَ الْـمَاضِي فى الْـحَاضر.

٩ - اعتبار ما سيكون:

وذلك حينما يُذْكَرُ الْـمُسْتَقْبَلُ فِي الْـحَاضِرِ، أَوْ عِنْدَمَا تَتَكَلَّمُ عَنِ الْـمُسْتَقْبَلِ فِى الْـوَقْتِ الْـحَالِي، مثل قَوْلِ الأُمِّ لِرَضِيعِهَا: (أُرْضِعُ عَالِمًا).

غَيْرُ مَعْقُولٍ أَنْ تُرْضِعَ الأُمُّ عَالِمًا؛ بلِ الواقعُ أن تُرْضِعَ الأُمُّ طِفْلًا رَضِيعًا، لذا

فهذا مجازٌ مُرسلٌ، علاقتُهُ اعتبارُ ما سيكون؛ لأنه ذَكَرَ الـمُسْتَقْبَل فى الزمَنِ الْـحَاضِرِ، أى سيكونُ عالِمًا.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [نوح: ٢٧].

فقوله: ﴿ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ مجازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ اعتبار ما سيكون، حيث ذكر نوح عليه السلام أن أولادَ الكفارِ كَفَرَةٌ فَجَرَةٌ لَحْظَةَ الْـمِيلادِ، والطفلُ لا يُوصَفُ بالكُفْرِ؛ لأنَّ كلَّ مولودٍ يُولَدُ عَلَى الفطرة، أى الإسلام. فَالْـمَوْلُودُ حِينَ يُولَدُ لا يَكُونَ فَاجِرًا وَلا كَفَّارًا، ولكنه قد يكونُ كذلك بعد الطفولة، فأُطْلِقَ الْـمَوْلُودُ الْـفَاجِرُ، وَأُرِيدَ بِهِ الرَّجُلُ الْـفَاجِرُ، ولكن الآية أرادت ماسيكون عليه نسل الكفار.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْـفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْـبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْـبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ**» رواه البخارى.

وكذا قولك: (غَرَسْتُ قُطْنًا فِي الأَرْضِ).

ففي قوله: (قُطْنًا) مجازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ اعْتِبَارُ مَا سَيَكُونُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْـقُطْنَ، وَلَيْسَ مِنَ الْـمَعْقُولِ أَنْ يُغْرَسَ الْـقُطْنُ، لَكِنْ تُغْرَسُ بُذُورُه.

ومثل: (شَرِبْتُ فَرَاوِلَةً).

ففي قوله: (فَرَاوِلَةً) مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاقَتُهُ اعْتِبَارُ مَا سَيَكُونُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْـفَرَاولة)، وَهِيَ تُأْكَلُ وَلا تُشْرَبُ مُبَاشَرَةً، فَلَيْسَ مِنَ الْـمَعْقُولِ أَنْ تُشْرَبَ قَبْلَ نَضْرِهَا.

ومثل: (شَرِبْتُ قَصَبًا)، ففي قوله: (قَصَبًا) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عَلاقَتُهُ اعْتِبَارُ مَا يَكُونُ، حَيْثُ ذَكَرَ (الْـقَصَب)، وَهُوَ يُأْكَلُ وَلا يُشْرَبُ مُبَاشَرَةً، فَلَيْسَ مِنَ الْـمَعْقُولِ أَنْ يُشْرَبَ قَبْلَ عَصْرِهِ.

ومثل: (لَبِسْتُ قُطْنًا)، ففي قوله: (قطنًا) مجاز مُرْسَل، عَلاقتهُ اعْتِبارُ مَا سَيَكُونُ، حَيْثُ ذَكَرَ (الْـقُطْن)، وَهُوَ لا يُلْبَسُ مُبَاشَرَةً، فَلَيْسَ مِنَ الْـمَعْقُولِ أَنْ يُلْبَسَ قَبْلَ تَنْظِيفِهِ وَحَلْجِهِ وَصُنْعِهِ.

١٠ – الضدية:

فقد يُطْلَق اللّفظ للدلالة به على ضدّ معناه، ومن الأغراض الداعية لهذا الإطلاق الاستهزاء والسخرية والتهكم، مثل: أن يقول السلطانُ لِجُنُودِه: (خُذُوا هذا اللصَّ فَأَكْرِمُوهُ فِي السِّجْنِ) أي: فَاضْرِبُوهُ وَعَذِّبُوهُ.

فهذا من استعمال الضدّ للدلالة به على ضدّه.

ومثل قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [آل عمران: ٢١].

حيث ذكرت الآيةُ البِشَارَةَ بالعَذَابِ، وَالبِشَارَةُ لا تَكُونَ إلا فِي الأَخْبَارِ السَّارةِ، وَلَعَلَّ الْـغَرَضَ من ذلك هو إيلامُ هؤلاءِ الْـكُفَّارِ الْـمُعَانِدِينَ، وَإِلْقَاءُ الْـحَيْرَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَعَبَّرَتْ فِي الْـبِدَايَةِ بالبِشَارَةِ، مِمَّا جَعَلَهُمْ يَتَشَوَّقُونَ إِلَى مَعْرِفَةِ خَبَرٍ سَارٍّ، ثُمَّ أَخْلَفَ ظُنُونَهُمْ، وَأَلْقَتْ عَلَيْهِمْ خَبَرًا لا سُرُورَ فِيهِ، وَإِنَّمَا كُلُّهُ حَسْرَةٌ وَنَدَمٌ.

فقد خلفت الآية ما أرادته عَلَى مَرَّتَيْنِ لا مَرَّة واحدة، زِيَادَةٍ فِي الإِيلامِ وَالاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِية.

وتلك أشهر علاقات الْـمَجَازِ الْـمُرْسَلِ، وقد ذكر علماء البلاغة عدة علاقات أخرى، ولكن بالنظر في هذه العلاقات وُجِدَ أنها داخلة في بعض العلاقات التي تقدمت مما دعانا إلى عدم التعرض لذكرها.

فَوَائِدُ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ

إذا تأملت أنواع الْمَجَاز الْمرسل رأيت أنها في الغالب تؤدي المعنَى الْمَقْصُود بإيْجَازٍ، فإذا قلت: «هَزَمَ الْقَائِدُ الْجَيْشَ» أو «قَرَّرَ الْمَجْلِسُ كَذَا» كان ذلك أَوْجَزَ من أنْ تقول: «هَزَمَ جُنُودُ الْقَائِدِ الْجَيْشَ»، أو «قَرَّرَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ كَذَا»، ولا شكَّ أنَّ الإِيْجَازَ ضَرْبٌ من ضُرُوبِ البلاغة.

وهناك مظهر آخر للبلاغة في هذا الْمَجَازِ هو الْمَهَارَةُ في تَخَيُّرِ العلاقة بين المعنَى الأصلي والْمَعْنَى الْمَجَازِيِّ، بِحَيْثُ يكون الْمَجَازُ مُصورًا للمعنى المقصود خيرَ تصويرٍ كما في إطلاق العين على الجاسوس، والأذن على سريع الوشاية.

وقلت النظر رأيت أنَّ أَغْلَبَ ضُرُوبِ الْمَجَاز الْمُرْسَلِ لا تَخْلُو من فائدة ذات أثر في جعل الْمَجَازِ رَائِعًا خَلاَّبًا، فإطلاقُ الكلِّ على الجزء أو إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما إذا قلت: «فلان فم» تريد أنه شَرِهٌ في الطعام.

المرسل فوائدُ بلاغية:

ز والاختصار.

اء بالمعنى لتوضيحه وتقويته.

ع الأدبى فى ابتكار المعانى ومعرفة علاقاتها.

تدريبات

(١) أَخْرِجْ الْمَجَازَ الْمُرْسَلَ مما يلي وبين علاقته:

١ - دعا طارقٌ فَصْلَهُ على الغداء.

٢ - الله ينزل من السماء الرزق.

٣ - قول الله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾ [الشرح: ١].

٤ - أذاعت الوزارة نتيجة الثانوية العامة، وقد نجحت مدرستي.

٥ - للمعلمين علينا أيادٍ كثيرة.

٦ - اشتريت من السوق عنبًا وتفاحًا.

٧ - ينبغي أن تعطي اليتامي أموالهم كما أمر الله.

٨ - بشر الظالم بالهلاك والنهاية السوداء.

٩ - أَنْذِرْ الْمُؤْمِنِينَ بالْجَنَّةِ.

١٠ - قول عنترة:

فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيَابَهُ ... لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ

١١ - قول الله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ ﴾ [التوبة: ٣٤].

١٢ - خرجت المدرسة في الثانية بعد الظهر.

١٣ - قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧ ﴾ [نوح: ٢٧].

١٤ - شرح الأطفال في الثانوية.

١٥ - نشر العدو عيونًا في البلاد.

١٦ - سَكَنْتُ مِصْرَ.

١٧ - أسأل الله أن يريح صدرك.

١٨ - شربت بُرْتُقَالًا.

١٩ - يدخل المؤمنون في رحمة الله يوم القيامة.

٢٠ - حَكَمَتِ الْمَحْكَمَةُ بِبَرَاءَةِ الْمُتَّهَمِ.

(٢) بين كل مجاز مرسل، وعلاقته فيما يلي مع ذكر الفائدة البلاغية:

١ - نحن نركب البحر عند السفر.

٢ - قول الله: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ [التوبة: ٦١].

٣ - شَرِبْتُ مَاءَ النِّيلِ.

٤ - قول الله: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء: ٢].

٥ - كَرَّمَتْنِي بلادِي.

٦ - تُنْبِتُ أَرْضُ مِصْرَ ذَهَبًا.

٧ - قَرَّرَتِ الْجَامِعَةُ فَصْلَ الطَّالِبِ فلان.

٨ - زُرْتُ الضيوفَ فأكرموني.

٩ - أطلق قائد الْجَيْشِ عيونه لِمَعْرِفَةِ أسرار الأعداء.

١٠ - أشرح لأطباء ومدرسين ومهندسين في الثانوية.

(٣) اجعل الكلمات التالية مَجَازًا مُرْسَلًا حسب العلاقة التي أمامها في جمل:

قويسنا	المحليَّة
عين	الجزئية
يد	السببية
العنب	اعتبار ما سيكون

(٤) - اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١ - (وضعت قدمي على أرض مصر) مجاز علاقته:

(الجزئية - الكلية - المحلية).

٢ - (ندعو الله أن يرحم هذه القبور) مجاز علاقته:

(الحالية - المحلية - الكلية).

٣- (ضحكت أزهار الحديقة). صورة نوعها:

(مجاز مرسل - تشبيه - استعارة).

(٥) بين ما في الأبيات من مجاز مرسل مع ذكر العلاقات:

١ - قول جرير:

فَلا صَلَّى الإِلَهُ عَلَى نُمَيْرٍ ... وَلا سُقِيَتْ قُبُورُهُمُ السَّحَابَا

٢ - يقول الفرزدق ردًّا على جرير:

وَلَمْ تَرِثِ الْفَوَارِسَ مِنْ نُمَيْرٍ ... وَلا كَعْبًا وَرِثْتَ وَلا كِلابَا

٣ - قول أبي تمام:

نَزَلَتْ مُقَدِّمَةُ الْمَصِيفِ حَمِيدَةً ... وَيَدُ الشِّتَاءِ جَدِيدَةٌ لا تُنْكَرُ

٤ - قول ابن زيدون:

هَلْ تذْكُرُونَ غَرِيبًا عَادَهُ شَجَنُ ... مِنْ ذِكْرِكُمْ وَجَفَا أَجْفَانَهُ الْوَسَنُ؟

يُخْفِي لَوَاعِجَهُ وَالشَّوْقُ يَفْضَحُهُ ... فَقَدْ تَسَاوَى لَدَيْهِ السِّرُّ وَالْعَلَنُ

٥ - قول ابن رشيق القيرواني:

كَانَتْ تُعَدُّ الْقَيْرَوَانُ بِهِمْ ... إِذَا عُدَّ الْمَنَابِرُ زَهْرَةَ الْبُلْدَانِ

٦ - قول ابن سناء الملك:

أَلِفْتَ دِيَارَ الْكُفْرِ غَزْوًا فَقَدْ غَدَا ... جَوَادُكَ إِذْ يَأْتِي إِلَيْهَا يُحَمْحِمُ

٧ - قول شوقي:

شَهِدَ اللَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ جُفُونِي ... شَخْصُهُ سَاعَةً وَلَمْ يَخْلُ حِسِّي

(٦) ما الأثر البلاغي للمجاز المرسل؟

تدريبات عامة على علم البيان

(١) عين اللون البياني فيما يلي:

١ - قول الشاعر:

الْعُمْرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أَوْ ... كَالطَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَة

٢ - محمد كالأسد.

٣ - محمد أسدٌ في الشجاعة.

٤ - تَكَلَّمَ أَسَدٌ فَوْقَ الْمِنْبَرِ.

٥ - رَأَيْتُ أَسَدًا عَلَى فَرَسِهِ.

٦ - قوله عز وجل: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الصف: ٨].

٧ - قوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٨ - أَبْصَرْتُ قَمَرًا يُنَظِّفُ الْبَيْتَ.

٩ - قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٤].

١٠ - بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَى الشَّهِيدِ

١١ - جُنُودُنَا يَفْتَرِسُونَ الأَعْدَاءَ.

١٢ - قول الشاعر:

نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِيـ ... ـنٌ حَقِيرٌ فَصَالَ تِيهًا وَعَرْبَدْ

الْـكِنَايَةُ

الكناية في اللغة:

هي أَنْ تَتكَلَّمَ بِشَيءٍ وَتُرِيدُ غَيْرَهُ، يُقَالُ لُغةً: كَنَى عَن الأمْر بغيره يَكْنِي كِنَايَةً، أي: تكلّم بغيره ممّا يُسْتَدَلُّ به عليه.

ويُقَالُ: تَكنَّى إذَا تَسَتَّرَ، مِنْ كَنَى عَنْهُ إذا وَرَّى.

فأصل الكناية تَرْكُ التصريح بالشيء، وسَتْرُهُ بحجابٍ ما، معَ إرادةِ التعريف به بصورة فيها إخفاءٌ ما بحجابٍ غير ساترٍ سِتْرًا كاملًا.

الكناية في الاصطلاح:

هي إِخْفَاءُ الْـمَعْنَى مَعَ ذِكْرِ الدَّلِيلِ وَالْـإِشَارَةِ عَلَيْهِ، مثل: الرَّفَث وَالغَائِطِ.

أو اللَّفظُ الَّذي استَتَرَ مَعْنَاهُ وَاخْتَفَى، ولاَ يُفْهَمُ إلاَّ بقَرِينَةٍ.

مثال: (زَيْدٌ أَنْفُهُ فِي السَّمَاءِ) فَإِنَّ ذلك كِنَايَةٌ عَنِ (الْـكِبْرِ)، فإِنَّهُ هُنَا قَدْ أَخْفَى الْـمَعْنَى، وذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ؛ لأنه لم يَقُلْ: (زَيْدٌ مُتَكَبِّرٌ)؛ بل قال:«أَنْفُهُ فِي السَّمَاءِ» ؛ دَلِيلًا عَلَى المعنَى الذي أَخْفَاهُ، أى الكبر.

مثال: (يَوْمَ ظُهُورِ النَّتِيجَةِ يَعَضُّ الرَّاسِبُ عَلَى أَنَامِلِهِ قَائِلًا يَا لَيْتَنِي اجْتَهَدْتُ فِي دَرَاسَتِي) فَإِنَّ هَذَا الْـكَلامَ كِنَايَةٌ عَنِ (النَّدَمِ)، فَإِنَّهُ هُنَا قَدْ أَخْفَى الْـمَعْنَى، وَذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: (الرَّاسِبُ نَادِمٌ)؛ بل قال: (يَعَضُّ الرَّاسِبُ عَلَى أَنَامِلِهِ)؛ دَلِيلًا عَلَى الْـمَعْنَى الذي أَخْفَاهُ، أى الندم.

ومثلُ: كناياتِ الطَّلاقِ، وهيَ الألفاظُ الَّتي لا تدلُّ بلفظِهَا على الطَّلاقِ،

حَرَامٌ)، أو (اذْهَبِي فَتَزَوَّجِي مَنْ شِئْتِ)، أو: (خَلَّيْتُ سَبِيلَكِ)، أو: (انْتَهَى مَا بَيْنَنَا)، أو غير ذلك من الألفاظِ ممَّا هو ليسَ بصريحٍ في الطَّلاقِ.

حكمها:

لا يترتَّبُ على الكنايةِ أثرٌ بمجرَّدِ اللَّفظِ حتَّى يقترنَ بالنيَّةِ.

فلو قالَ رجلٌ لزوجتِهِ: (خَلَّيْتُ سبيلَكِ) لم يدلَّ بنفسهِ على الطَّلاقِ حتَّى يقترنَ بنيَّةٍ، ولهُ أن يقولَ: (لم أقصِدِ الطَّلاقَ)، فيُصدَّقُ بدَعواهُ.

أقسام الكناية:

أ – كناية عن صفة:

وهي إِخْفَاءُ الصِّفَةِ مَعَ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَيْهَا.

مثل: اصْفَرَّ وَجْهُ الطَّالِبِ عِنْدَ الامْتِحَانِ. (كناية عن الْخَوْفِ).

حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (اِصْفِرَارِ الْوَجْهِ) كِنَايَةً عَنِ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ.

احْمَرَّ وَجْهُ الْفَتَاةِ عِنْدَمَا رَأَتْ رَجُلًا. (كناية عن الْحَيَاءِ).

حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (اِحْمِرَارِ الْوَجْهِ) كِنَايَةً عَنِ الْحَيَاءِ وَالْخَجَلِ.

مُحَمَّدٌ بَيْتُهُ مَفْتُوحٌ. (كناية عن الْكَرَمِ).

حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (بَيْتُهُ مَفْتُوحٌ) كِنَايَةً عَنِ الْكَرَمِ وَالسَّخَاءِ.

طَارِقٌ نَظِيفُ الْيَدِ. (كِنَايَةٌ عَنِ العِفَّةِ وَالأَمَانَةِ).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (نَظَافَة الْيَدِ) كِنَايَةً عَنِ الطَّهَارَةِ والعِفَّةِ وَالأَمَانَةِ.

الْوَزِيرُ بَطْنُهُ كَبِيرٌ. (كناية عن الْجَشَعِ وَالطَّمَعِ).

حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ الْبَطْنِ كِنَايَةً عَنِ الْجَشَعِ وَالطَّمَعِ وَظُلْمِ النَّاسِ بِأَكْلِ أَمْوَالِهِمْ بِالْبَاطِلِ.

والأصلُ في هذه الكنايةِ أنَّ الشَّرِهِينَ فِي الطَّعَامِ الَّذين يأكلونَ كَثِيرًا تَكْبُرُ بُطُونُهُمْ، والشَّرَهُ في الطَّعَامِ كَثِيرًا مَا يُصَاحِبُهُ شَرَهٌ مُشَابِهٌ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَكَنْزِهِ، وَهَذَا يَدْفَعُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْوَالِ إِلَى كَسْبِ الْمَالِ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف: ٤٢].

حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) كِنَايَةً عَنِ الْكَرَمِ وَالسَّخَاءِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩].

حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (يَدَكَ مَغْلُولَة) كِنَايَةً عَنِ الشُّحِّ والْبُخْلِ، كَمَا يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (تَبْسُطَهَا كُلَّ الْبَسْطِ) كِنَايَةً عَنِ التَّبْذِيرِ وَالإِسْرَافِ.

ب – كناية عن موصوف:

وَهِيَ إِخْفَاءُ الْمَوْصُوفِ مَعَ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ.

مثل: ضَرَبْتُهُ فِي مَوْطِنِ الأَسْرَارِ. (كناية عن القلب).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (مَوْطِنِ الأَسْرَارِ) كِنَايَةً عَن مَوْصُوفٍ، وهو الْقَلْبُ.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ. (كناية عن ذات، وهو الله سبحانه).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ) كِنَايَةَ ذَاتٍ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نَحْنُ أَبْنَاءُ النِّيلِ. (كِنَايَة عَنْ مَوْصُوفٍ، وَهُوَالْوَطَنُ مِصْر).

(حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (أَلْوَاحَ النِّيلِ) كِنَايَةً عَنْ مَوْصُوفٍ، وَهُوَ الوَطَنُ مِصْر.

وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (كِنَايَة عَنْ مَوْصُوفٍ، وَهُوَالسفينة).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) كِنَايَةً عَنْ مَوْصُوفٍ، السَّفِينَة.

جَاءَ قَابِضُ يَدِهِ.(كِنَايَة عَنْ مَوْصُوفٍ، أي: جَاءَ الْبَخِيلُ).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (قَابِضُ يَدِهِ) كِنَايَةً عَنْ مَوْصُوفٍ، الْبَخِيل.

وكما يُقَالُ: (الصِّدِّيقُ) كِنَايَةٌ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ.

وكذلك (الفَارُوقُ) كِنَايَةٌ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ.

وأيضًا (أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّة)، كِنَايَةٌ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ.

وَكَذَلِكَ (سَيْفُ اللَّـهِ الْمَسْلُول)، كِنَايَةٌ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُ.

كما تقولُ: (النَّاطِقِينَ بالضَّادِ) كِنَايَةٌ عَنِ الْعَرَبِ.

وَأَيْضًا تقول:(أَرْضُ الْكِنَانَةِ)، كِنَايَةٌ عَنْ مِصْرَ.

وَأَيْضًا (دَارُ السَّلامِ) كِنَايَةٌ عَنْ بَغْدَادَ.

و(طيبةُ) كِنَايَةٌ عَنِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ.

و(أَبُو الأَنْبِيَاءِ) كِنَايَةٌ عَنْ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

و(خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ) كِنَايَةٌ عَنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

و(كَلِيمُ اللَّـهِ) كِنَايَةٌ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

و(رُوحُ اللَّـهِ) كِنَايَةٌ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

ج - كناية عن نسبة لموصوف.

وهي أن تذكر الصِّفَةَ وَالْمَوْصُوفَ، وتَذْكُرُ الدَّلِيلَ عَلَى اخْتِصَاصِ الصِّفَةِ بالْمَوْصُوفِ، مثل:

سَارَ الْكَرَمُ خَلْفَ عُثْمَانَ.	(كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْكَرَمِ لِعُثْمَانَ).
الْعَدْلُ فِي رِكَابِ عُمَرَ.	(كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْعَدْلِ لِعُمَرَ).
مَشَى الْعِلْمُ خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ.	(كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْعِلْمِ لابْنِ عَبَّاسٍ).
تَتَبَّعَ الْحَيَاءُ خُطُوَاتِ مَرْيَمَ.	(كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْحَيَاءِ لِمَرْيَمَ).
الصِّدْقُ فِي لِسَانِهِ.	(كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الصِّدقِ لِلِسَانِهِ).
الأَدَبُ حَوْلَ الطَّالِبِ.	(كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الأَدَبِ لِلطَّالِبِ).

وقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر: ٤١].

كناية عن نِسْبَةِ إِمْدَادِهِ لَهَا بِالبَقَاءِ فِي الْوُجُودِ، كَالْكَهرباءِ لِبَقَاءِ النُّورِ فِي الْمِصْبَاحِ الكهربائي إذا انْقَطَعَ إِمْدَادُهُ انْعَدَمَ النُّورُ مِنْهُ، وللَّـهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى.

الملاحظات:

١ - يجوز أن يجتمع لونان بيانيان في مثالٍ واحدٍ.

مثل: (الذِينَ يُدَافِعُونَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ مِثْلُ الأُرْزِ) حيثُ يَصْلُحُ هذا الْمِثَالُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنِ الْكَثْرَةِ، كَمَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ تَشْبِيهًا مُجْمَلًا.

ومثل قول الشاعر:

أَصَبْرًا عَلَى مَسِّ الْهَوَانِ وَأَنْتُمُ ... عَدِيدُ الْحَصَى؟ إِنِّي إِلَى اللَّـهِ رَاجِعُ

حيثُ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ هذا التعبيرُ كِنَايَةً عَنِ الْكَثْرَةِ، وَيَكُونُ تَشْبِيهًا بَلِيغًا.

٢ - كُلُّ كِنَايَةٍ عَنْ نِسْبَةٍ تُعَدُّ اسْتِعَارَةً مَكْنِيَّةً وَلَيْسَ الْعَكْس.

مواضع (سلة الكرم خلف الدكان) هذا التعبير كناية عن نسبة الكرم لثمانك تقدم، ويصلح أيضًا أن يكون استعارة مكنية، حيث شبه الكرم بإنسان يسير، وسر جمال الاستعارة هنا التشخيص.

٣ - نفرق بين الاستعارة والكناية، أن الاستعارة لا يقصد معناها الحقيقي لوجود المانع، غير أن الكناية لا مانع فيها من المعنى الحقيقي لعدم وجود المانع، ويتضح ذلك من المثال التالي:

حين تصف إنسانًا بأنه لص، فإنك تقول: (فلانٌ يدُهُ طويلةٌ) فإذا رأيت أن قولك هذا يسبب لك مشكلة استطعت أن تقول: إني أريد المعنى الحقيقي، وهو أنه طويل اليد فعلًا مقارنة بيدي.

ومما تقدم نجد أن الكناية قد يراد منها المعنى الحقيقي أو المعنى الذي أردنا أن نكني به. أما الاستعارة فلا يقصد بها معناها الحقيقي أبدًا لوجود مانع، مثل قولك: (تكلم أسدٌ في الفصل) فلا يمكن أن نقول: إن أسدًا يتكلم.

٤ - الكناية تعبيرٌ وجداني يختلف من بيئة إلى أخرى، فمثلًا كان العرب يكنون عن طول الليل بقولهم (ليلٌ بطيءُ الكواكب)، واليوم نقول: (إن عقارب الساعة لا تتحرك).

الفائدة البلاغية للكناية

للكناية فوائد بلاغية وجمالية، وذلك أنها تأتي بالمعنى مصحوبًا بالدليل في إيجاز وتجسيم، وفيه إقناع وإمتاع.

أسلوب الكناية:

الكناية أسلوبٌ ذكيٌّ من أساليب التعبير عن المراد غير مباشرة، وهي من أبدع وأجمل فنون الأدب، ولا يستطيعُ تَصَيُّدَ الجميلِ النادرِ منها، ووضعَهُ في

مواضع الملائم لمقتضى الحال أذكى البلغاء فطنة، وأشد تعبير يريدون التعبير عنه بطرق جميلة بديعة غير مباشرة.

إنَّ الذكيَّ اللماح إذا أراد أن يتحدث عن شيءٍ ما، صفةً كان، أو موصوفًا، أو نسبةً حكميّة، جال ذهنُهُ ليدُلَّ على ما يُريد التعبير عنه بطريقة غير مباشرة، وطاف حول محيط ذلك الشيء لينتقي ممّا يلاحظ ما يُدلُّ به عليه، فيُبْعِدُ حينًا، ويقْرُبُ حينًا، ويتوسطُ حينًا آخر، ويستبْعِدُ ما لا يَراه حسنًا جميلًا، ومَا لاَ يرى دلالته مناسبةً لمقتضى الحال.

إنَّهُ يُريدُ مثلًا أنْ يتحدّث عن السّاحرات، فيَرَى من خَصَائِصِهِنَّ أنَّهُنَّ يَعْقِدْنَ الْخُيُوطِ، وتتحرَّكُ أَلْسِنَتُهُنَّ بِهَمْهَماتٍ وَغَمْغَمات، ويَنْفُثْنَ فِي الْعُقَدِ، فيَدُلُّ عليهنَّ بعبارة: (النَّفَّاثات في الْعُقَد) على سبيلِ الكنايةِ التي تدلُّ على المعنى المراد بطريقٍ غير مباشر.

ويريد مثلًا أن يتحدّثَ عن البخيلِ، ولكنْ لا يستَحْسِنُ استعمال لفظة (البخيل) في كلامِهِ؛ لأنّ دلالتها دلالةٌ مباشرة، وليس فيها إبداعٌ فكريّ، فيلاحظ أنّ من سِمَات البخيل قبض يَدَيْه عن العطاء، فيكنّى عن الْبُخْل بعبارة (قبض اليدين)، أو (قَبَضَ الْيَدَ) ويكنّى عنِ البخيل بعبارة (قابض اليدين)، أو (قابض اليد) وعبارة (قبض الْيَد) أدقّ؛ لأنّ العطاء يكون بيد واحدة في الناس.

ويريدُ أن يتحدَّثَ عن شديد الْبُخْلِ الّذِي لا يستطيعُ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ بعطاء، فيكنّي بعبارة: (مَغْلُول الْيَدِ إلى العُنق)؛ لأنّ من كانت يدُهُ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِهِ كان غيرَ قادرٍ على أن يَبْسُطَهَا لو أراد بَسْطَهَا ويُعْطِي بِهَا أو يَأْخُذ، وكذلك الشحيحُ الذي يكون بُخْلُهُ شديدًا، تكون حالةُ يدِهِ الّتي يعطي بها عادةً مع شُحّ نفسِهِ، كَحَالَةِ مَنْ غُلَّتْ يَدُهُ إلى عُنُقِه.

هذا التعبيرُ اشتمَلَ على مَزْجِ الكنايةِ بتشبيهٍ ضِمْنِيٍّ، وتقديم ذلك بعبارةٍ جَمِيلَةٍ بَدِيعَةٍ تَدُلُّ على الْمَقْصُودِ بطَرِيقَةٍ غيرِ مباشرةٍ.

في مقابلِ هذهِ الكنايةِ في بَسْطِ اليَدِ للدلالةِ بها على الجُودِ. وتأتي كِنايةُ الإفراطِ في البَسْطِ للدَّلالةِ بها على الإسْرافِ.

هُنا نُدْرك الإبداعَ والجَمالَ في التعبيرِ القُرآنيِّ الذي قالَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - فيه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۙ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة: ٦٤].

ولعامَّة الناس في تعبيراتهم الدارجات كناياتٌ كثيرات، فبَدَلَ أنْ يقولَ قائلهم: «أنا أكبرُ من فلانٍ سنًّا» يأتي في تعبيراتهم: لَمَّا كنتُ مُدَرِّسًا كانَ في المرحلة الابتدائية - كُنْتُ أَحْمِلُهُ وهو ابنُ سَنَتَيْنِ - وتقول المرأة: هو ابني من الرضاعة.

ويقول قائل عَنْ أُسْرَةٍ غَنِيَّةٍ: كانوا يَسْتَجْدُونَ صَدَقَاتِ النَّاسِ قَبْلَ الحربِ، أيْ: هم أثرياءُ حَرْبٍ - كانوا فُقَراءَ قبلَ أنْ يُعيِّنَ وَلِيُّهُمْ مُدِيرًا للمالية.

وقال مَنْ يُريدُ إِخْفَاءَ مِهْنَةِ أَبيهِ: أنا ابْنُ مَنْ خَضَعَتْ لَهُ الرُّءُوسُ، أي: ابنُ حَلاَّقٍ. إلى غير ذلك من تعبيرات لا تُحْصَى.

فوائد الكناية:

تُستَخدم الكناية لأغراضٍ بلاغيّة كثيرة، منها الأغراض التالية:

١ - إيثار الأسلوب غير المباشر في الكلام، إذا كان مُقْتَضَى الحالِ يستدعي ذلك، فَمِنَ المعلومِ أنَّ الأسلوبَ غيرَ المباشرِ أكثرُ تأثيرًا فِيمَنْ يُقْصَد توجيهُ الكلامِ له غالبًا.

٢ - كَوْنُ التَّعْبِيرِ المكنى به ينبّه على معنى لا يؤدّيه اللفظ الصَّريح المكنى عنه. فلو خاطَبَ اللَّهُ الناسَ فقال: هو الذي خَلَقَكُمْ مِنْ آدمَ، لَمْ يَكُنْ في هذا التعبيرِ التنبيهُ على عظيمِ قُدْرَتِهِ، وبالغِ حِكْمَتِهِ الجليلةِ في قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَوَاسِعِ عِلْمِهِ، مثلُ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

إنَّ عبارة: ﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ جاءت كنايةً عن آدمَ، لكِنْ نَبَّهَتْ على أَمْرٍ جليلٍ لا تُنَبِّهُ عليه عبارة: «مِنْ آدم».

إنَّها تُنَبِّه عَلَى أنَّ السّلالَة الإنسانيَّةِ كُلَّهَا مشتقةٌ بتقديرِ العزيزِ العليمِ القديرِ الحكيمِ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

٣ - كَوْنُ المكنَّى به أسْهَلَ فَهْمًا مِنْ لَفْظِ الْـمُكَنَّى عنه.

٤ - كَوْنُ المكنَّى به أَجْمَلَ عِبارةً، وأَعْذَبَ لفظًا من المكنَّى عنه، فَمُرَاعَاةُ الْـجَمَالِ الفَنِّي مِنَ الأغراضِ الْـمُهِمَّةِ التي تُقْصَدُ في الكلامِ.

٥ - كَوْنُ المكنَّى عنه مِمَّا يَحْسُنُ سِتْرُهُ، ويقبُحُ في الأَدَبِ الرَّفِيعِ التصريحُ به، إذْ هو مِنَ العَوْرَاتِ، أو من الْـمُسْتَقْذِرَاتِ، أو مِنَ الْـمُسْتَقْبَحَات.

٦ - إرادة التَّعْمِيَةِ والإلغاز، ويكونُ هذا في الكنايات التي يَصْعُب على غَيْرِ الأذكياء اللَّمَّاحِينَ إدْراكُ المقصود بها.

٧ - إرادةُ بيانِ بعضِ صفاتِ المكنَّى عنه مع الاختصار، بالاقتصارِ على ما يُذْكَرُ من صِفَاتِهِ لِغَرَضٍ يَتَعَلَّقُ بِذِكْرِهَا.

٨ - إرادة مَدْح المكنَّى عنه أو ذمّه بذكر ما يُمْدَحُ به أو يُذَمّ به، مع الاقتصارِ عَلَى ذِكْرِ اللفظِ الْـمُكَنَّى به.

وَانْتَبِهْ هنا إلى أنه لا يُقْصَدُ من الكِنايةِ مُجَرَّدُ ذِكْرِها كذلك بل لا بُدَّ من ملاحظةِ غَرَضٍ بَلاغِيٍّ فيها، أدناه كونها أَجْمَلَ من التعبيرِ الصَّرِيحِ فِي أَذْوَاقِ الأُدَبَاءِ وَالْبُلَغَاءِ.

ولا بدّ أيضًا من أن تكونَ خَالِيَةً من الْعُيُوبِ الْجَمَالِيَّةِ، والْمُسْتَقْبَحَاتِ الْفِكْرِيَّةِ.

أمثلة من الكناية:

١ - فِي عَرْضِ قِصَّةِ إلقاءِ أُمِّ موسَى ولدَهَا الطفلَ «مُوسَىٰ» عليه الصلاة السلام في اليمّ خَوْفًا عليه من جُنود فرعونَ أن يَذْبَحُوهُ تَنْفِيذًا للأمر الفِرْعَوْنِي بقَتْلِ كُلِّ مَوْلُودٍ ذَكَرٍ من بني إسرائيلَ.

لقد أَوْحَى الله إليها أن تَضَعَهُ فِي صُنْدُوقٍ، وَتُلْقِيَهُ فِي الْيَمِّ إذا خافت عليه من جنودِ فرعونَ أن يَذبَحُوهُ، فَفَعَلَتْ، وَجَرَى به النهر، حَتَّى إذا بَلَغَ شَاطِئَ الْقَصْرِ الْفِرْعَونِيِّ الْتَقَطَهُ آلُ فرعونَ، وقَالَتِ امرأةُ فرعونَ له: قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ، لا تَقْتُلُوهُ، عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا، بَعْدَ هذا الْعَرْضِ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [القصص: ١٠].

لقد كان فُؤادُها وهو عُمْقُ قلْبِها الشامل لأفكارها وعواطفها مَشْحُونًا بالْقَلَقِ وَالاضْطِرَابِ والْخَوْفِ عليه، فلمَّا أَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ وَعَلِمَتْ بما جَرَى لَهُ، أُزِيحَتْ عَنْ فُؤَادِها الْغُمَّةُ، وأصْبحَ فارغًا من القَلَقِ والاضطرابِ والخوفِ عليه، فجاءت عبارةُ: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ كنايةً عن طُمَأْنِينَتِهَا على وَلَدِها، وسَكِينَتِهَا، واسْتِمْتَاعِهَا بِمَشَاعِرِ السَّعَادَةِ؛ لأنَّ مِنْ شَأْنِ فَرَاغِ الْفُؤَادِ من الأفكارِ وَالْعَوَاطِفِ الْمُثِيرَةِ لِلْقَلَقِ والاضطرابِ والْخَوْفِ أَنْ تُصَاحِبَهُ الطُّمَأْنِينَةُ والسَّكِينَةُ ومشاعرُ السّعادة.

٢ - قولُ الخنساء «تُمَاضِرُ بنت عمرو» في أخيها صخر:

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

طَوِيلُ النِّجَادِ. (كِنَايَةٌ عَنِ طُولِ الْقَامَةِ).

رَفِيعُ الْعِمَادِ. (كِنَايَةٌ عَنِ الشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ).

سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا. (كِنَايَةٌ عَنِ الْخَوْفِ).

النِّجاد: حمائل السيف، إذ من المعلوم باللّزوم الذهْنِي أنَّ الرجلَ ذَا الْقَامَةِ القصيرةِ لا يتَّخِذُ حمائل طويلة لسيفه، إنّما يَتَّخِذُ الْحَمَائِلَ الطويلة مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ طويلَ القَامةِ.

وَكَنَّتْ عن كونِ أخيها ذا منزلةٍ رفيعةٍ في قومِهِ بقولها: «رفيع العماد» أي: بيتُهُ بينَ بُيُوتِ العربِ ذو أعمدةٍ عاليةٍ، إذْ يلزم ذهنًا من ارتفاعِ أعمدةِ سُكَّانِ الخيامِ في البادية أن تكون هذه الأعمدةُ لبيوتٍ عظيمةٍ كبيرةٍ، وجَرَتِ الْعَادَةُ أن تكونَ هذه الخيامُ الْعَظِيمَةُ لِذَوِي المكانةِ الرَّفِيعَةِ في أقوامِهِم، أم سائر سُكَّان البادية فتتشابَهُ خِيَامُهُم في ارتفاعِهَا وَأَحْجَامِهَا وأطوالِ أَعْمِدَتِهَا.

وَكَنَّتْ عن كَوْنِ أَخِيهَا جَوَّادًا مِضْيافًا بقولها: «سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا» وقد سبق شرح دلالة هذه الكناية.

٣ - ما جاء في سورة الأعراف بشأن بني إسرائيل الذين اتّخذوا العجل الذَّهبيّ يعبدونه من دون الله، حينما ذَهَبَ موسَى عليه الصلاة والسلام لِمُنَاجَاةِ رَبِّه؛ لأنَّهم اسْتَبْطَئُوا عَوْدَتَهُ إذْ زادَ اللّـهُ له الميعادَ من ثلاثين ليلةً إلى أربعين ليلةً، ثمَّ لَمَّا رَأَوْهُ من بعيدٍ رَاجِعًا إليهم وبيده الألواحُ نَدِمُوا عَلَى ما فَعَلُوا نَدَمًا شديدًا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا، قال الله عزَّ وجلَّ فيها: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

ناء في هذه الآية الكناية عن ندمهم وخوفهم من سطوة موسى عليه السلام وعقابه، إذ خالفوا مَوْعِدَهُمْ الذي واعدُوهُ إيَّاهُ أنْ لا يُغَيِّرُوا ولا يُبَدِّلُوا في الدينِ شيئًا بعبارة: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ ﴾.

قال أهل التفسير: أي: نَدِمُوا وتَحيَّرُوا.

قال الزّجاج: هُوَ نظمٌ لم يُسْمَعْ قبلَ القرآنِ ولم تَعْرِفْهُ العربُ.

فهو كنايةٌ عن نَدَمِهم وشدّة خوفهم، وأصْلُ هذه الكناية أنّ الْـمُجْرِمَ إذا أدْرَكَهُ الجنودُ أَسْرَعُوا فأسقطوا بعُنْفٍ في يَدَيْهِ الْـقَيْدَ الحديديّ حتَّى لاَ يَفِرَّ، فإذا فعلُوا به ذلك ارْتَخَتْ أَعْصَابُهُ، وَوَهَنَتْ عَزَائِمُهُ، وأيْقَنَ أنَّه مَسُوقٌ لِلْعِقَابِ.

وهؤلاء الذين اتّخذوا الْـعِجْلَ الذهبيَّ الذي عَبَدُوه أَحَسُّوا بمثل هذا لَمَّا رَأَوْا من بعيدٍ موسَى عليه السلام راجعًا إليهم ومعه الأَلواحُ، كأنّه قد حَصَل سُقوطُ قيدٍ حَدِيديٍّ في أيديهم، وسيلاقون عقابهم.

هذه الكناية أُرِيدَ منها لازِمُها وهو الشعورُ بالندمِ والخوفِ من العقابِ مع العجزِ عن الفرار، وهي كنايةٌ ذاتُ إبداعٍ فنِّيٍّ رائع، وهي من الكنايات الخفيَّةِ مع عَدَمِ وجودِ وسائط بينَ المكنَّى به والمكنَّى عنه.

٤ - قول المتنبّي يمدح سيف الدولة:

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ ... وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرَابُ

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ كَمَنْ ... فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ

بُسْطُهُمُ حَرِيرٌ. (كِنَايَةٌ عَنْ عِزَّتِهِمْ وغِنَاهُمْ).

بُسْطُهُم تُرَاب. (كِنَايَةٌ عَنِ الذُّلِّ وَالْـمَهَانَةِ).

كَنَّى بعبارة: «وبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ» عن أنَّهُمْ كَانُوا في عزّةٍ وسيادة قبل محاربته لهم؛ لأنَّ من كان عزيزًا سيدًا كانت بُسْطُهُ غالبًا من حريرٍ.

وكَنَّى بعبارة «وبُسْطُهُم تُرَاب» عن حالة الذُّلّ والمهانة التي وصَلُوا إليها بعد حَارَبَهُمْ وظَفِرَ بهم؛ لأنّ الذَّلِيلَ المهين لا يجدُ غيرَ التُّرَابِ يَفْتَرِشُهُ.

وَوَصَفَ رِجَالَهُمْ في البيت الثاني بأنَّهم صاروا من ضَعْفِهِم عن مقاومة جيشِهِ كالنِّسَاءِ اللّواتي يخضِبْنَ أكفَّهُنّ بالحنّاء، فكنَّى عن النساء بالوَصْفِ الذي يَتَّصِفُ بِهِ نِسَاءُ عَصْرِهِ، وَكَنَّى عَنِ الرِّجال بالوصف الخاصّ بهم، وهو القبض على قَنَوَاتِ الرِّمَاحِ.

٥ - قول البحتري:

أَوَ مَا رَأَيْتَ الْـمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ ... فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

البيت كله. (كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْـمَجْدِ وَالشَّرَفِ إِلَيْهِمْ).

كنَّى بهذا التعبير عن كون آل طلْحَةَ سادةً ثُمَّ أشرافًا أَهْلَ مَجْد، فَمَنْ ألقى المجدُ رحْلَهُ في داره ولم يتحوَّل عنها، فلا بُدَّ أنْ يكون المجدُ منسوبًا إليه لِعَظِيمِ شَرَفِهِ وَرَفِيعِ مَنْزِلَتِهِ.

وفي هذه الكناية إمتاعٌ للأديب بصورة أدبيَّةٍ جميلة.

٦ - قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٩].

﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾: أي: تَزَوْجْتُمُوهُنَّ.

النكاح في الأصل: الْـوَطْءُ، تَنَاكَحَتِ الأشجارُ: إذا الْـتَصَقَ بعضُهَا ببعْضٍ، ولم يَرِدْ لَفْظُ النكاحِ في كتابِ اللّهِ إلا في معنَى العقدِ؛ لأنَّهُ لو اسْتُعْمِلَ في الْـوَطْءِ لَكَانَ تَصْرِيحًا بِهِ.

وَمِنْ آدَابِ الْقُرْآنِ الْكِنَايَةُ بِلَفْظِ الْمُلامَسَةِ، وَالْقُرْبَانِ، وَالإِتيَانِ، تَعْلِيمًا لِلأَدَبِ وَالْحَيَاءِ. وفي تخصيصِ المؤمناتِ، مع أن الكتابياتِ تُساوي المؤمناتِ في هذا الحُكمُ، إشارةٌ إلى أن الأَوْلَى للمؤمنِ أنْ يَنْكَحَ المؤمنة، تَخْيِيرًا لِلنُّطْفَةِ.

﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ بشيءٍ من الْمَالِ، وهذا في المفوض لها قبل الفرض، وأما الْمَفْرُوضُ لَهَا، أو الْمُسَمَّى صَدَاقُهَا، فتأخذُ نِصْفَ مَهْرِهَا، ولا مُتْعَةَ لَهَا عَلَى الْمَشْهُورِ.

﴿ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ أي: لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا، وأَخْرِجُوهُنَّ من بُيُوتِكُمْ؛ إذ لا عِدَّةَ لَكُمْ عليهن.

قال القشيري: ﴿ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ لا تذكروهن بعد الفراق إلا بِخَيْرٍ، ولا تستردوا منهن شيئًا، ولا تَجْمَعُوا عليهنَّ سُوءَ الْحَالِ وَالإِضْرَارِ من جِهَةِ الْمَالِ.

٧ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ» رواه البخارى.

لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ: كناية عن الغضب.

التَّعْرِيضُ

التَّعْرِيضُ في اللُّغَةِ:

ضِدُّ التصريحِ، ومعناه أن يضمن كلامُه ما يصلح للدلالة على مقد ويَصْلُحُ للدَّلالَةِ على غير مقصوده إلا أن إشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح

أو أن تقول كلامًا لا تُصرّح فيه بمرادكَ منه، لكنّه قد يشير إليه إشارة - ويُمْكِنُكَ أَنْ تَتَهَرَّبَ من التزام ما أشرتَ به إليه إذا صِرْت مُحَرِّجًا، يقال: عَرَّضَ فُلانٌ تَعْرِيضًا: أي: قال فلم يُبَيِّن بصراحة اللفظ.

التعريض في الاصطلاح:

هُوَ مَا يَفْهَمُ بِهِ السَّامِعُ مُرَادَ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ.

كأن يقول الراغب بِخِطْبَةِ امرأةٍ معينةٍ: (كُلُّ رَجُلٍ رَاغِبٍ فِي الزَّوَاجِ يُحِبُّ تَكُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ زَوْجَةً لَهُ)، تَعْرِيضًا بأَنَّهُ يرغب في الزواج منها.

أَعْرَاضُ الكلام ومَعَارِضُهُ ومعاريضُه: كلامٌ غير ظاهر الدلالة على المراد الحديث: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ» .

أي: فيها سعة يتخلّص بها المتحدّث من الكذب إذا لم يرد التصريح.

والتعريض في خطبة المرأة: أنْ يتكلّم الخاطب بكلام يشبه خطبتها تصريح.

وقد يكون التعريض بضرب الأمثال وذكر الألغاز في جملة المقال.

ويقول الناس بشأن التعريض: إيّاكِ أعني، واسْمَعِي يا جارة.